
المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

العبادة في كنيستنا

دلالتها وروحانيتها

مثلث الرحمات

نيافة الأنبا يوأنس

فهرست

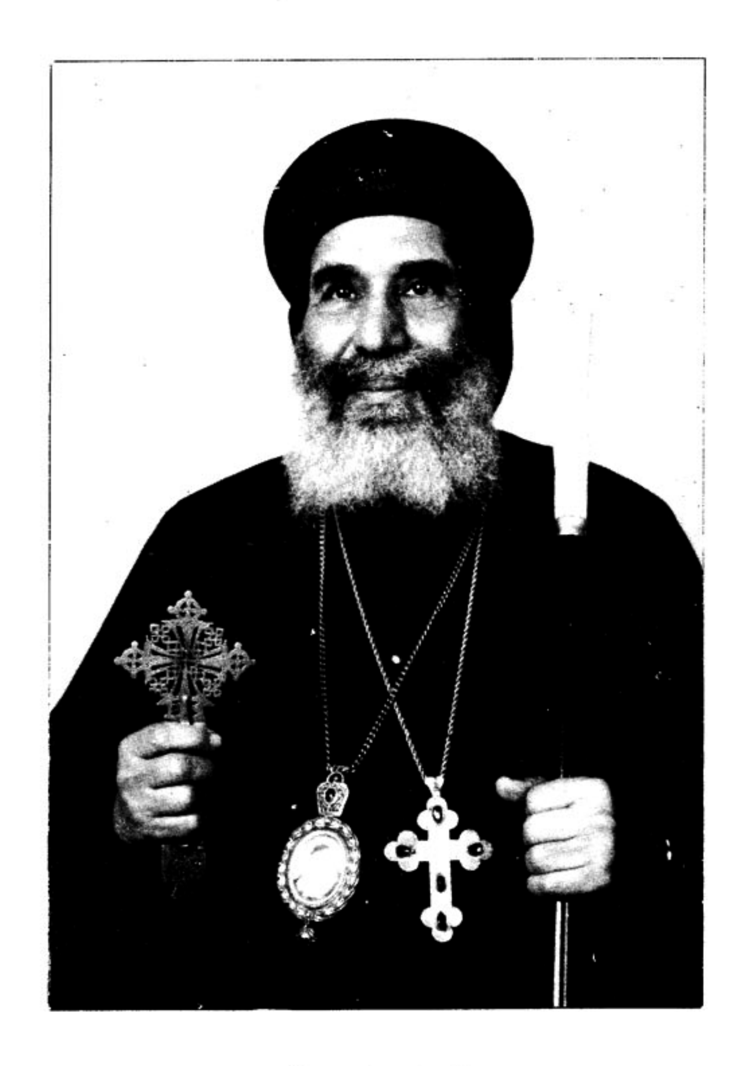
العبادة في كنيستنا

دلالتها وروحانيتها

مثلث الرحمات

نيافة الأنبا يوأنس

إسم الكتاب : العبادة فى كنيستنا دلالتها وروحانياتها .
المؤلف : نيافة الأنبا يؤانس - أسقف الغربية .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .
رقم الايداع بدار الكتب : ٥٩٢٧/٨٧ .



مثلث الرحمات
نيافة الأنبا يوأنس

مقدمة

يقول القديس بولس الرسول عن كنيسة المسيح ، إن الله اقتناها بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) ؛ وإنها سفارة السماء على الأرض (٢كو٥ : ٢٠) ؛ وجسده غير المنظور الذى هو رأسه (كو١ : ١٨) ؛ وإنها عمود الحق وقاعدته (١تى٣ : ١٥) ... لذا فإنه يأمر كل مؤمن بطاعتها ، ويحذّر من مخالفتها أو الخروج عليها ... و يعتبر كل من لا يسمع منها كوثنى (متى١٨ : ١٧) ... وقد عمل السيد المسيح رب الكنيسة ، ومازال يعمل فيها لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضَنْ بل مقدسة وبلا عيب (أف٥ : ٢٧) .

وكنيسة المسيح بمؤمنيها هى عروسه التى خطبها لذاته (٢كو١١ : ٢) ... ما أروع جمالها ... إنها الآن فى زمان جهادها ، تنتظر العرس الأبدى .. وقد لازمها هذا الجمال العجيب طوال تاريخها . لكن للأسف فإن كثيرين من أبناء جيلنا يجهلون الكثير عنها ، ومن ثَمّ لا يستمتعون بجمالها الذى عشقه كثيرون عبر الأجيال - لا يُحصى عددهم . بل لقد افنى بعضهم ذواتهم فى خدمتها ، وفضلوا الموت ذَوْداً عنها ... هذا الجمال الروحى الداخلى العميق هو ما نحاول أن نكشفه خلال مادة هذا الكتاب .

إن موضوع هذا الكتاب « العبادة فى كنيستنا ، دلالتها وروحانيتها » ، هو موضوع روحى دراسى شيّق وجذّاب من وجهين : الكنيسة والعبادة ... والكنيسة هى باب السماء ، أو بحسب تعبير القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد « ما من أحد يمكن أن يكون الله أباً له ما لتكن الكنيسة أمه » ... أما العبادة وتفهّم طقوسها فهى الحبل الذهبى الذى يربط الإنسان العابد بالسماء .

مادة هذا الكتاب هى خلاصة سبع عظات القيت خلال الصوم الأربعينى المقدس سنة ١٩٨٧ فى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى ، عالجنا فيها موضوع العبادة والتسبيح فى الكنيسة وصلوات السواعى والمزامير وطقوس المعمودية والتثبيت وطقوس القداس الإلهى والأشكال الرمزية للافخارستيا فى العهد القديم . وتناولنا شرح طقوس

القداس الباسيلى والقداسين الغريغورى والكيرلسى . وختمنا دراستنا بالكلام عن بعض صلوات المناسبات وطقوسها كسبت لعازر وأحد الشعانين وطقس أسبوع الآلام ، وليلة سبت الفرح ، والخماسين المقدسة ، وطقس اللقان وأخيراً طقوس عيد العنصرة وصلاة السجدة .

وقد* أهتممنا فى هذه الدراسة بتأصيلها ، وذلك بالاعتماد على شروح وأقوال آباء الكنيسة ومعلميها فى القرون الأولى خاصة القرن الرابع المسيحى : ومن الأمور الهامة التى راعيناها شرح طقوس العبادة وما تنطوى عليه من دلالات روحية .

وإذ نضع هذا الكتاب بين يدى الرب يسوع رب الكنيسة وراعيها الأعظم ، نسأله أن يجعل ما جاء به سبب بركة لكل من يقرأه .

وإلهنا المبارك الذى دعانا لمجده الأبدى فى المسيح يسوع يُلهب قلوبنا بمحبته ويحفظنا جميعاً بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره . وله كل مجد وكرامة إلى دهر الدهور كلها آمين .

يؤانس
بنعمة الله أسقف الغربية

١٧ من سبتمبر سنة ١٩٨٧
٧ من توت سنة ١٧٠٤

تذكار استشهاد الست رفقة وأولادها

المفهوم الأرثوذكسى للعبادة الكنسية

- الكنيسة المسيحية .
- روعة الكنيسة .
- من الذى يقوم بخدمة العبادة الكنسية .
- ماذا تعنى كلمة عبادة .
- ماذا تعنى كلمة أرثوذكسية
- ارتباط العبادة الكنسية بالطقوس وحكمتها .
- ارتباط العبادة الكنسية بالروحانية .

يقول داود النبى والمرتل «**مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب. قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحىّ،** لأن العصفور وجد له بيتاً، واليمامة عشاً لتضع فيه فراخها، مذابحك يارب إله القوات ملكى وإلهى، **طوبى لكل السكان فى بيتك يباركونك إلى الأبد ... لأن يوماً صالحاً فى ديارك خير من آلاف**» (مز٨٤ الترجمة القبطية).

موضوع اليوم هو عن «**العبادة الكنسية بحسب مفهومها الأرثوذكسى**» ... **وقبل أن نتناول موضوع العبادات، أرى من المناسب أن نقول كلمة عن الكنيسة التى تمارس بها العبادات ...**

الكنيسة المسيحية:

الكنيسة هى، بيت الله، وهى باب السماء. هى عروس المسيح التى اقتناها بدمه (أع٢٠: ٢٨). هى سفارة السماء على الأرض (٢كو٥: ٢٠)، وهى عمود الحق وقاعدته (١تى٣: ١٥)... **لا خلاص خارج الكنيسة، فما من أحد يمكن أن يكون الله أباً له ما لم تكن الكنيسة أمه،** التى تلده ميلاداً ثانياً جديداً من الماء والروح فى سرّ المعمودية المقدس، فيصبح إبناً لله. كما يقول القديس كبريانوس.. وحينما نتكلم عن الكنيسة نتحدث عن أمجاد لا يُنطق بها ... يقول أحد الآباء «الحق إننى فى خدمة القداس الإلهى ادهش: هل ارتفعت الكنيسة إلى السماء نحو عريسها الإلهى، أم تحولت الأرض وصارت سماءً، فجاء العريس السماوى مع مصاف ملائكته يحتضن عروسه التى أحبّها».

الكنيسة هى شخصية حيّة جامعة، قوامها جسد المسيح السرّى (غير المنظور)، واعضاؤها هم المؤمنون بالروح والحق ... والمؤمنون المتحدون فى جسمها يظلون أحياء فيها، حتى بعد انتقالهم، لا يفصلهم الموت عنها ... بل هم أحياء يشتركون مع الأحياء بالجسد فى وحدة القصد والصلاة والشفاعة المتبادلة ... هذا هو مفهوم الكنيسة بالمعنى الواسع. أما المفهوم المحدد، فهو أن كل كنيسة ما هى إلا اجتماع موسّع لعشاء المسيح الأخير مع رسله، الذى فيه أسس سرّ

الأفخارستيا، واعطاهم جسده ودمه الأقدسين.

فى الكنيسة أيضاً يجتمع المؤمنون كما فى «بيت الملائكة» يشتركون معهم فى ليتورجياتهم السماوية وصلواتهم وتسابيحهم. ويكونون فى صحبتهم على الدوام، يتدربون على تسبيح «الترنيمة الجديدة» (رؤيا ١٤ : ٣) بلغة ملائكية... هنا، كما رأى هرماس فى كتابه الراعى تفرح الملائكة إذ يرون برج الله السماوى يتكمل بناؤه فينا، ممجدين الله على بنيان الكنيسة الروحى المستمر.

وعظمة الكنيسة وسموّها يظهران حينما ترجع إلى الرمز فى العهد القديم... أما الرمز فكان هو **خيمة الاجتماع**... قال الله لموسى «انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل» (خروج٢٥ : ٤٠، عب٨ : ٥). وقد أشار بولس الرسول إلى الكنيسة «شبه السماويات وظلها» (عب٨ : ٥)... **أى أن خيمة الاجتماع -التى هى رمز للكنيسة المسيحية- كانت تشبيهاً للصلة التى تربط السماء بالأرض أو الإنسان بالله...**

روعة الكنيسة:

كانت الخيمة من خارج لا منظر لها ولا جمال... من الخارج يرى الناظر إليها جلود تُخُسٍ وكباش (خروج ٣٦ : ١٤)، لكنها من الداخل كانت مزينة بمفاخر الحرير الاسمانجونى والكتان الأبيض النقى، والذهب والفضة والخشب العطر (خروج ٢٥)... **كان إسمها «خيمة الاجتماع»، يدل على حقيقتها، حيث يجتمع الله مع شعبه.** يقول السيد الرب لموسى «حيث اجتمع بكم لأكلمك هناك. واجتمع هناك ببنى اسرائيل «وأكون لهم إلهاً» (خروج ٢٩ : ٤٢- ٤٥)... **وهكذا نرى أن الكنيسة لا تعنى اجتماع المؤمنين ببعضهم، بل بالدرجة الأولى اجتماع الله بهم، ووجودهم فى حضرته... نفس المعنى يعلنه الله ليوحنا فى رؤياه...** «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء، من عند الله، مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: **هوذا مسكن الله مع الناس. وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم»** (رؤيا ٢١ : ٢، ٣).

وهنا يبرز سؤال : **لماذا أمر الله بخيمة الاجتماع عقب خروج شعبه من مصر وليس قبل ذلك؟**

كانت ارادة الله من أقامة خيمة الاجتماع أن يسكن وسط شعبه ... لكن لنلاحظ الآتى : كان الفلك وسيلة خلاص لأسرة نوح ، أسرة الإيمان . لكن الله لم يسكن معهم . وكان لله شركة مع ابراهيم واظهر ذاته له مراراً . وأحاطت عناية الله بيعقوب وذريته ، **لكن الله لم يسكن مع هؤلاء رغم حبه لهم ... لماذا ؟ لأنه ما كان ممكناً أن يسكن الله وسط شعبه إلا بعد إتمام الفداء بالدم ولو رمزياً ، أى بعد الصلح . كان لزاماً أن يُذبح خروف الفصح ، ويخرج الشعب بقوة الدم ، ويعتقوا من العبودية قبل أن يكون لله بيت مقدس فى وسطهم !! وهكذا ظهرت كنيسة العهد الجديد بعد الخلاص الذى أكمله السيد المسيح. فصحنا الجديد (١كو٥ : ٧) وذبح على الصليب ...**

من الذى يقوم بخدمة العبادة فى الكنيسة ؟

ويرتبط موضوع العبادة بمن يقوم بها فى الكنيسة ، خاصة العبادات الطقسية . وهنا يبرز سؤال يطرح نفسه . إذا كان الكهنة هم الذين يتممون طقوس العبادة ، **فهل يوجد كهنة وكهنوت فى كنيسة المسيح التى للعهد الجديد ؟**

نعم يوجد كهنة وكهنوت ... والكهنوت هو أحد أسرار الكنيسة السبعة ، بل هو تاجها . وإذا أردنا أن نعرّفه نقول إنه السرّ الذى يخوّل بعض الخدام السلطان لمباشرة الخِدَم الكنسية الروحية من أسرار وغيرها . ويُعطَى الكهنوت بوضع يد الأسقف على رأس المختار لهذه الرتبة الكهنوتية . والرسامة الكهنوتية تسمى فى اللغة اليونانية شرطونية **χειρτονια** ومعناها الحرفى وضع اليد بقصد الرسامة الكهنوتية .

هل وردت كلمة شرطونية بهذا المفهوم فى أسفار العهد الجديد ؟ نعم ...

فلقد مارس الآباء الرسل الخدمات الموكولة إليهم بهذا السلطان الكهنوتى المعطى لهم بالروح القدس وتمموا الأسرار . قال الرب يسوع قبيل صعوده لرسله القديسين « كما ارسلنى الآب ارسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن امسكتم -طاياه امسكت » (يوحنا ٢٠ : ٢١ ، ٢٢) .

هذه النفخة اقتبل بها الرسل الروح القدس ـ لا للامتلاء ـ بل كسلطان كهنوتى لهم. أما حلول الروح القدس عليهم وامتلاؤهم منه، فقد تم فى يوم الخمسين (أع ٢).

والرسول بولس دعا ذاته كاهناً يباشر الخدمة الكهنوتية ... يقول إلى أهل رومية «ولكنى بأكثر جسارة كتبت إليكم قليلاً أيها الأخوة، كمن يذكركم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله، لأكون خادماً للمسيح يسوع فى الأمم، مباشراً خدمة إنجيل الله الكهنوتية حتى يكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس» (رومية ١٥ : ١٥، ١٦). [وردت فى الترجمة العربية البيروتية «مباشراً لإنجيل الله ككاهن»] ... والمعنى الأول السابق ورد فى اللغتين اليونانية واللاتينية. وهكذا وردت فى العهد الجديد باللغة الانجليزية المعتمدة **Revised Standard Version** على النحو الآتى :

To be a minister of Christ Jesus to the gentiles in the priestly service of the gospel of God.

وفى ترجمة اكسفورد الصادرة سنة ١٩٧٠ وردت هكذا :

His grace has made me a minister of Christ Jesus to the gentiles, my priestly service is the preaching of the gospel of God.

وقد وردت هذه الآية فى الكتاب المقدس طبعة أورشليم سنة ١٩٦٨ :

He has appointed me as a priest of Jesus Christ, and Iam to carry out my priestly duty.

هذا ونلاحظ أن **الكلمة اليونانية المترجمة خادماً فى الآية السابقة هى كلمة Leitourgos وليست كلمة Diakono وتعنى الكلمة الأولى الخادم الذى يخدم خدمة الليتورجية، أى خدمة الذبيحة الإلهية فى القداس.**

ويقول القديس بولس الرسول عن هذه الوظيفة الكهنوتية «لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه، بل المدعو من الله كما هارون أيضاً» (عب ٥ : ٤). وهذا الكلام اشارة إلى من يتجرأ ليباشر خدمة الكهنوت من تلقاء ذاته.

وتعاليم الرسل Didache التى أثبت العلماء أنها ترجع إلى أواخر القرن الأول المسيحى، تكلمت عن الباكورات ووجوب تقديمها لرئيس الكهنة. وهذا دليل قاطع على وجود الكهنوت المسيحى.

وقد أقام الرسل باكورة شمامسة العهد الجديد وعددهم سبعة بوضع أيديهم (أعمال الرسل ٦ : ٦).

ويذكر القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل أن بولس وبرنابا أقاما قسوساً فى الكنائس التى أسسوها بالصلاة ووضع أياديهما... «وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة. ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب، الذى كانوا قد آمنوا به» (أع ١٤ : ٢٣)... هكذا وردت هذه الآية فى الترجمة العربية البيروتية التى بين أيدينا.. أما الكلمة اليونانية -وهى اللغة الأصلية التى كتب بها العهد الجديد- المترجمة «انتخبا» فهى χειροτονησαντες ومعناها الحرفى وضع الأيدى. ويقصد بها الرسامة الكهنوتية (الشرطونية) على نحو ما سبق أن أوضحنا.

واللفظ -فى الآية السابقة- أكثر وضوحاً فى اللغة القبطية وهى من أقدم الترجمات وادقّها بعد اليونانية.

ⲁⲩⲭⲁ ϫⲓϫ ⲇⲉ ⲉ̀ϧⲣⲏⲓ ⲉϫⲉⲛ ϩⲁⲛ ⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ

ترجمتها الحرفية «وضعا أياديهما على قسوس» وطبعاً وضع اليد الخاص بالرسامة الكهنوتية.

ووردت الآية السابقة فى الترجمة الشائعة باللغة اللاتينية للقديس جيروم They had ordained to them priests... وهكذا تصبح الترجمة الحرفية الدقيقة للآية السابقة المذكورة «رسما لهم قسوساً فى كل كنيسة بوضع أياديهما».

وقال بولس الرسول لتلميذه الأسقف تيموثاوس «لا تهمل الموهبة التى هى فيك، التى أوتيتها عن نبوة **بوضع أيدى الكهنة عليك**» (١تى ٤ : ١٤)

Do not neglect the spiritual endoument you posses which was given you under the guidance of prophesy, through the laying on of the hands through your ordination (ترجمة Oxford)

وقال له أيضاً «لا تضع يداً على أحد بالعجلة، ولا تشترك فى خطايا الآخرين» (١تى ٥ : ٢٢). ووردت فى ترجمة جامعة Oxford
« Do not be over hasty in laying on hands in ordination »
كما يقول له «اذكّرك أن تضرم موهبة الله التى فيك **بوضع يدىّ**» (٢تى ١ : ٦).

ويكتب بولس الرسول لتلميذه الأسقف تيطس «من أجل هذا تركتك فى كريت، لكى تكمّل ترتيب الأمور الناقصة، **وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك**» (تى ١ : ٥). **والكلمة اليونانية المترجمة «تقيم» هى** Kathistemi، **ومعناها يرسم الرسامة الكهنوتية**. ووردت فى اللغة القبطية هكذا **ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲧⲉⲕⲥⲉⲙⲛⲓ ⲛ̀ϩⲁⲛ ⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ**، وترجمتها يرسم قسوساً.

وفى قصة سيمون الساحر الواردة فى (أع ٨ : ١٤- ١٧) نقرأ أن الرسل فى أورشليم، لما سمعوا أن السامرة قبلت الإيمان المسيحى، ارسلوا الرسولين بطرس و يوحنا إليها ليمنحا المؤمنين الجدد الروح القدس... يقول كاتب سفر الأعمال «حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس»... ولقد ادهش سيمون الساحر هذا الأمر، حتى أنه قدم مالاً للرسولين بطرس و يوحنا وقال لهما «اعطيانى **هذا السلطان**» فكان ردّ بطرس عليه «لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتنى **موهبة الله** بدراهم». ومن هذا الردّ يتضح أمران فى سرّ الكهنوت: السلطان والموهبة الإلهية الخاصة... هذه الموهبة هى التى اشار إليها بولس الرسول فيما كتبه لتلميذه تيموثاوس الأسقف «اذكّرك أن تضرم أيضاً **موهبة الله** التى فيك **بوضع يدىّ**» (٢تى ١ : ٦).

ماذا تعنى كلمة عبادة؟

العبادة تعنى لغوياً الخضوع لله وطاعته وخدمته، وكل ما يعبّر عن هذه التبعية من سلوك أو طقوس... ومن هذه الكلمة يأتى عبد وعبودية للخالق.. ولاشك أن موضوع العبادة لهو فى غاية الأهمية، إذ فيه التعبير العملى عن مشاعر الإنسان وعواطفه نحو الله. وتبياناً لذلك قال السيد المسيح للشيطان فى ختام تجربته فوق الجبل «للرب إلهك تسجد **وإياه وحده تعبد**» (مت ٤ : ١٠). ولعل كلمات بولس الرسول فى كريت

وهو فى طريقه أسيراً إلى روما وسط قوم وثنيين ، توضح هذا المعنى إذ يقول «**لأنه وقف بى** هذه الليلة ملاك **الإله الذى أنا له والذى أعبده** قائلاً **لا تخف يا بولس**» (أع ٢٧ : ٢٣) ... و يكتب بولس إلى أهل رومية موصياً «غير متكاسلين فى الاجتهاد ، حارين فى الروح ، **عابدين الرب** ، فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، **مواظبين** على الصلاة» (رو١٢ : ١١ ، ١٢) ... و يقول لأهل تسالونيكى «وأنتم صرتم متمثلين بنا و بالرب ... حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون ... لأنهم هم يخبرون ... كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحىّ الحقيقى» (١تس ١ : ٦ - ٩).

و يتكلم بولس عن عبادة الروح فيقول لأهل رومية «فإن الله الذى **أعبده بروحى** فى إنجيل إبنه» (رو١ : ٩) ... و يكتب إلى تلميذه تيموثاوس «إنى أشكر **الله الذى أعبده** من أجدادى بضمير طاهر» (٢تى ١ : ٣). و يوضح لأهل رومية أن العبادة يجب أن تكون «بجدة الروح لا بعتق الحرف» (رو٧ : ٦ ، فى٣ : ٣) ، وإنها عبادة عقلية (رو١٢ : ١).

ماذا تعنى كلمة أرثوذكسية هنا ؟

الكلمة هنا فى عنوان الموضوع «المفهوم الأرثوذكسى للعبادة» ، لا يقصد بها أية ناحية جدلية ، بل هى تعنى الاستقامة بحسب اشتقاقها اليونانى الأصلى. وقد استخدمت هذه الكلمة للتعبير عن الإيمان المسيحى السليم حتى قبل انشقاق العالم المسيحى فى منتصف القرن الخامس الميلادى ... **على أن كلمة ارثوذكسي وارثوذكسية لا يقتصر استخدامهما على اظهار سلامة الإيمان أو العقيدة، بل هى تعبّر عن الاستقامة فى السلوك والروحانية.**

ارتباط العبادة بالإيمان والعقيدة :

ومن المفيد أن نقرر هنا أن العبادة بالمفهوم السليم لا تنفصل لا عن الإيمان ولا عن العقيدة، بل هى تعبير حىّ عن كليهما. ويجب أن يكون هذا الفهم راسخاً فينا ...

وهناك مغالطة يحاول بعض المغرضين أن يخدعوا بها البسطاء، وهى أن العقائد فى المسيحية استحدثها رجال الدين المتحزّبين. أما المسيحية - فى نظر

هؤلاء- فهى حياة روحية، وسلوك روحى وعاطفة فى العبادة ليس غير... هذا الكلام يعبّر عن وجه من أوجه الحقيقة، وليس الحقيقة كاملة... ولم تكن المسيحية يوماً منذ نشأة الكنيسة وطوال تاريخها. بلا عقائد إيمانية ثابتة...

يقول **روسون لامبى** Rauson Lumby وهو استاذ متخصص فى كتاب له عن تاريخ قوانين الإيمان The History of Creeds يقول.. يخطىء من يظن أو يتصور المؤمن فى الكنيسة الأولى بلا التزام بعقائد إيمانية محددّة. لقد كانت لكنيسة الرسل عقائد إيمانية أساسية محددة، صاغتها فى قانون إيمان عُرف فيما بعد باسم قانون إيمان الرسل. وقد حفظ كل راغب فى العماد هذا القانون. وكان يُعلنه لحظة عماده، متعهداً بالتمسك به».

و يقول أستاذ آخر متخصص فى دراسة عصر الرسل هو **تشارلس جور Charles Gore**
«إن تصوير المسيحية الأولى على إنها مجرد طريق للحياة بدون عقيدة لاهوتية -على نحو ما تصوّرها العظة على الجبل ولا شىء غير ذلك- أمر ليس فيه انصاف، ولا تؤيده الأسانيد التاريخية... لقد وجد منذ البداية إيمان عام واحد. كثيراً ما أشار إليه العهد الجديد تحت إسم **«التقليد»** (١كو١١: ٢) و **«صورة التعليم التى تسلموها»** (رو٦: ١٧) و «تعليم الرسل» (أع ٢: ٤٢) و **«صورة الكلام الصحيح» (٢تى ١: ١٣) و «الإيمان المسلّم مرة للقديسين»** (يهوذا ٣). وإيمان الكنيسة كما عبّر عن ذاته فى الحياة والعبادة والغيرة والاستشهاد، كان قوياً سليماً، و يشير إلى أن مصدره هو تعليم الرسل وكتاباتهم».

ارتباط العبادة الكنسية بالطقوس وحكمتها:

وعبادتنا الكنسية حسب مفهومنا الأرثوذكسى، تسير وفق نظم محددة أو طقوس خاصة... فما هى حكمة الكنيسة من طقوس عبادتها... إن كلمة طقوس بالمعنى الكنسى تعنى الترتيبات والنظم الروحية التى يجب مراعاتها فى العبادة المسيحية... وسوف نتناول بالشرح كل طقس فى العبادة نعرض له. **لكننا الآن نتناول حكمة الكنيسة من استخدام الطقوس فى العبادة...**

(١) كلمة طقس تعنى ترتيب ونظام :

ولعله من البديهى أن أى أمر يُرجى له النجاح ، لا يستقيم بدون نظام ... وأمامنا الطبيعة ذاتها التى خلقها الله ، وكيف أنها تسير بنظام عجيب ، لو اختلّ اختلالاً طفيفاً لانهار الكون كله وأصابه الدمار ... مثل هذا النظام فى الطبيعة يتخذه اللاهوتيون دليلاً على وجود إله خالق لهذا الكون ...

وأمامنا الإنسان وكيف يتكون من أجهزة مختلفة كثيرة ومعقّدة ، كالجهاز الدورى والهضمى والتنفسى والعصبى والبولى وغيرها ، وكيف أن هذه الأجهزة ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً فى داخل الإنسان ، وتسير جميعها وفق نظام عجيب متناسق . بل إن حياة الإنسان تتوقف على انتظام هذه الأجهزة ... وعقل الإنسان نفسه باعتباره زينة الإنسان ، وما يميّزه عن سائر الكائنات الحية ، يتألف من قُوى وملكات مختلفة ، لكل منها عمل خاص . وكل ملكة من ملكات العقل تسير وفقاً لقوانين ونظم معينة فى التذكّر والتفكير والتعليل . وبقدر ما تكون المعلومات مرتبة ومنّسقة ومنظمة ، بقدر ما يكون استيعاب العقل لها والانتفاع بها ...

وفى المجتمع نرى النظام ماثلاً ولازماً وضرورياً ، وإلا انهار هذا المجتمع ... كما نراه بصورة واضحة جداً فى أى جيش ...

فإذا كان النظام شرطاً اساسياً فى كل شىء وهو الطابع الإلهى الذى خُلق به الكون ، فكيف لا تتّسم كنيسة الله بنظام ، وهى ملكوته على الأرض ؟! ... وإذا كان النظام واضحاً فى الطبيعة ، وهى الخليقة الجامدة ، فكيف لا يكون فى الخليقة الناطقة ؟! ... وإن كان واضحاً ومحسوساً فى جسم الإنسان الذى خلقه الله على صورته ومثاله ، فكيف لا يكون فى جسد المسيح غير المنظور الذى هو الكنيسة ؟! ... وإذا كان عقل الإنسان لا يتقبّل المعرفة إلا على أساس النظام ، فمن باب أولى حقائق الروح لا تنفذ إلى أعماق الإنسان إلا من خلال النظام .

وقد أبان الله عن ضرورة النظام فى كنيسته ، وشدّد على وجوب اتباعه . ففى القديم مثلاً أفرز سبطاً خاصاً للخدمة الدينية هو سبط لاوى ، وحصر الكهنة فى بنى هارون ، وحذر من تجاسر الأجنبى وإلا يُقتل . ولم يترك لشعبه الحرية فى طريقة

العبادة ، بل رسم لها نظاماً خاصاً دقيقاً بكل تفصيلاته . وقد أوضح الله ذلك ابتداء من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج ، ثم خصّص له كل سفر اللاويين وجزءً من سفر التثنية . .

وفى العهد الجديد نرى حرص السيد المسيح على اتباع النظام ... ففى معجزة اشباع الآلاف من خمس خبزات وسمكتين نرى المسيح يأمر بالنظام فى الجلوس « اجلسوهم فرقاً خمسين خمسين » . ثم فى نظام التوزيع ، فقد اعطى التلاميذ ، والتلاميذ اعطوا الجموع (لوقا ٩) .

وقد تكلم بولس الرسول عن أهمية النظام فى كنيسة الله ، ووبّخ على الفوضى والتشويش ... يقول لأهل كورنثوس « أم تستهينون بكنيسة الله ... ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب » (١كو١١ : ٢٢ ، ١٤ : ٤٠) ... ولما لم تُسعفه الكتابة قال فى نهاية الأمر « وأما الأمور الباقية فعندما أجيء ارتبها » (١كو١١ : ٣٤) . ونراه يحذّر أهل تسالونيكى بقوله « ونطلب إليكم أيها الأخوة انذروا الذين بلا ترتيب » (١تس ٥ : ١٤) . بل إنه يمنعهم من مخالطة الفوضويين « ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب ، وليس حسب التقليد الذى أخذه منا » (٢تس ٣ : ٦) .

(٢) الممارسات الخارجية فى العبادة هى تعبير حيّ عن العقائد الإيمانية :

العقائد الإيمانية هى حقائق باطنية ومشاعر داخلية غير منظورة . لو ظلت هكذا لبقيت مخفية ، ولما امكن نقلها إلى الآخرين . بل هى ممارسات خارجية مبعثها دوافع باطنية ... فتصديق الإنسان بوجود الله هو عقيدة ، لكن اعترافه به جهراً وعبادته له يسمى طقساً ... والإنسان مثلاً يؤمن بأنه يتناول جسد الرب ودمه الأقدسين . لكن لكى تتم الاستحالة فهناك طقوساً كثيرة فى القداس للتعبير عن ذلك .

(٣) الطقوس مباشرات خارجية تنقل الأثر الروحى إلى داخل الإنسان عن طريق الحواس :

هناك رابطة طبيعية بين العنصرين اللذين يتألف منهما الإنسان ، وهما الروح والجسد . فالانفعال النفسى الباطنى لابد وأن يظهر على الجسم كالفرح والألم والذعر

والخوف... كذلك تتأثر النفس باطنياً بما يدخل إليها عن طريق الحواس، التى هى بمثابة أبواب أو نوافذ المعرفة. وهى التى تنقل العالم الخارجى إلى بواطن النفوس، كالحزن أو الغضب أو الفرح لرؤية منظر معين أو شخص ما... كذلك رؤية المسيح مصلوباً مسمراً على عود الصليب، مطعوناً فى جنبه بالحربة يثير فى الإنسان مشاعر الخشوع. لهذا حرصت الكنيسة مثلاً فى اسبوع الآلام باظهار الحزن بطريقة ملموسة مثل وضع ستور سوداء والألحان الحزاينى وغلق الهيكل وعدم فتح ستره، ولبس الكهنة لثياب الحداد... كما تظهر حكمة الكنيسة فى وضع الصور والايقونات وايقاد الشموع أو القناديل أمامها، واستخدام البخور برائحته العطرية... إلخ. **لذلك فمن الخطأ البيّن أن يتجاهل الإنسان طبيعته فيظن أنه عقل خالص لا يتأثر إلا بالكلام والوعظ، وينسى أن له حواس تتأثر بالمحسوسات بأعظم مما يتأثر العقل من كلمات.**

(٤) الطقوس الخارجية تنقل إلى الإنسان حقائق الديانة العالية:

فى العلوم المختلفة لابد من أشياء تقرّب العلم ذاته إلى العقول. ففى الهندسة مثلاً لابد من الرسوم الهندسية الدقيقة. وفى علم الجغرافيا لابد من الخرائط الجغرافية. وفى بعض الأحيان الرحلات التى تقرّب إلى الإنسان مالا يستطيع التوصّل إليه بمجرد العقل... ناهيك عن علوم الطبيعة والكيمياء وعلم التشريح وعلم الأحياء وما تحتاجها هذه العلوم من تجارب عملية... كذلك الأمر فى الدين. فلابد من الطقوس الخارجية والصور والايقونات لتقريب الفضائل وحقائق الديانة العالية. كما نلمس ذلك فى صور الشهداء وقت تعذيبهم. وعلى نحو ما يحدث فى لقّان خميس العهد وما يصاحبه من غسل الأرجل الذى يقرّب للإنسان فهم التواضع المسيحى...

(٥) الطقوس لها أثر قوى فى النفس:

القاعدة علمياً أنه كلما استخدم الإنسان أكثر من حاسة، كان ذلك ادعى لثبات المعلومات والمعارف. هذا هو عين ما يحدث فى الديانة. فاستخدام حواس النظر فى رؤية الصور والايقونات وثياب الخدام، والسمع فى الاستمتاع بالألحان والانغام الكنسية، والشم فى رائحة البخور والعطور، بل والجسد كله فى السجود والمطانيات... كل ذلك من شأنه أن يولد فى الإنسان انطباعات عميقة.

(٦) الطقوس وسيلة مناسبة لاشراك الجسد مع الروح فى العبادة :

الإنسان كائن مكون من روح وجسد. وإذا كان على الروح واجب العبادة والخضوع لله، فعلى الجسد أن يؤدى هذا الواجب ... والعيب ليس فى عبادة الجسد. بل فى أن الإنسان يؤديها منفصلة عن روحه.

(٧) الطقوس تنقل الديانة إلى الأطفال والعوام والجهلاء :

فالطفل الصغير لا يستطيع أن يفهم حقائق الديانة عن طريق العقل. ولا يستطيع متابعة الوعظ مثلاً، لكن حضوره إلى الكنيسة ليس عبثاً، بل إن ما يراه ويسمعه ويشمّه يُدخل إليه تأثيرات بالغة لا تمحى آثارها. وإذا انتقلنا إلى عوام الناس، نقول إن السيد المسيح أتى للجميع للعلماء والجهلاء... وعوام الناس يجدون فى طقوس الكنيسة وممارساتها خير عون لهم على تفّهم الدين.

ارتباط العبادة الكنسية بالروحانية :

ثمة كلمة أخيرة فى موضوع هذا المساء، **وهى عن وجوب ارتباط العبادة الكنسية بالروحانية** ... إن الانجيل المقدس يقدم لنا عيّنة عابدة هى **حَنَّة النبية** التى ترملت نحو اربع وثمانين سنة «لا تفارق الهيكل **عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً**» (لوقا ٢ : ٣٧) ... **لا يمكن أن يكون إنساناً صدّيقاً باراً، ما لم يكن عابداً حقيقياً بالروح لله** ... إن القديس بولس الرسول الذى كتب إلى أهل رومية موصياً أياهم أن يكونوا «**حارين فى الروح، عابدين الرب ... مواظبين على الصلاة**» (رومية ١٢ : ١١)، **هو الذى حث المؤمنين فى رسائله وفى خدمته الكرازية على الصلاة الدائمة والصوم الكثير وقمع الجسد وتعبه**. ولاشك أن هو نفسه كان مثالاً فى ذلك لكل تعاليمه.. ولقد وبّخ المسيح له المجد خادم كنيسة لاؤديكية لأنه لم يكن بارداً ولا حاراً، بل كان فاتراً، وانذره بأنه مزمع أن يتقيأه من فمه (رؤ٣ : ١٥، ١٦).

إن تأدية العبادة لله عموماً بطريقة آلية شكلية، كفريضة ولا شىء غير ذلك، إنما تكون بمثابة نزع الروح من الجسد.

إن حلاوة العبادة هى أن تؤدى بالروح ... وحينما تُمارس العبادة بهذه الصورة، لا يشعر العابد بملل، ولا يحسّ بالساعات التى يقضيها بين يدى الله

خالقه الذى يتعبّد له !!

العبادة الحقيقية هى رؤية لله، وتعبير عن أفكار العابد ومشاعره من نحوه... إنها بالدرجة الأولى عمل الروح. لا يجب أن تصرفنا طقوس العبادة الكنسية عن الجوهر الذى تهدف إليه الكنيسة، وهى أننا نقدم عبادتنا لله بالروح لأنه هو روح (يوحنا ٤ : ٢٤)... **إن العبادة تصبح كلا شىء مالم تكن لله وحده، ومالم تتلاحم الروح معه...**

إن عبادتنا ترتبط بقبولنا لله. وعلى ذلك فإن عدو الله لا يمكن أن يكون عابداً حقيقياً له... العبادة هى عمل تَقَوى يُقدم لله و يُوجَّه له شخصياً حينما يمثل العابد فى حضرته... وهذا لا يتأتى ما لم يحس الإنسان أنه فى حضرة الله. **من يريد أن يكون عابداً حقيقياً، عليه أن يعرف أولاً الطريق إلى عرش النعمة... إنه طريق واحد. هذا الطريق هو الرب يسوع المسيح له المجد. فهو وحده الطريق** (يوحنا ١٤ : ٦)، **والوسيط الوحيد بين الله والناس** (١تى ٢ : ٥)... **والطريق الذى يجب أن يسلكه العابد هو طريق الصليب، طريق الحب والجهاد !! وأولاد الله وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعبدوه بالحق لأنهم يعرفون الطريق...**

حينما يمارس الإنسان العبادة عليه أن يخلى ذاته من كل شىء، ليكون بكليته لله «أنا لحبيبى وحبيبى لى» (نش ٦ : ٣). حينئذ يتحدث العابد إليه و يستمع إليه وهو يحدثه و يكشف له من أسراره «سرّ الرب لخائفيه» (مزمور ٢٥ : ١٤). إن تفكيرنا فى الله وكل ما يتعلق به يُقدّم لنا مادة لعبادته... فى الله نرى كل القوة والعظمة والسيادة... وفى ملكه اللانهائى يطوف الفكر سريعاً و بعيداً... إن الشمس والكواكب والأقمار والافلاك، ليست سوى نقطة ضئيلة فى مملكة الله غير المتناهية... حينما نتقدم لله لعبادته، نقف بخوف ورعدة أمام ملكنا العظيم، ننحنى أمام عظمته، ذاك الذى **«كال المياه بكفّه، وقاس السموات بالشبر، وكال بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبّان والآكام بالميزان»** (اش ٤٠ : ١٢).

لا شىء يشبع القلب الجائع العطشان مثل المجىء للواحد الكلى القوة والسيادة والمعرفة، لكيما نعبده عن حب... ولعله مما يحرك فينا المشاعر نحو الله

التأمل فى محبته ورحمته ونعمته المجانية التى أظهرها فى إبنه يسوع المسيح ربنا... « هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو٣ : ١٦).. إن تذكّر هذه الأمور تحرّك الإنسان للعبادة.

ربما كان بولس الرسول أكثر كتبة العهد الجديد التزاماً بالمنطق فيما كتب. ومع ذلك نجد هذا الكارز العملاق الذى امتلأ قلبه بمحبة سيده بصورة فائقة وعجيبة، يخرج أحياناً عن السلوك المنطقى ليعّبر عن فرحه العميق حينما يتأمل صلاح الله ومحبته فى المسيح يسوع ربنا فيهتف « مالم ترَ عين ومالم تسمع إذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه » (١كو٢ : ٩)... إنها واحدة من ثورات الفرح التى تفجرت من قلبه الكبير حينما تأمل فى محبة فاديه ومخلّصه... **وفيما هو يتأمل فى ذلك اشتعلت نار الحب فى قلبه وروحه، وانفجرت شفتاه بأغانى التعبد، بينما كان يتحرك فى خدمته البطولية لسيده...**

إن الإنسان يجد اسباباً كثيرة تحفزه على التعبد، حتى أن أولاد الله يحسّون بنيران التعبد تشتعل دائماً فى قلوبهم، مالم تأتِ فيضانات هموم العالم لتفّرق الإنسان وتطفىء نار قلبه المقدسة... **فى هيكل العهد القديم كانت النار فى مذبح المحرقة تظل مشتعلة أبداً لا تنطفىء. هكذا المذبح الداخلى فى الإنسان، فى قلبه لا تنطفىء نار المحبة، ولا تقل حرارتها، إلا حينما يحّول الإنسان وجهه عن الله، وينسى كل ما فعله الله معه واحسن به إليه...** ليتنا نتذكر كلمات صاحب النشيد **«مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة، والسيول لا تغمرها.** إن اعطى الإنسان كل ثروه بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً » (نش ٨ : ٧)... لنحذر أن ننسى الله وكل احساناته « باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته » (مز١٠٣ : ١).

صلوات السواعى والتسبيح فى الكنيسة

- مصدر التسمية
- المسيحيون الأوائل والخلفية اليهودية .
- جذور العبادة المسيحية واليهودية .
- صلوات المسيحيين اليومية فى الثلاثة قرون الأولى .
- مناسبات صلوات السواعى .
- المزامير فى كنيسة العهد الجديد .
- التسبيح فى الكنيسة ومتى بدأ .
- التسبيح هو عمل الكنيسة كأفراد وكجماعة
- سمو التسبيح .

صلوات السواعى

عرف الإنسان الصلاة كركن من أركان العبادة، سواء كان ذلك فى الديانات الوثنية الكثيرة جداً أو الديانة اليهودية... هذا أمر معروف ومسلّم به. لكن الصلاة فى المسيحية أخذت طابعاً مختلفاً وروحاً آخر. إذ صارت تُقدّم فى دالة البنين بثقة إلى عرش النعمة السماوى، فى اسم واستحقاقات ربنا يسوع المسيح، إلى آب سماوى قد صولحت البشرية معه بموت إبنه...

وفضلاً عن وجوب الصلاة الانفرادية، **فقد أكّد الرسل ومعلمو المسيحية الأوائل منذ البداية على ضرورة الصلاة الجماعية وأهميتها** (١كو١١: ١٧، ١٨، ٢٠؛ ١كو١٤: ٢٣، ٢٦؛ عب١٠: ٢٥)... **يقول القديس أغناطيوس الأنطاكى الشهيد «اذا كانت صلاة شخصين متحدين (مت١٨: ١٩، ٢٠)، لها مفعول كبير، فأى شىء لا تقدر عليه صلاة الأسقف متحدة بصلاة الكنيسة كلها ؟!»... كما يقول «احرصوا على أن تقيموا اجتماعتكم بتواتر... لأنه بكثرة اجتماعاتكم تلاشون قوى الشيطان، وتتبدد قدرته المفسدة أمام اتفاق إيمانكم».**

وجدير بالذكر أن الصلاة الربية استخدمت فى الصلوات احتراماً للنموذج الذى أعطاه ربنا يسوع المسيح نفسه. فضلاً عن أنها أعطت احساساً بالأخوة بين المسيحيين الأوائل، وهم يصّلون جميعاً إلى آب سماوى واحد، ينادونه كلهم «أبانا». **وقد أوجبت تعاليم الرسل Didache استخدام الصلاة الربية على المؤمنين.**

كما استخدمت الصلوات المكتوبة إلى جانب الصلوات الارتجالية... ولدينا دليل على ذلك مما جاء فى رسالة كليمنضس أسقف رومية إلى كنيسة كورنثوس التى كتبت نحو سنة ٩٦م. ففى آخر هذه الرسالة نجد سلسلة من التوسلات المترابطة مقدمة لله. و يرجّح العلماء المتخصصون أنها كانت مقتبسة من ليتورجية موضوعة..

بعد هذه المقدمة ننتقل إلى الكلام عن صلوات السواعى ومنشأها واساسها فى كنيسة العهد الجديد ...

مصدر التسمية :

انحدرت إلينا هذه التسمية (صلوات السواعى)، من الكنيسة الأولى .. و يذكر كابت سفر الأعمال أن الرسولين بطرس و يوحنا «صعدا معاً إلى الهيكل فى ساعة الصلاة التاسعة» (أع ٣ : ١). و يذكر أن بطرس الرسول صعد إلى السطح «ليصلى نحو الساعة السادسة» (أع ١٠ : ٩) ... ومنذ البداية كانت مراعاة صلوات السواعى تعتبر عملاً تعبدياً. وأخذ يتطور عبر السنين والأجيال إلى أن استقّر فى صورته الحالية.

ومن الأمور المسلّم بها، والتى لا جدال فيها بين العلماء المتخصصين، أن هناك خلفية يهودية فيما يتصل بالليتورجية وصلوات السواعى فى العهد الجديد ... فلقد إتبع المسيحيون منذ نشأة الكنيسة ـ شأنهم فى ذلك شأن اليهود ـ عادة الصلاة فى ساعات محددة. لاسيما وأن المؤمنين المسيحيين الأوائل كانوا من اليهود.

ارتبط اليهود بثلاث ساعات محددة للصلاة، هى «الثالثة والسادسة والتاسعة» ... يقول داود النبى «مساءً وصباحاً وظهراً اشكو وانوح فيسمع صوتى» (مزمور ٥٥ : ١٧) ... **وقد مارس دانيال النبى فى السبى الصلاة فى هذه الساعات الثلاث.** فقد «جثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم، وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك» (دانيال ٦ : ١٠) ... أثنان من هذه الساعات ـ وهما الثالثة والتاسعة ـ تقرّرتا وتحدّدتا بوقت تقديم الذبائح اليومية

[Josephus Antiquitus , 50, 14, C. 4]

وفى يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس حينما تكلم التلاميذ بألسنة (لغات) أخرى غير لغتهم، وقف بطرس الرسول يعظ الجموع و يدلل على ذلك أن التكلم بألسنة جديدة ليس نتيجة سكر من خمر... «هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون، **لأنها الساعة الثالثة من النهار»** (أع ٢ : ١٥) ... **وبطرس فى حجّته هذه يعتمد على ما كان مألوفاً لسامعيه من اليهود، وهو أن اليهود عامة كانوا لا يحّلون صومهم قبل ذبيحة الصباح والصلاة. وكانت تقدمة الصباح تقدم نحو الساعة الثالثة**

بالتوقيت العبرى (التاسعة صباحاً بتوقيتنا الحالى) ...

وكانت الساعة التاسعة هى الساعة التى صعد فيها الرسولا تن بطرس و يوحنا إلى الهيكل (أع ٣ : ١) ... وفى الساعة التاسعة أيضاً، كان كرنيليوس قائد المائة ـ وهو أحد الوثنين المتعبدين قبل اهتدائه للمسيحية ـ يصلى فى بيته (أع ١٠ : ٣٠) ... **وفى الساعة السادسة** صعد بطرس الرسول إلى سطح المنزل الذى كان نازلاً فيه فى مدينة يافا، ليصلى حيث اعلنت له رؤيا (أع ١٠ : ٩).

المسيحيون الأوائل والخلفية اليهودية :

طبقاً لما سجله سفر أعمال الرسل، فإنه عقب صعود الرب يسوع إلى السماء، كان التلاميذ (المؤمنون) **يواظبون على الصلاة بنفس** واحدة مع النساء والعذارء مريم وأخوته (أع ١ : ١٤) ... **وبعد ذلك نقرأ عن الصلاة كشىء رئيسى من ملامح حياة الجماعة المسيحية الأولى فى أورشليم** ... «كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز **والصلوات**» (أع ٢ : ٤٢) ... وقال الآباء الرسل فى أظهار الحاجة لإقامة الشمامسة «أما نحن **فنواظب على الصلاة** وخدمة الكلمة» (أع ٦ : ٤) (انظر رومية ١٢ : ١٢؛ كولوسى ٤ : ٢) ... **ونلاحظ فيما ذكرناه أن كلمة «صلاة» تكتب أحياناً بصيغة المفرد وأحياناً بصيغة الجمع مما يشعرنا بأوقات محددة لهذه الصلوات.**

وليس هناك ما يدعونا لافتراض أن هذا النشاط فى المفهوم المسيحى، كان ينطوى على اتجاه وطريقة مختلفة عما كان متبعاً فى اليهودية المعاصرة آنذاك، والتى كان لها ساعات ونصوص محدّدة للصلاة ... **فالكلمة المترجمة صلوات فى (أع ٢ : ٤٢) تأتى من فعل يفيد «التقيّد بطقس بأمانة»، الأمر الذى يرتبط بمواعيد منتظمة للصلاة** ... كما أننا فى نفس الآية السابقة (أع ٢ : ٤٢) نلاحظ أن الفعل «يواظبون» فى صيغة الجمع، الأمر الذى يفيد بصورة طبيعية الارتباط بنص محدد للصلوات.

إذاً ما هى أوقات ومحتوى هذا النموذج المنتظم للصلاة، الذى التزمت به الكنيسة المسيحية الأولى والذى بلا شك تسلمته من الرب يسوع نفسه؟

لقد سجل الأنجيليون الأربعة حضور الرب يسوع المتكرر الخدمة فى المجمع اليهودى فى يوم السبت واشتراكه فيها بالوعظ والتعليم. ولأن تلاميذه استمروا فى الحضور فى الهيكل والمجامع اليهودية، فقد افترض العديد من العلماء أن المسيحيين الأوائل قد اشتركوا مع اليهود فى عبادتهم اليومية... **ومن ذلك أن كاتب سفر الأعمال يسجل أن المؤمنين المسيحيين «كانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة»** (أع ٢ : ٤٦)... وليس غريباً أن نقرأ فى سفر أعمال الرسل أن القديس بولس الرسول فى رحلاته التبشيرية كان يذهب إلى المجامع اليهودية حال وصوله إلى أية مدينة (أع ١٣ : ٥، ١٤؛ ١٤ : ١؛ ١٦ : ١٣؛ ١٧ : ١، ١٠، ١٧؛ ١٨ : ٤، ١٩؛ ١٩ : ٨). وإن كان ذهاب بولس إلى هذه المجامع لم يكن بقصد العبادة بل بقصد التبشير بالمسيح المخلص. وإن كان هدف التبشير لا يمكن أن ينفى المشاركة فى العبادة.

انفصال الجماعة المسيحية الأولى فى العبادة عن اليهودية :

على أن الأمر لم يستمر طويلاً، لأنه تقابلنا فقرات أخرى فى سفر الأعمال تدل على أن المسيحيين منذ البداية اتجهوا إلى تكوين جماعة متميزة داخل المجتمع اليهودى كالاسينيين Essenes وغيرهم ليعبدوا على انفراد وبطريقتهم الخاصة... على أنهم لم يبدأوا فى عقد اجتماعات الخدمة الخاصة بهم إلا بعد طردهم من المجامع اليهودية كعقاب لهم كهراطقة ومبتدعين.

وترتبط الإشارة الخاصة بالجماعة المسيحية الأولى والصلاة الواردة فى (أع ١ : ١٤) بعلية صهيون وهى العلية التى فى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (مارمرقس)، وهى ذات المكان الذى أكل فيه السيد المسيح الفصح الأخير وأسس سرّ الأفخارستيا. ويحتمل كثيراً أن الاجتماع قبل الساعة الثالثة بالتقويم العبرى (التاسعة صباحاً الآن) فى يوم الخمسين (العنصرة) (أع ٢ : ١)، كان أيضاً اجتماعاً للعبادة فى نفس هذا المكان. بل ويحتمل كذلك أنه هو نفس المكان المشار إليه فى (أع ٤ : ٢٣- ٣١). وهو نفس المكان المذكور فى (أع ١٢ : ٥، ١٢) والذى قصده بطرس بعد أن أخرجه الملاك من السجن، الأمر الذى يدل على أنه كان هو المكان المخصص لاجتماع الصلاة لمؤمنى أورشليم. وحتى فى الهيكل اليهودى، قيل

أن المسيحيين كانوا يجتمعون معاً فى رواق سليمان بقصد التبشير والصلاة. وهكذا ميّزوا أنفسهم عن الباقين.

مثل هذا الانفصال للجماعة المسيحية فى ذلك الوقت المبكر، لم يكن يثير الدهشة. إذ لم يعد المسيحيون يشعرون بالألفة فى مجامع اليهود، لأن العبادة اليهودية كان يعوزها شيء جوهرى وله أهمية فائقة فى نظر المسيحيين. وهو يسوع المسيح نفسه، الذى تتركز عليه عبادة شعب الله الجديد. ولهذا كان من المحتم أن الجماعة المسيحية تكوّن ذاتها متميّزة بوضوح عن الجماعة اليهودية ... **ويعنى الانطباع الوارد فى سفر أعمال الرسل، خاصة الأستخدام المتكرر لعبارة «معاً بنفس واحدة» (أع ١ : ١٤؛ ٢ : ٤٦؛ ٥ : ١٢)، إنه التزام مشترك بالصلاة اليومية فى الجماعة المسيحية الأولى.**

جذور العبادة المسيحية واليهودية:

وحتى إذا كان المسيحيون الأوائل قد توقفوا عن الصلاة المشتركة مع اليهود منذ وقت مبكر، فإن نظام عبادتهم كان بدون شك متأثراً إلى حد كبير بالعبادة اليهودية التى انبثقت المسيحية منها. ولهذا يجب أن نتوقع أن يستمر المنتصرون الأوائل فى التمسك بنظام الصلاة اليومية، الذى التزم به اليهود فى ذلك الوقت، والذى نفترض أيضاً أن الرب يسوع نفسه كان يراعيه.

كان اليهود يمارسون الصلاة وقوفاً وسجوداً ... «فلما علم دانيال بامضاء الكتابة، ذهب إلىّ بيته وكواه مفتوحة فى عليّة نحو أورشليم، **فجثا على ركبتيه** ثلاث مرات فى اليوم **وصلى وحمد قدام إلهه، كما كان يفعل قبل ذلك**» (دانيال ٦ : ١٠). وطبعاً هذا يشير إلى ما سبق ذكره عن صلاة اليهود فى الصباح والظهر والمساء.

- **وكما كان اليهود يؤدون الصلاة وقوفاً وسجوداً، هكذا فعل المؤمنون المسيحيون الأوائل:**

+توجد اشارة للوقوف فى الصلاة فى (مرقس ١١ : ٢٥). يقول الرب يسوع «ومتى وقفتم تصلّون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم» ... **(والرب يسوع نفسه فى مناجاته لله**

الآب الواردة فى **(يوحنا ١٧) تفيد أنها تمت وهو واقف** «تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء، وقال أيها الآب قد اتت الساعة. فمجّد إبنك ليمجدك إبنك أيضاً»... و يقول بولس الرسول «اريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال» (١تى ٢ : ٨)..

وكانوا يؤدون الصلاة أيضاً إما ركوعاً على الركبتين أو بسجود كامل والوجه إلى الأرض كما فعل الرب يسوع نفسه... فى بستان جثسيمانى يقول لوقا «**جثا على ركبتيه وصلى**» (لو٢٢ : ٤١). و يذكر كل من متى ومرقس أنه «خرّ على وجهه وكان يصلى فى جثسيمانى» (مت ٢٦ : ٣٩؛ مرقس ١٤ : ٣٥)... **هكذا فعل استفانوس شهيد المسيحية الأول** قبيل رجمه بالحجارة «ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية» (أع ٧ : ٦٠)... وهكذا أيضاً فعل بطرس الرسول حال إقامة طابثا من الموت فى مدينة يافا «فاخرج بطرس الجميع خارجاً **وجثا على ركبتيه وصلى**...» (أع ٩ : ٤٠)... وفى مدينة ميليتس بعد أن انتهى بولس الرسول من حديثه الوداعى إلى الخدام «**جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى**» (أع ٢٠ : ٣٦)... وفى مدينة صور وهو فى رحلته الأخيرة إلى أورشليم يقول كاتب سفر الأعمال عن نفسه وبولس وبقية المؤمنين «**فجثونا على ركبنا على الشاطىء وصلينا**» و يكتب بولس إلى أهل أفسس «بسبب هذا **احنى ركبتى** لدى أبى ربنا يسوع المسيح» (أف ٣ : ١٤). و يقول لأهل فيلبى «**لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة** ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (فى ٢ : ١٠).

صلوات المسيحيين اليومية فى الثلاثة قرون الأولى :

واضح أن صلوات المسيحيين الأوائل فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة، مشابهة لما كان يتبعه اليهود فى صلواتهم الخاصة.. **والأدلة على ذلك نجدها فى :**

(أ) تعليم الرسل الديداكى Didache :

فى الفصل الثامن منها نجد أول اشارة واضحة وبلا أى لبس إلى اسلوب الصلاة اليومية فى الكنيسة الأولى... يقول «لا تصلّوا كالمرائين، بل كما أمر الرب فى انجيله، صلوا هكذا: أبانا الذى فى السموات» مع التمجيد «لأن لك القوة والمجد إلى

الأبد». ثم بعدها يتبعها الأمر «**صلوا هكذا ثلاث مرات فى اليوم**»... ووجه الأهمية فى هذا الصدد أن الديداكى كتبت غالباً فى أنطاكية. ويرجح أن كتابتها ترجع إلى الفترة من سنة ٥٠ إلى سنة ٧٠م. وهى معاصرة لكتابات بولس الرسول والأناجيل الثلاثة الأولى Synoptic Gospels ... **لكن ينبغى أن نذكر أن الصلاة الربانية لم تكن تمثل كل ما تحويه الصلاة المسيحية اليومية. لكنها كانت جزء من صلاة أطول كما يستنتج العلماء.**

(ب) رسالة كليمنضس الرومانى أسقف رومية إلى كنيسة كورنثوس:

ويعتبر ما جاء فى هذه الرسالة التى ترجع إلى التسعينيات من القرن الأول **أقدم شاهد مسيحى على الصلاة فى أوقات محددة** (ف ٤٠ : ١ - ٤). حقيقة أن ما جاء فى الرسالة لا يذكر ساعات محددة، لكن الرسالة تقول «**فى أوقات ثابتة**» At set times وترد هذه العبارة فى هذا الفصل ثلاث مرات... «يجب أن نعمل **بنظام** (Taxi) كل ما أمرنا السيد أن نعمله فى **أوقات ثابتة** Kata Kairous Tetagmenous . لقد أمرنا بالتقدمات Prosphoros وخدمات Leitourgias فتممها، وليس بالصدفة وبلا ترتيب ولكن فى **الأوقات والساعات الثابتة** **Orismenois Kai Horais** --- » ---

وما ورد هنا فى رسالة كليمنضس هو أكثر من حث على النظام الكنسى المبنى على العهد القديم، لكنه بالأكثر وصف لما كان حادثاً بالفعل فى ذلك الوقت (أواخر القرن الأول المسيحى)... وما هو أكثر أهمية لليتورجية السواعى هو ما جاء فى رسالة كليمنضس هذه (ف ٢٤ : ١ - ٣)، وهو الموضوع المسيحى فى ذلك العصر المبكر، ويحدد القيمة الرمزية لأوقات النهار... «لنضع فى اعتبارنا يا احبائى، كيف أن الرب يظهر لنا دائماً القيامة الآتية، التى كان ثمرها الأول ما صنعه بقيامة المسيح من بين الأموات. وهكذا نرى أيها الأحباء أن القيامة تمت وفقاً للوقت. النهار والليل يظهران لنا قيامة. الليل يمضى لينام، والنهار يستيقظ. اليوم ينقضى يتلوه الليل».

(ج) كليمنضس الأسكندرى (سنة ١٥٠ ـ قبل سنة ٢٢٠م) :

وفى بداية القرن الثالث فى مصر نرى ساعات (أوقات) محددة للصلاة كالثالثة والسادسة والتاسعة، فضلاً عن وقت الاستيقاظ (باكر) وقبيل النوم وأثناء الليل... يصّر كليمنضس على أن المسيحى الحقيقى يجب أن يصلى على الدوام. ومما يقوله يتضح أن الساعات المحددة للصلاة كانت عادة فى بعض الدوائر ـ صلوات الثالثة والسادسة والتاسعة ـ (المتنوعات ٧ : ٧ ؛ ٤٠ : ٣). وفى موضع آخر يذكر صلاة عقب الاستيقاظ وقبل النوم، فى الليل وقبل وجبات الطعام وأثناءها وبعدها (المربى ٢ : ٩، ١٠ ؛ المتنوعات ٧ : ٧ ؛ ٤٩ : ٣، ٤). لكن يبدو أن أوقات الصلوات هذه اعطيت بالأكثر كنماذج لصلوات الغنوسيين التى لا تنقطع، أكثر منها ساعات واضحة محددة للصلاة.

وفى كتابه المتنوعات (٧ : ٧ ؛ ٤٣ : ٦، ٧) **يشهد كليمنضس للعادة المسيحية المبكرة وهى الاتجاه نحو الشرق فى الصلاة باعتبار أن المسيح هو نور العالم وشمس البر** التى يرمز لها بشروق الشمس من جهة الشرق. هذا الأمر اشير إليه صراحة فى قوانين الرسل على أنه تقليد رسولى. ويتضح ذلك من النقوش القديمة فى السراديب والقبور.

وكليمنضس الأسكندرى هو أول شاهد للصورة الاسخاتولوجية (الأخروية) للصلاة المسيحية ليلاً. وهذه ستصبح أساس الأسهار المسيحية فى الصلوات. هكذا يقول كليمنضس فى كتابه (المربى ٢ : ٩) وهو يرجع فى ذلك إلى ما جاء فى (لو١٢ : ٣٥ـ ٣٧ ؛ أمثال٨ : ٣٤ ؛ ١تس ٥ : ٥ـ ٨). ومازالت كلمة الساهرين Vigilers أو المراقبين Watchers هى التعبير المألوف عن الملائكة فى الكنيسة السريانية حتى اليوم. وأن الرهبان والراهبات الذين يحفظون طقس السهر ليلاً ـ بينما العالم كله يكون نائماً ـ إنما يفعلون ذلك تشبهاً بالملائكة، الذين لا يحتاجون إلى النوم، ولا شىء يقطع تسبيحهم الذى لا ينتهى. وهكذا تصبح الحياة الدينية حياة ملائكية.

(د) اوريجينوس (١٨٥-٢٥٣م) :

وفى كتابه عن الصلاة (٣٢) يشير إلى عادة الاتجاه نحو الشرق فى الصلاة. وفى الفصل (١٢ : ٢) من هذا الكتاب يشير إلى معرفته لأربع صلوات نهاراً : صباحاً وظهراً والمساء والليل. وما ذكره أوريجينوس يعتبر أقدم اشارة إلى المزمور ١٤١ لداود فيما يتصل بصلاة المساء « رفع يدىّ كذبيحة مسائية ».

(هـ) ترتليانوس (١٥٠- ٢٢٠م) :

وعرف أيضاً ترتليانوس عادة الاتجاه نحو الشرق فى الصلاة (الدفاع ١٦) ، فضلاً عن قواعد أخرى فى الصلوات مثل متى يقف المصلى ومتى يسجد فى الصلاة والصوم. وهذه تشير جميعها إلى نمو مستوى الصلاة المسيحية. **وفى كتاباته نجد أول وصف لنظام الصلاة المسيحى، الأمر الذى سيصبح مقرراً نحو نهاية القرن الرابع المسيحى، مثل وجوب الصلاة فى بداية ونهاية كل يوم، مع تقدير كبير وتوصية بالصلاة فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة وليلاً.** كما يطالب المسيحيين بالصلاة قبل تناول وجبات الطعام أو قبل الاستحمام، وحينمايكونون مع الضيوف. **ويشير إلى التسبحة Psalmody كحزء من الصلاة العامة** ... ويذكر ترتليانوس أيضاً **عادة الاستيقاظ للصلاة ليلاً** (رسالته إلى زوجته، ودفاعه ٣٩ : ١٨). **بل أنه يشير إلى *تجمعات أثناء الليل للصلاة*، وهو يمدنا بأول شهادة مبكرة عن عشاء الأغابى (المحبة).**

(و) كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد (٢٠٠ - ٢٥٨م) :

فى مقاله عن الصلاة الربية (ف ٣٤- ٣٦) يتكلم عن نظام الصلاة فى القرن الثالث فى شمالى افريقيا. **إنه يشير إلى صلوات النهار الثالثة والسادسة والتاسعة كعادة رسولية،** ويربطها بما كان متبعاً فى اليهودية، وفى نفس الوقت يقول إنها تشير إلى سرّ الثالوث... ويقول « ولكن بالنسبة لنا يا أخوتى الأحباء، فإنه إلى جانب صلوات الساعات هذه التى روعيت منذ القديم، فإن الأوقات والأسرار زادت. فالإنسان عليه أن يصلى أيضاً فى الصباح حتى ما يحتفل بقيامة الرب. وهذا ما عناه الروح القدس حينما قال قديماً فى المزمور « انصت يارب لكلماتى، واسمع صراخى.

اصغ إلى صوت طلبتى يا ملكى وإلهى، لأنى إليك اصلى يارب، **بالغداة تسمع صوتى. بالغداة أقف أمامك وترانى»** (مزمور ٥)... ومرة أخرى يقول الرب بفم النبى «فى ضيقهم يبكّرون إلىّ (قائلين) هلم نرجع إلى الرب» (هوشع ٥ : ١٥ ؛ ٦ : ١)... وبالمثل يقول النبى ملاخى عن المسيح أنه هو الشمس «ولكم أيها المتقّون إسمى تشرق شمس البّر والشفاء فى اجنحتها» (ملاخى ٤ : ٢)... فإذا كان المسيح فى الأسفار المقدسة هو الشمس الحقيقية واليوم الحقيقى، فيجب علينا عبادة الله دائماً وباستمرار طوال اليوم فى توسلاتنا ...»

وينهج كبريانوس نفس نهج ترتليانوس فى الإشارة إلى دانيال وصلواته ثلاث مرات، ومواضع أخرى من العهد القديم، وصورة الثالوث، وما جاء بسفر أعمال الرسل، وغيرها بوجوب الصلاة فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة.

(ز) التقليد الرسولى Apostolic Tradition :

كتب هيبوليتس Hippolytus الرومانى حوالى سنة ٢١٥. وهو أهم مصدر ليتورجى يرجع إلى القرن الثالث. ويتكلم عن الصلاة باكراً وفى ساعات الثالثة والسادسة والتاسعة وقبيل النوم وفى نصف الليل.

والمهم فيما جاء فى تقليد هيبوليتس الرسولى أن ساعات الصلاة اليومية تضمنت سبع ساعات. لكنها ليست السبعة المستخدمة فى المصادر المتأخرة. وهى باكر والثالثة والسادسة والتاسعة وقبيل النوم وفى نصف الليل وفى وقت السحر (صياح الديك).

وفى القرن الرابع ظهرت الرغبة فى جعل الصلوات سبعة كما جاء فى المزمور «سبع مرات فى النهار سبحتك على احكام عدلك» (مز١١٩ : ١٦٤). **ويتسأل امبروسيوس** أسقف ميلان **«إذا كان النبى يقول سبع مرات، وهو الذى كان مشغولاً بمهام المملكة، فكم يجب علينا أن نفعله نحن الذين قيل لنا: اسهروا وصلوا حتى لا تدخلوا فى تجربة؟»... ويقول أغسطينوس وايلارى أسقف بواتييه «إن الكنيسة عن اقتناع فكرى سبّحت الله لأحكامه البارة سبع مرات فى اليوم».**

مناسبات صلوات السواعى :

لقد رتبت الكنيسة مواعيد صلوات السواعى على اساس مناسبات مقدسة، من الواجب والنافع أن يتذكرها المؤمن حتى ما يسمو بروحه وعقله فيما هو يصليها .

يقول القديس باسيليوس الكبير عن صلاة باكر « إن أول تحركات وانفعالات الروح والعقل يجب أن تكون لله . ويجب ألا نسمح لشىء أن يدخل إلى عقولنا قبل أن نكون قد استمتعنابالفكر مع الله » « .. **وجاء فى قوانين الرسل عن صلاة باكر** « حتى ما نشكر الله لأنه أجاز علينا الليل واقبل النهار واعطانا النور» ...**أما كبريانوس فيقول** « إن قيامة الرب التى حدثت باكراً، يجب أن نحتفل فيها بالصلاة » .

ويقول كبريانوس عن صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة إنها اختيرت لتمجيد الثالوث القدوس. وصلاة الساعة الثالثة وإن كانت استمراراً لعادة يهودية ، لكن صار لها سبب فى المسيحية ، وهو حلول الروح القدس على المؤمنين الأوائل فى يوم الخمسين. وثمة سبب آخر وهو أنه فى تلك الساعة صدر الحكم من بيلاطس الوالى الرومانى على المخلص كما تقول قوانين الرسل وكما يذكر مرقس الإنجيلى (مرقس ١٥ : ٢٥) .

والساعة السادسة هى تذكار صلب المخلص . وفيها بواسطة الرؤيا التى اعلنت لبطرس أن نعمة الخلاص هى للجميع .

وفى الساعة التاسعة محا المسيح عنا خطايانا بدمه كما يقول كبريانوس وقوانين الرسل .

وعن صلاة الغروب يقول باسيليوس الكبير « هل انتهى اليوم ، اشكر ذاك الذى أعاطنا الشمس لتدبر عمل اليوم » أما قوانين الرسل فتذكر سبباً آخر « إننا نشكر الله وقت الغروب أن الله أعطانا الليل كوقت للراحة من عناء اليوم » ... ويقول كبريانوس « لأن المسيح هو الشمس الحقيقية واليوم الحقيقى . وحينما تغرب الشمس

واليوم ينسحب من العالم نصلى ونتوسل أن يأتينا النور ثانية ، ونصلى من أجل مجىء المسيح الذى سيعطى نعمة النور الأ بدى » ... و يضيف يوحنا كسيان أن الرب المخلّص اعطى الافخارستيا للرسل فى وقت الغروب .

وعن صلاة نصف الليل يقول كبريانوس « ليست هناك خسارة من جراء ظلام الليل لأ ولئك الذين يصلّون ، لأن الليل يتحول إلى نهار لأ بناء النور » ... و يقول كليمنضس الاسكندرى فى كتابه المعلم والتلميذ « وفى الليل علينا دائماً أن ننهض من النوم ونبارك الله ، لأنه طوبى لمن يسهرون لأجله . إنهم بذلك يتشبهون بالملائكة » . و يقول اوريجينوس « بدون هذه الصلاة نحن لا نعبر الليل بحالة جيدة » . ثم يشير إلى ما قاله داود « فى نصف الليل نهضت لاشكرك على احكام عدلك » (مز١١٩ : ٦٢) ، وإلى بولس وسيلا فى سجن فيلبى (أع١٦ : ٢٥) .

والقديس كيرلس الأورشليمى يتساءل «متى يكون عقلنا منتبهاً فى الابصلمودية (التسبيح) والصلاة . أليس بالليل ؟ متى نتذكر دائماً خطايانا . أليس بالليل ؟ » ... ويورد امبروسيوس مثال السيد المسيح ويقول « الرب نفسه امضى الليل كله فى الصلاة ، حتى بمثاله هو يدعوك للصلاة » . وفى موضع آخر يقول « كان داود كل ليلة يبل فراشه بالدموع . وكان ينهض فى منتصف الليل حتى ما يعترف لله . يجب أن نفكر أن الليل كله ليس للنوم » ... ومرة ثانية يقدم مثال ربنا و يقول **«النهار ليس كافياً للصلاة . يجب أن ننهض فى الليل وفى منتصف الليل . الرب نفسه امضى الليل فى الصلاة ، حتى ما يدعوك للصلاة بمثاله هو» .**

والقديس جيروم فى بيت لحم يذكر على الأقل ست سواعى كانت تحفظها النساء التقيّات اللائى كان يقودهن « إنه لا يوجد أحد لا يعرف الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والفجر أيضاً والغروب ... وفى الليل علينا أن ننهض مرتين أو ثلاثة (رسالته ١٨ إلى يوستخيوم) ... **ويقول لديمترياس Demetrias** « إلى جانب طقس المزامير والصلاة ـ الأمور التى يجب أن تمارسينها دائماً فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والغروب ونصف الليل وباكر النهار» (رسالته ٩٧) . **وعن بولا Paula وجماعتها يقول** « إنهن يرتلّن المزامير بانتظام فى الصباح والساعات الثالثة والسادسة

والتاسعة والغروب ونصف الليل » (إلى يوستخيوم رسالة ٨٦). ونصح من تعدّ نفسها لهذا النمط من الحياة (حياة العذارى) أن تتدرب على النهوض ليلاً للصلوات والمزامير وترتل فى الصباح. وتقف فى الحقل كجندى صالح ليسوع المسيح فى الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة ... وتقدم ذبيحة المساء حينما توقد المصباح ».

المزامير فى كنيسة العهد الجديد :

• **كان كتاب المزامير هو الكتاب المستخدم للعبادة بواسطة شعب اسرائيل لعدة قرون.** وكان ترتيب هذه الأناشيد الدينية بالصورة التى وصلت إلينا، يحتمل أنها ترجع إلى زمان بناء الهيكل للمرة الثانية أو بعد ذلك بقليل. ولمدة نحو خمسمائة سنة - أى منذ زمان عزرا للمسيح - استخدم شعب الله المزامير فى عبادتهم الدينية ... **فى الهيكل والمجمع والبيوت، رفع اليهود الاتقياء أصواتهم شكراً وحمداً، بنفس الكلمات التى أعطاها يهوه نفسه** ... إن اسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا، تُظهر كيف أن اليهود العائدين من السبى أعادوا بغيرة وحماس الترتيبات الإلهية، وكيف أنهم خدموا الله بفرح فى أناشيد الهيكل (نحميا ١٢ : ٢٤، ٤٥ - ٤٧) ... ولدينا من الأسباب ما يدعونا للاعتقاد أن المزامير استخدمت فى العبادة بواسطة اليهود من وقت تجديد الهيكل بعد العودة من سبى بابل حتى بدء العصر المسيحى.

• **وهناك دليل واضح أن المزامير انتقلت من استخدامها فى خدمة الهيكل والمجمع اليهودى إلى استخدامها فى الخدمة فى الكنيسة المسيحية وتنظيمها، وأنها استخدمت بواسطة المسيحين ككتاب تسابيحهم فى عصر الرسل (٣٠-١٠٠م).**

(١) التكيّف العجيب للمزامير مع احتياجات واستخدامات المسيحية فى انتشارها، وإنما هو برهان غير مباشر على أن كنيسة الرسل استخدمتها فى تسابيحها ... ولا عجب فى ذلك، فلقد كان المؤمنون المسيحيون الأوائل أصلاً من اليهود الذين قبلوا يسوع المسيح الناصرى كالمسيا رباً ومخلصاً. ومن بين هؤلاء كان الرسل الذين صحبوه خلال سنى خدمته بالجسد على الأرض، وكانوا شهوداً لقيامته ... هؤلاء كانوا يألفون المزامير، وسبّحوا بها فى عبادة يهوه فى الهيكل والمجمع اليهودى ... كانوا على بعض المعرفة عما حوته المزامير من نبوءات بخصوص المسيا. وإن كانت دلالتها الكاملة لم

يعرفونها كاملة إلا عندما فتح السيد المسيح ذهنهم ليفهموا الكتب (لوقا ٢٤ : ٤٥)، وبعد أن حلّ عليهم الروح القدس فى يوم الخمسين ... **فضلاً عن ذلك، فلقد سبّح الرب يسوع معهم ليلة تأسيس العشاء الربانى (مت ٢٦ : ٣٠)** ... حقيقة لم تذكر الأناجيل أى تسبحة كانت، لكن من المحتمل أن تكون هى تسبحة مزمور الفصح.

• وفى أول عظة مسيحية، التى ألقاها بطرس الرسول يوم الخمسين (أع ٢)، كانت العقيدة الأساسية التى قدمها لسامعيه ترتكز على تفسير **مزمورين هما المزمور السادس عشر والمزمور المائة والعاشر... وفى أول حديث مسّجل لبولس الرسول فى المجمع اليهودى فى أنطاكية بيسيدية (أع ١٣)، يتحدث عن مزمورين هما الثانى والسادس عشر.. والرسالة إلى العبرانيين مليئة بأدلة مستمدة من المزامير مختصة بشخص الرب يسوع وعمله.** فمثلاً فى الاصحاح الأول من تلك الرسالة هناك سبعة اقتباسات من العهد القديم، ستة منها من المزامير... **ومن الواضح أن المعلمين المسيحيين الرسوليين لم يجدوا صعوبة فى اثبات كل ما يتعلق بالمسيّا فى سفر المزامير كوظائفه ورسالته وموته وقيامته وتمجيده ومملكته ومجده ... إلخ. وهكذا غدا كتاب المزامير فى أيديهم كتاباً مسيحياً.**

• **ولم يكن آباء الكنيسة الأوائل أقل يقيناً من جهة صفة المزامير العامة منا نحن... يقول باسيليوس الكبير** (٣٣٠- ٣٧٩) «التسبحة هى صوت الكنيسة... أمجاد اللاهوت بأشعتها تتألق، يسوع يُتنبأ عنه، القيامة مُعلن عنها. الدينونة معلنة. سيف الانتقام مُشّهَر. تيجان المجد تتلألأ. أسرار لا يُنطق بها تثير الدهشة. كل هذه كنوز محفوظة فى كتاب المزامير كما فى خزانة عادية».

لقد وجدت كنيسة العهد الجديد فى المزامير - وهى جزء من كتابها المقدس - اداة واسعة المحيط، جاهزة ومُنقَّحة لاستخدامها. لذا لم تكن بحاجة إلى وضع تسابيح للعبادة الإلهية. فهذه كانت جاهزة وتحت يدها. فلديها تسابيح الهيكل والمجمع. فضلاً عن ذلك فقد كان لديها المزامير باللغة اليونانية فى الترجمة السبعينية للعهد القديم. وهذا اعانها فى الخدمة فى كل انحاء الامبراطورية الرومانية لخدمة كل الشعوب.

(٢) هل استخدم الرسل وبقية المسيحيين مزامير وتسابيح الكتاب المقدس فى خدمتهم الإلهية، أم كانت هناك تسابيح أخرى غير المزامير؟

حقيقة إن الرب يسوع فى ليلة آلامه سبّح مع رسله الهلّيل Hallel فى الفصح وهى المزامير من ١١٣ إلى ١١٨. وصدق من قال عن ذلك «يمكن القول أن هذه تعتبر النقطة التى منها انتقلت المزامير من العهد القديم إلى الجديد. لأنها صاحبت الاحتفال بالطقس الجديد للعشاء الربانى فضلاً عن الاحتفال بالفصح المنتهى»... و يظن أن نصف الهلّيل الأول (مزمور ١١٣ - ١١٥) كان يرتل فى بداية عشاء الفصح، والنصف الثانى فى النهاية، قبيل ذهاب الرب يسوع وتلاميذه إلى جبل الزيتون (مت ٢٦: ٣٠)... **ولاشك أن استخدام السيد المسيح لهذه المزامير أوجب على مسيحيّى ذلك الزمان أن يستخدموها هم أيضاً فى خدمة التسبيح.**

• **واستخدام المزامير فى صلوات الكنيسة المسيحية عادة قديمة لها جذورها فى الديانة اليهودية على نحو ما ذكرنا**... يكتب القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس «أيها الأخوة متى اجتمعتم، **فكل واحد منكم له مزمور**» (١كو١٤: ٢٦). وواضح من هذه العبارة أن المزامير كانت جزءً من العبادة الجماعية... وكلمات يعقوب الرسول «**أمسرور أحد فليرتل**» (يع ٥: ١٣)، **إنما تشير بكل تأكيد إلى كتاب المزامير**، حيث أن يعقوب الرسول يوجه كلامه إلى اليهود المتنصرين الذين كانوا قبل إيمانهم المسيحى، يسبحون بالمزامير فقط.

وبحكمة بالغة استخدمت الكنيسة المسيحية المزامير فى عبادتها منذ نشأتها. ولعل ذلك يتضح مما كتبه القديس البابا أثناسيوس الرسولى فى رسالة له إلى مارسالينوس... يقول:

«اعلم يا بنى أن كل أسفار الكتاب المقدس سواء العهد القديم أو العهد الجديد موحى بها من الله، وهى كقول الرسول «نافعة للتعليم» **أما المزامير بالذات فتهب للباحث المُجدّ كنزاً خاصاً. هذا ويمتاز سفر المزامير يقيناً - من بين كافة الأسفار الأخرى - بنعمة خاصة وميزة عظيمة جديرة بالاعتبار. فإلى جانب الخصائص التى يتشارك فيها مع الأسفار الأخرى**

نجد له ميزة خاصة عجيبة فريدة. ففى المزامير نجد أن فيها تتمثل وترتسم خلجات النفس بكافة أنواعها المتباينة للغاية، حتى ليصبح السفر أشبه بصورة تعاين فيها نفسك مرسوماً. وإذ ترى نفسك تدرك فتشكلها وفق النموذج المرتسم... فى الكتاب المقدس تكثر النواهى عن فعل الشر، ولكن المزامير وحدها هى التى تنبئك كيف تطيع الوصايا وتمتنع عن الأثم. وكذلك تتكرر فى الكتاب المناشدة للتوبة أى ترك الخطية. ولكن المزامير هى التى ترشدك كيف تمضى فى التوبة، وبأى كلمات تفصح عنها... وفى أسفار الكتاب المقدس نقرأ ونسمع كلمات القديسين على أنها خاصة بمن تكلموها، وليست كأنها كلماتنا على الأطلاق. كما نرى فى الأعمال التى يقصدونها موضوعاً للإعجاب وأمثلة تحتذى. ولكنها ليست بحال أعمالاً عملناها نحن... **أما المزامير عموماً فكأنما هى نفس كلمات قارئها. وكل من يستمع إليها يتحرك قلبه بداخله كأنها تنادى أعمق أفكاره... والعجيب فى المزامير هو أنه باستثناء مزامير النبوات عن المخلّص والأمم، يمكن للقارىء أن يتناول كلماتها بشفتيه على أنها كلماته، ويترنم كل إنسان على أنها كتبت لفائدته الخاصة.** فلا يتلوها كأن سواه يتكلم أو باعتبارها وصفاً لمشاعر إنسان آخر، بل يرتلها عن نفسه رافعاً لله الكلام الصادر تماماً من ذات قلبه كأنه هو واضعه لنفسه».

ولعل مصدرنا الرئيسى عن صلوات المزامير فى كنيستنا القبطية هو يوحنا كسيان الذى عاش نحو عشر سنوات فى مصر يتنقل بين النساك والمتوحدين الأقباط يسألهم ويسترشد بهم. ومما قاله عن رهبان مصر متصلاً بصلوات المزامير:

« رأيتهم فى صلواتهم حينما ينتهون من تلاوة كل مزمور، لا يستعجلون فى السجود كواجب يُراد إنهاؤه كما يعمل الكثير منا الآن. بل رأيتهم على خلاف ذلك. فبعد أن يفرغوا من المزمور، يقفون برهة يَرفعون فيها صلاة قصيرة. ثم ينحنون فى خشوع و يسجدون إلى الأرض بوجوههم بورع كثير وتقوى شديدة. ثم ينتصبون بخفة ونشاط و يعودون إلى وقفتهم المنتصبة، وافكارهم منحصرة فى الصلاة ».

« التسبيح فى الكنيسة »

• • •

يقول المرتل « **طوبى للشعب الذى يعرف التسبيح. يارب بنور وجهك يسلكون. باسمك طول النهار يبتهجون. وببرّك وعدلك يرتفعون** » (مزمور ٨٩ : ١٥ ، ١٦).

يؤلف التسبيح جزءً هاماً فى العبادة المسيحية منذ نشأة الكنيسة... فى التسبيح تهليل وشكر وفرح وتمجيد... وليست الكنيسة وحدها هى التى تسبح، بل الخليقة كلها تسبح خالقها وسيدها وربها... لذا يقول داود « تسبّحه السموات والأرض، والبحار وكل ما يدّب فيها » (مزمور ٦٩ : ٣٤). ولعل قوله هذا هو تعبير بصورة أخرى عن ما يقوله فى مزمور آخر « السموات تحدث بمجد الله. والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١).

وفى المزمور (١٤٨) لا يكتفى المرتل بأن يسبح الله، بل أنه يدعو الخليقة كلها لأن تشاركه فى تسبيح الرب:

فهو يدعو الملائكة وكل الأجناد السمائية، والشمس والقمر والكواكب، وسماء السموات، والمياه والتنانين، واللجج والنار، والبرد الثلج والضباب، والريح والجبال والآكام والشجر، والوحوش والبهائم والطيور، وملوك الأرض والرؤساء وكل الشعوب والأحداث والعذارى وغيرهم لتسبيح الرب.

ونعود إلى ما سبق أن قلناه وهو أنه فى التسبيح تهليل وشكر وفرح وتمجيد... **ونقول أن صلواتنا تعتبر ناقصة ما لم تكتمل بعمل التسبيح بعناصره الذى تذخر به المزامير.**

ليس أدل على أن فى التسبيح فرح وتهليل من قول يعقوب الرسول « أمسرور أحد فليرتل » (يع ٥ : ١٣).. يقول بولس الرسول إلى أهل أفسس مكلمين بعضكم بعضاً

بمزامير وتسابيح وأغانى روحية، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب» (أف ٥ : ١٩). و يكتب لأهل كولوسى «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى. وانتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً **بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب»** (كو٣ : ١٦)...

هذه التعبيرات الثلاثة «مزامير، وترانيم، وأغانى روحية» تطلق فى الترجمة السبعينية للعهد القديم على سفر المزامير. وقد استخدم آباء الكنيسة هذه الترجمة اليونانية. إنهم يتكلمون عن المزامير كترانيم... وقد استخدم يوستينوس الشهيد وترتليانوس و يوحنا كسيان هذا التعبير. بل حتى المؤرخ اليهودى الشهير يوسيفوس (القرن الأول) الذى كان يتكلم العبرية، تكلم عن المزامير كترانيم... ولعل ما قاله صفنيا النبى يؤكد هذا المعنى، يقول «الرب إلهك فى وسطك جبآر. يُخلّص. يبتهج بك فَرحاً. يسكت فى محبته. يبتهج بك بترنم» (صفنيا ٣ : ١٧).

و يتكلم كاتب سفر الأعمال عن بولس وسيلا فى سجن فيلبى إنهما كانا نحو نصف الليل «يصليان و يُسبحّان الله والمسجونون يسمعونهما» (أع ١٦ : ٢٥)... نلاحظ هنا أن التسبيح خلاف الصلاة المعروفة لنا. لم يذكر كاتب سفر الأعمال ماذا كانا يسبحان.. لكن باعتبارهما يهوديين متنصرين، فقد كانا يعرفان المزامير التى يستخدمها المتألمون. يقول داوا **«تحيا نفسى وتسبحك واحكامك تعيننى»** (مزمور ١١٩ : ١٧٥).

يقول القديس لوقا الانجيلى عن الرعاة بعد أن زاروا الرب يسوع مولوداً «ثم رجع الرعاة **وهم يمجّدون الله و يسبحونه** على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم» (لو٢ : ٢٠)... **ومُقعد باب الهيكل الجميل** الذى شفاه الرسول بطرس. بعد شفائه كان **«يمشى و يطفر و يسبح الله» (أع ٣ : ٨).**

التسبيح هو عمل الملائكة... وقد اعلنت رؤيا لاشعياء النبى رأى فيها السيرافيم ينشدون قائلين «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، **مجده ملء كل الأرض»** (أش ٦ : ١ - ٣)... وحتى حينما ظهروا وقت ميلاد المخلّص، شوهدوا مسبحين... **«ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى**

الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» (لو٢ : ١٣ ، ١٤) ... من أجل هذا أخذت الحميّة المرتل وصرخ قائلاً **«سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده»** (مزمور١٤٨ : ٢) ... من أنت أيها الإنسان حتى تحث الملائكة والخلائق السمائية حتى تسبح الله ؟! لكنها النفس التى أحبت الله وهامت فى تسبيحه .

لذا فحينما يسبح الإنسان الكنيسة كجماعة مؤمنين فإنهم يعملون عمل الملائكة ... ومن هنا نفهم ما يعنيه القديس غريغوريوس فى قداسه التأملى الرائع الموجّه للمسيح إبن الله ... **«الذى ثّبت قيام مصاف غير المتجسدين فى البشر. الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السرافيم. اقبل منا نحن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين. احسبنا مع القوات السمائية» !!**

إن الصفة الغالبة للصلاة فى ترتيب كنيستنا هى تسميتها بالتسبحة، وذلك لأن معظم الصلوات تقدم داخل الكنيسة بالترتيل باللحن. فنقول مثلاً تسبحة الساعة الثالثة أو السادسة أو التاسعة ... إلخ . وحتى فى المناسبات الحزينة كأسبوع البصخة ، فإن الصلوات أيضاً تقدم مُلَحنة ، لكنها الحان مناسبة ونغم خشوعى مناسب . وصلا تا الساعتين السادسة والتاسعة وهما تذكار آلام مخلصنا وموته تقدمان كتسبحة ... ولعل هذا مأخوذ عن داود الذى قال «سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك» (مز١١٩) .

متى بدأ التسبيح فى الكنيسة المسيحية ؟

سبق أن ذكرنا أن الكنيسة المسيحية أخذت نظام التسبيح عن عبادة العهد القديم ، سواء العبادة فى الهيكل أو المجمع اليهودى ... والرب يسوع نفسه مارس بنفسه هذا التسبيح . فبعد أن أسس سرّ الأفخارستيا عقب أكل عشاء الفصح **«سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون»** (مت٢٦ : ٣٠ ؛ مرقس ١٤ : ٢٦) .

وعقب تأسيس الكنيسة المسيحية مباشرة فى يوم الخمسين، كان التسبيح جزءً هاماً فى عبادة المؤمنين الجُدد ... «كانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت ، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب **مسبحين الله»** (أع ٢ : ٤٦ ، ٤٧) ... وعلى نحو ما ذكرنا فإن الرسولين بولس وسيلا

بينما كانا مسجونين فى السجن بمدينة فيلبى كانا نحو نصف الليل « يصليان و يسبحان الله ، والمسجونين يسمعونهما » (أع ١٦ : ٢٥) .

وإلى جانب ما ذكرناه قبلاً عما كتبه بولس الرسول إلى المؤمنين حاثاً إياهم على التسبيح (كو٣ : ١٦ ؛ اف ٥ : ١٩) ، **يقول فى رسالته إلى العبرانيين** « فلنقدم به (المسيح) فى كل حين لله **ذبيحة التسبيح** ، أى ثمر شفاه معترفة باسمه » (عب ١٣ : ١٥) ... بل إن **يوحنا الرسول** يوضح لنا مكانة التسبيح فى العالم العتيد ، وإنه هو عمل القديسين المنتصرين فى السماء ، حينما يقول « **وخرج من العرش صوت قائلاً سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفيه الصغار والكبار** » (رؤ ١٩ : ٥) .

التسبيح هو عمل الكنيسة كأفراد وكجماعة :

ربما يظن البعض أن التسبحة (الأ بصلمودية) هى عمل الكنيسة لارتباطه بطقوس العبادة فيها ، وذلك بالنظر لما هو حادث الآن على مستوى الواقع . لكن هذه فكرة خاطئة تماماً . **فالمؤمنون كأفراد مطالبون بالتسبيح كجزء مكمّل لعمل الصلاة . فلقد كانت الكنيسة منذ تأسيسها ـ بمفهومها كمؤمنين ـ يسبحون جميعاً على نحو ما ذكرنا** ... بل إن صلوات السواعى كانت نوعاً من التسبيح باللغات غير العربية ... هذا فضلاً عما جاء فى سفر المزامير... يقول المرتل :

« **لك ينبغى التسبيح يا الله فى صهيون .** ولك توفى النذور . ياسامع الصلاة إليك يأتى كل بشر» (مز٦٥ : ١ ، ٢) . «طوبى للساكنين فى بيتك . **أبداً يسبحونك** » (مز ٨٤ : ٤) ... و يقول داود النبى « **سبع مرات فى النهار سبحتك** على أحكام عدلك » (مز ١١٩) ... « **اسبح الرب المحسن إلىّ** ، وارتل لاسم الرب العالى » ... « يارب افتح شفتى **فيخبر فمى بتسبيحك** » ... « **تحيا نفسى وتسبحك** واحكامك تعيننى » (مز ١١٩) ... « **سبحى يا نفسى الرب . اسبح الرب فى حياتى ، وارتل لإلهى مادمت حياً** » ... ثم يختم سفر المزامير كله بالمزمور (١٥٠) الذى يقول فيه المرتل « **كل نسمه فلتسبح اسم الرب إلهنا** » (مز ١٥٠) ... **لنلاحظ كلام المرتل الذى قاله بالروح القدس « كل نسمة » أى كل إنسان مؤمن .**

سموّ التسبيح ونفعه :

حينما تقترن كلمات الصلاة بالنغم واللحن الذى يتناسب معها ومع مناسبتها ، فإنها تصل بمرتلها أو مرتليها إلى اسمى الدرجات الروحية ، خاصة إذا كانت الكلمات منظومة وموزونة ولها انسجام اللفظ ... إنها فى هذه الحالة تقدم وتُقبل كذبيحة إلهية ...

يقول يوستينوس الشهيد نحو منتصف القرن الثانى فى حواره مع تريفو اليهودى « إنى اعتبر الصلوات وتقديم الحمد حينما تقدم من اشخاص معتبرين ، إنها وحدها الذبائح الكاملة والمقبولة لدى الله » ... و يقول القديس هيبوليتس عن سفر المزامير « إنه الكتاب الثانى بعد أسفار موسى . لأنه بعد موت موسى و يشوع والقضاة ، قام داود وهو الإنسان الذى أتى المسيح من نسله حسب الجسد . **إنه أول من اعطى اليهود تسابيح بطريقة جديدة ،** اطاح بها الفرائض التى أقامها موسى بخصوص الذبائح . فأقام بذلك نظاماً جديداً لعبادة الله بالتسابيح والتهاليل وأمور أخرى كثيرة تفوق ناموس موسى ... وهذا هو علة تفّوق سفر المزامير فى القداسة والمنفعة » ... ولا عجل فى هذا الكلام . فداود نفسه يعتبر التسبيح ذبيحة حقيقية ... يقول « **طفت وذبحت فى مسكنه ذبيحة التهليل** » (مز٢٧ : ٦) ... « **حللت قيودى فلك اذبح . ذبيحة التسبيح** » (مز١١٦ : ١٦ ، ١٧) ... « **ليكن رفع يدىّ كذبيحة مسائية** » (مز١٤١ : ٢) ... و يصادق بولس الرسول على هذا المفهوم بقوله عن المسيح « **فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح . أى ثمرة شفاة معترفة باسمه** » (عب ١٣ : ١٥) .

امثلة للتسابيح فى كنيسينا :

يناجى داود الله و يقول له « **وانت القدوس الجالس بين تسبيحات اسرائيل** » (مزمور ٢٢ : ٣) .

ونكتفى بمثل واحد على ذلك وهو **التسبحة السنوية** .

التسبحة السنوية :

تبدأ التسبحة اليومية فى الكنيسة قبيل الفجر ، فيما الناس نيام ... وكأن المؤمن والكنيسة كجماعة مؤمنين فى حالة سهر ، انتظاراً للرب العريس المخلّص ، وعلى نحو

ما جاء فى مثل العشر عذارى «فى منتصف الليل صار صراخ، هوذا العريس قد أقبل فقمن واخرجن للقائه» (مت ٢٥)...

وتسبق التسبحة صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاث تذكاراً لصلوات السيد المسيح الثلاث فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه (مت ٢٦: ٣٦- ٤٤)... **وتدور الخدمة الأولى** حول انجيل العشر عذارى والسهر الروحى فى انتظار الختن السماوى (مت ٢٥)... **والخدمة الثانية** حول انجيل المرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى، تعبيراً عن الحب الذى يعترف بكل الزلات، والخاطىء الذى يفّرغ مشاعر قلبه التائب أمام سيده كقارورة طيب خالص كثير الثمن زكىّ الشذى والرائحة (لو٧: ٣٦- ٥٠)... **والخدمة الثالثة** تدور حول عطية الملكوت لقطيع المسيح الصغير (لوقا ١٢: ٣٢- ٤٦)... **وبعد الانتهاء من صلوات الثلاث خدمات يقرأ انجيل سمعان الشيخ «الآن يا سيد تُطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢: ٢٩- ٣٢)... وهنا تعبّر الكنيسة والمؤمن المصلى عن الشهوة إلى الانطلاق من العالم إلى الله لأن العين قد ابصرت خلاصه.**

ثم تبدأ تسبحة نصف الليل بلحن ⲦⲈⲚⲐⲎⲚⲞⲨ **(قوموا يا بنى النور لنسبّح رب القوات...). وكأن المسيح قد اقبل وظهر، والكنيسة تصرخ بلحن شجىّ لتوقظ ابناءها ـ ابناء النور**... هذه القطعة بلحنها ترتل والظلام باقٍ، لكن ليس ظلام لابناء الله، فهم دائماً ابناء النور «انتم نور العالم»... ولماذا توقظ الكنيسة ابناءها للقاء رب القوات؟... «لكى ينعم علينا بخلاص نفوسنا»... «عندما نقف أمامك جسدياً انزع من عقولنا نوم الغفلة (مَغالبة النعاس الجسدى، والنوم الروحى).

بهذه البداية تبدأ تسبحة نصف الليل، **أما تسبحة عشية** فتبدأ بلحن ⲚⲎⲈⲐⲚⲞⲤ

ⲦⲎⲢⲞⲨ ⲤⲘⲞⲨ ⲈⲠϬⲞⲒⲤ (المجد لإلهنا ـ ياجميع الأمم باركوا الرب، ولتباركه كافة الشعوب، لأن رحمته قد قويت علينا، وحق الرب يدوم إلى الأبد هلليلويا. المجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين هلليلويا هلليلويا، المجد لإلهنا) **ويعجز اللسان ويعوزنا الوقت عن التأمل فى هذه الكلمات وهى عبارة عن المزمور** (١١٦/١١٧)... **إن المرتل ومعه الكنيسة كلها تدعو كل الأمم وكافة الشعوب فى المسكونة كلها أن تسبح الرب وتباركه. لماذا؟... لأن رحمته**

قد قويت علينا ... نعم، رحمته قويت علينا. صارت قوية وأقوى منا، وهى التى جذبتنا إلى محبته، ومازالت تحفظنا فيها. نحن لم نذهب إليه، بل هو الذى آتى إلينا.. نحن فى يده القوية، ولا يستطيع أحد أن يخطفنا من يده (يو١٠: ٢٨). «رحمته قد قويت علينا، وحق الرب يدوم إلى الأبد»... وإن كانت رحمته قوية، فحقة يدوم إلى الأبد»... والحق هو المسيح (يو١٤: ٦)، وهو الذى يحررنا (يو٨: ٣٢)... كل الرحمة والحق هى من خلال الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس...

- **نعود إلى تسبحة نصف الليل ...**

بعد **ⲦⲈⲚⲐⲎⲚⲞⲨ** يأتى - فى أيام الأسبوع - ماعدا يوم الأحد - ما يعرف باسم الهوس الأول (كلمة هوس **ϨⲰⲤ** كلمة قبطية تعنى تسبيح)، أى التسبيح الأول وهو من الاصحاح الخامس عشر من سفر الخروج. هذه التسبحة قيلت بعد خروج بنى اسرائيل من مصر وعبورهم البحر الأحمر مباشرة... **هذه التسبحة بالمفهوم الروحى ترمز إلى تسبحة المفديين فى السماء لانقاذ الله إياهم من العالم وفرعون الروحى أى ابليس** ... يقول يوحنا فى سفر الرؤيا «ورأيت ... الغالبين على الوحش وصورته وعلى سمته وعدد إسمه ... معهم قيثارات الله. **وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله** وترنيمة الخروف، قائلين: وعجيبة هى أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يارب ويمجد إسمك لأنك وحدك قدوس. لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن احكامك قد أظهرت» (رؤيا ١٥: ٢- ٤).

معلوم لنا أن قصة عبودية بنى اسرائيل فى مصر، وخروجهم منها بقوة الدم (خروف الفصح)، وعبورهم البحر الأحمر مثال المعمودية (١كو١٠: ١، ٢). وغربتهم فى البرية مدة اربعين سنة، واطعامهم من المن والسلوى حتى بلوغهم اورشليم الأرضية (مثال اورشليم السمائية)... **كل هذه رموز لقصة الخلاص الذى تم فى ملء الزمان بموت المسيح الكفارى على الصليب، وما يتصل به من بركات** ... ثم يسبح بنو اسرائيل التسبحة السابقة بعد خروجهم من مصر وخلاصهم من العبودية، وعبور البحر الأحمر.

لماذا رتبت الكنيسة التسبيح بهذه التسبحة التى تتصل بخلاص الشعب قديماً من العبودية بالقوة الإلهية وليس بقوتهم الذاتية؟ بهذه التسبحة (الهوس الأول) تعلن الكنيسة (= مؤمنوها) إنها تحيا من الآن فى إيمان خلاصها الكامل ونصرتها على العالم، كمن عبرت الموت فعلاً. وهى تسبّح وتحمد وتشكر على نصيبها فى المجد، وهى فى طريقها إلى أورشليم السمائية ... على إننا يجب ألا ننسى نقطة هامة، وهى أن هذه التسبحة لم يهتف بها الشعب قديماً إلا بعد تحررهم بقوة الدم وعبورهم البحر الأحمر، ويقينهم من خلاص الله العجيب ... وهذا ما نفعله الآن وما يجب أن نذكره على الدوام أن خلاصنا مجانى من عمل النعمة الإلهية «ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أفسس ٢ : ٩).

لنتأمل فى بعض عبارات جاءت فى هذه التسبحة :

• «فلنسبح للرب لأنه بالمجد قد تمجد».. رمزياً أين ومتى وكيف تمجد! لقد تمجد الرب بالصليب حين دحر الشيطان وأباد سلطانه «قولوا بين الأمم أن الرب قد ملك على خشبة» (مز٩٦ : ١٠ الترجمة القبطية).

• «الفرس وراكبه طرحهما فى البحر» ... هذا الراكب رمز للشيطان وأعوانه واندحارهم فى مياه المعموية (التى ترمز إليها مياه البحر الأحمر)... «مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات... إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا. وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب. إذ جرّد الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه» (كولوسى ٢ : ١٢ـ ١٥).

• «قال العدو إنى اسرع فادرك واقسم الغنائم واشبع نفسى واقتل بسيفى ويدى تتسلط»... هذا منطق الشيطان. أما عمل الله فهو دائماً فى هدوء وبدون غرور «ارسلت روحك فغطاهم البحر وغطسوا إلى اسفل كالرصاص فى مياه كثيرة... تمّد يمينك فتبتلعهم الأرض»... والمسيح مد يديه على الصليب وقهر ابليس «صليب ربنا يسوع الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم» (غل٦ : ١٤).

• «من يشبهك فى الآلهة يارب من يشبهك. ممجداً فى قديسيك، متعجباً منك

بالمجد . صانعاً عجائب ... أليس هذا هو عين ما يحدث حتى الآن من ذاك الذى هو أمس واليوم وإلى الأ بد . ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) .

● « يسمع الشعوب فيرتعدون ... **حتى يعبر شعبك يارب ، حتى يعبر شعبك** الذى اقتنيته » ... **« موسى يكرر عبارة (يعبر شعبك) مرتين ، وذلك اشارة إلى العبور الثانى إلى السماء ، الذى كان العبور الأ ول رمزاً له . وقد ذكرها موسى هنا لارتباطها بالفداء .**

+ بعد الهوس الأ ول يأتى الهوس الثانى وهو المزمور ١٣٥ (١٣٦ فى الطبعة البيروتية) . ثم يأتى الهوس الثالث وهو تسبيح لله من جميع خلائقه ... ثم مديح الثلاثة فتية الذين ألقاهم نبوخذنصر ملك بابل فى أتون النار (دانيال ٣) ... إن الكلدانيين سكان بابل يمثلون الشيطان الذى يشتكى على أولاد الله (رؤيا ١٢ : ١٠) وحرّضوا الملك ضد الفتية الثلاثة . غرور الملك نبوخذنصر عجيب حين يقول للثلاثة فتية « من هو الإله الذى ينقذكم من يدىّ » .. أما الثلاثة فتية فقد أجابوا الملك فى أدب وهدوء « يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر . هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة . وأن ينقذنا من يدك أيها الملك . وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك ، إننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته » ... أما النتيجة فمعروفة أن نار الآتون الذى حُمّى سبعة أضعاف صارت برداً وسلاماً عليهم . وشوهد مع الفتية الثلاثة فى الأ تون رابع شبيه بابن الآلهة ... !!

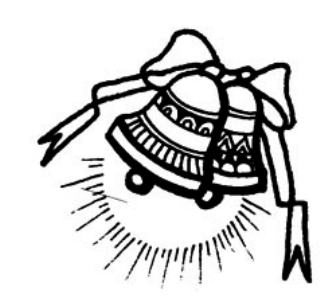
هذه التسبحة مشجعة لنا نحن الذين نجاهد فى العالم ... إنها تذكرنا بكل مواعيد الله الحلوة لنا نحن المؤمنين ... يكفى أن نتذكر كلمات بطرس الرسول « من يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير . ولكن وإن تألمتم من أجل البر فطوباكم . وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا . بل قدّسوا الرب الإله فى قلوبكم ، مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف » (١بط ٣ : ١٣ - ١٥) ... **« فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم »** (يوحنا ١٦ : ٣٣) .

● بعد ذلك يُرتل الهوس الرابع وهو مزامير ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ وقد سبقت الإشارة إليه . ثم ابصالية اليوم (ابصالية تعنى ترتيل) . وبعدها ثيؤطوكية اليوم (الكلمة تعنى

تمجيد والدة الإله)... و يتخلل ذلك مجمع القديسين والذكصولوجيات الخاصة ببعض القديسين (ذكصولوجية تعنى تمجيد بركة).

إن ذكر القديسين فى مجمع التسبحة وكذا الذكصولوجيات تتضمن معنى عميقاً... إنها تؤكد مفهوم الخلود فى العالم الآخر، والشفاعة، والصلة القائمة على مستوى الواقع بين المؤمنين بالمسيح سواء كانوا قد انتقلوا وخلعوا الجسد أو كانوا مازالوا متغربين فى الجسد فى العالم ...

والحق إنه يعوزنا الوقت جداً إن تناولنا كل شىء فى التسبحة بالشرح والتأمل . ونكتفى بمجرد الاشارات التى ذكرناها .



طقوس المعمودية والتثبيت

- خطوات الاعداد لقبول العماد .
- طقس جحد الشيطان .
- طقس المعمودية .
- الختم أو الوسم ومعناه .
- أنماط المعمودية فى العهد القديم .
- سر التثبيت .
- الرشم بالميرون فى الكنيسة القبطية .

قبل أن نتناول الكلام عن المعمودية وطقوسها ، نقول بصفة عامة أن حكمة الكنيسة من طقوسها والأعياد الكبرى على مدار سنتها الليتورجية ، هو أن تكون هذه الطقوس وسيلة فعّالة -ليس فقط لنقل نعمة الأسرار فحسب- ولكن أيضاً لتعليم المؤمنين معناها ، ومعنى الحياة المسيحية كلها .

لكن ينبغى أن نقرر أمراً هاماً ، قبل البدء فى موضوعنا وما يليه من موضوعات ، وهو اننا -قبل القرن الرابع المسيحى ، لم تكن كل طقوس الكنيسة تُرى فى كمالها وروعتها ، حينما كانت الكنيسة مضطهدة تمارس عبادتها خفية تحت الأرض فى السراديب والكهوف والأماكن النائية . ولكن ما أن اعترفت الدولة الرومانية- ممثلة فى شخص قسطنطين- بالمسيحية حتى بدأت تمارس عبادتها فى حرية ، وبدأت تظهر أبنية الكنائس بطرز معمارية خاصة اظهاراً لمعانى خاصة .

زمان المعمودية :

من المؤكد أن المعمودية كانت تعطى فى ثلاث مناسبات رئيسية فى السنة هى الغطاس والفصح والعنصرة... أقدم اشارة إلى هذه الممارسة جاءت فى مقالة ترتليانوس عن المعمودية « الفصح هو الوقت الذى نحتفل فيه بآلام السيد المسيح ، والذى فيه نعتمد ، ثم بعد ذلك العنصرة حيث هناك متسع كبير جداً من الوقت لهذا الغرض ، لأنه فى ذلك الوقت اظهر السيد المسيح ذاته حيّاً للتلاميذ ، وفيه أيضاً أعطيت نعمة الروح القدس وبشّر الملائكة بمجيئه الثانى » .

وعن عيد الغطاس **يقول القديس غريغوريوس النزينزى** وهو يخاطب الذين يؤجلون المعمودية « البعض يقول أنه سوف ينتظر الغطاس ، أى اليوم الذى اعتمد فيه المسيح وظهر للعالم . والآخر يقول أنه يهتم بالفصح أكثر من غيره من الأعياد . والثالث يقول أنه سوف ينتظر العنصرة » .

ومن المؤكد أن كنيسة أورشليم كانت تعمّد فى الأعياد الثلاثة السابق ذكرها حسب شهادة جيروم وذهبى الفم ، وإن فترة الخماسين كانت مخصصة

للتعميد. وحسب شهادة المؤرخ سقراط فإن بعض الكنائس كانت تعمد ليلة عيد الفصح.

لكن على الرغم من كل هذا فإن الكنيسة كانت تمارس المعمودية فى أى وقت. وإن كان التعميد فى هذه المناسبات الثلاث كان شائعاً.

مكان المعمودية :

اعتمد ربنا يسوع المسيح فى نهر الأردن، واعتمد الخصى الحبشى وزير الملكة كنداكة فى مكان فيه ماء قرب الطريق العام، وعمّد بولس الرسول سجّان فيلبى فى بيته ... لم تخصص الكنيسة مكاناً معيناً فى ذلك الوقت المبكر لاجراء المعمودية. حتى أن العلامة ترتليانوس فى أوائل القرن الثالث يقول أن بطرس الرسول عمّد من اهتدوا فى روما فى نهر التيبر مثلما فعل يوحنا المعمدان فى نهر الأردن. ليست ثمة فرق لأن الروح الواحد هو نفسه يقدّس المياه فى كل مكان، ووهب الروح للمياه قوة التقديس بالاستدعاء والصلاة ... **لكن بعد ذلك كان التعميد يتم فى الكنائس دون سواها.**

الاعداد لقبول المعمودية :

كانت الكنيسة تعّد الآتين إليها لقبول المعمودية المقدسة. وكان هذا الاعداد يتطلب دقة واهتمام، لكى لا ينضم **للكنيسة إلا من يفهم حتى ما يكون ثابتاً ...** كان هؤلاء الراغبون فى العماد -فى فترة اعدادهم يسمون «**موعوظين Catechumens**». **وكان الموعوظ يُقبل فى الكنيسة -حسب شهادة التقليد الرسولى وقوانين الرسل- بطقس خاص يعرف باسم وضع اليد ... وعلى ذلك فقد كان اعضاء الكنيسة على درجتين: مؤمنون وهم الذين نالوا سرّ العماد المقدس؛ وموعوظون وهم الذين يرغبون فى الانضمام إلى شركة الكنيسة، وقبلوا كسامعين بوضع اليد والصلاة.** وكان وضع اليد يعقبه رسم الجبهة بعلامة الصليب. وكان الموعوظ يبقى نحو ثلاث سنين فى فترة الاعداد.

أما الموضوعات التى تدرس للموعوظين على مدى هذه السنين فكانت: معرفة الله، وخلق العالم، ومعاملات الله مع الأبرار والأشرار، وتجسد إبن الله وآلامه وقيامته وصعوده، ومعنى جحد الشيطان والدخول فى عهد مع المسيح.

وكان يُسمح للموعوظين بالقراءة فى الكتاب المقدس خاصة اجزاء معينة منه، كما كانوا يقرأون اسفار الحكمة لابن سيراخ ويهوديت وطوبيت، وتعليم الرسل وكتاب الراعى لهرماس .. وكان الموعوظون على درجتين :

(أ) السامعون : وهؤلاء كان يسمح لهم بحضور الوعظ وسماع فصول الكتاب المقدس. لكن لم يكن يسمح لهم بحضور صلوات الكنيسة.

(ب) المستنيرون أو الذين سيعمدون: هؤلاء الذين تم اختيارهم وقدمت اسماؤهم للأسقف وبدأ اعدادهم للمعمودية.

فى القرن الرابع المسيحى كان الشائع أن المعمودية كانت تمنح عادة أثناء الليلة السابعة لأحد القيامة. لكن مراسم المعمودية أو الاعداد الأخير لعماد الموعوظين كان يبدأ فى بداية الصوم الأربعينى المقدس (الصوم الكبير). فلننظر كيف كان يُعَدّ الموعوظون :

خطوات الاعداد لقبول العماد :

(١) كانت اسماء المتقدمين تقيّد فى ذلك الوقت. ثم بعد ذلك مباشرة يبدأ اعدادهم لقبول السرّ.

ومنذ أن تقيّد اسماء هؤلاء الموعوظين فى بداية الصوم الكبير، كان المرشحون ينخرطون فى مجموعة واحدة تعرف باسم جماعة الـ Photizonenoi أى **«الذين سوف يخرجون إلى النور»**.

كان هذا الاعداد للمعمودية يتخذ صورة تسجيل الأسماء... ولدينا وصف ممتع لذلك مما **دونته الرحالة الأسبانية ايثريا Etheria أوائل القرن الخامس المسيحى، واستغرقت رحلتها ثلاث سنوات زارت خلالها مصر وفلسطين وسوريا ودونت ما رأته من مشاهدات دينية فى هذه الأقاليم ومن ضمنها طقس المعمودية الذى شاهدته فى أورشليم أثناء رحلتها للأماكن المقدسة.** تقول: «كل راغب فى قيد إسمه كان يفعل ذلك فى عشية رفاع الصوم الكبير. ويقوم أحد الكهنة بقيد كل الاسماء. وفى اليوم التالى وهو بدء الصوم الكبير الذى تبدأ فيه الأسابيع

الثمانية (١). وفى وسط الكنيسة الرئيسية كان يُعَدّ كرسى الأسقف. وكان هؤلاء المرشحين يتقدمون الواحد تلو الآخر. فإن كانوا من الرجال يصحبهم اشابينهم من الرجال. وإن كانوا من النساء فمع الأشابين من النساء. وحينئذ يسأل الأسقف ـ موجهاً السؤال إلى المرافقين لكل شخص منهم قائلاً: «هل هو يحيا حياة صالحة؟ هل يوقّر والديه؟ هل هو مستعبد لشرب الخمر أو الكذب؟ وإن ظهر أن المتقدم لا لوم فيه باقرار هؤلاء الذين وجهت إليهم الأسئلة، وبحضور الشهود، فإن الأسقف يدّون بخط يده اسم الرجل. أما إذا اتّهم المتقدم بشائبه فى إحدى النقاط، فإن الأسقف يرسله خارجاً قائلاً عليه أن يصلح حياته. وعندما ينصلح يعود إلى المعمودية».

وهكذا نرى ما انطوت عليه هذه المراسم: لقد اعطى المرشح للعماد اسمه إلى الشماس فى المساء. وفى اليوم التالى وبصحبه اشبينه تقدم بنفسه، واجتاز نوعاً من الامتحان لضمان نقاوة دوافعه (٢). وبعد ذلك قيّد الأسقف اسمه فى السجلات. هذا الطقس الذى كان متبعاً فى كنيسة اورشليم يؤكده تيودور الموبسيستى Theodore of Mopsuestia عن طقس كنيسة انطاكية، لكنه يضيف على ما ذكرته ايثريا Etheria، **إن المرشح للعماد كان عليه أن يبسط ذراعيه، ويخفض النظر إلى اسفل ويخلع جلبابه، ويقف عارى القدمين على مسح من الشعر.**

إن المعنى الحرفى لهذه الطقوس واضح، لكن يهمنا أن نسجل ما قاله الآباء المعاصرون لها بحسب فهمهم لها:

● **فى رأى تيودور الموبسيستى عن الامتحان الذى يسبق تسجيل الاسقف وما يصحبه من مناقشة،** إنه فى تلك اللحظة «يحاول الشيطان جاهداً أن يجادلنا مدّعياً أنه لا يحق لنا أن نفلت من ربقته. و يقول إننا ننتمى إليه، لأننا من سلالة رأس جنسنا». ولكى نرده عن أعقابه «علينا أن نسارع الخطى لأن نمثل أمام القاضى، لكى نبين أنه بموجب حقوقنا

(١) الاشارة هنا إلى مدة الصوم الكبير ثمانية اسابيع فى القرن الرابع. وهذا يتمشى مع ما هو متبع فى كنيستنا حتى الآن.

(٢) هذا الامتحان تمتد الاشارة إليه إلى التقليد الرسولى لهيبوليتس سنة ٢١٥م. كما يقدم اغسطينوس تفسيراً ممتازاً للطريقة التى كان يتم بها.

فنحن لا ننتسب إلى الشيطان منذ البداية ، وإنما إلى الله ، الذى خلقنا على صورته (٣) ... ثم يقارن تيودور هذا الامتحان (التجربة) بمنظر الشيطان ، وهو يحاول أن يقتاد المسيح بأجابيله واغراءاته ... ومهما يكن من أمر فإن موقف المتقدم للمعمودية يتعبر موقفاً رمزياً : « لقد خلع رداءه الخارجى ، وهو عارى القدمين » ، لكى يُظهر العبودية التى يمسكه فيها الشيطان أسيراً ، ولكى يستثير عطف القاضى . إنه يشبّه هذه التجربة أو الامتحان بتجربة آدم الأول وآدم الثانى (المسيح) . يقول مرقس الانجيلى « وكان هناك فى البرية أربعين يوماً يجرّب من الشيطان . وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه » (مرقس ١ : ١٣) . **إن تجربة المتقدم للعماد هى بمثابة مشاركة فى تجربة المسيح (انجيل التجربة يقرأ فى كنيستنا فى الأحد الثانى من الصوم الكبير) ... إن وقوف المقبل على العماد على مسح من الشعر إنما يشير إلى التوبة وهو رمز لأقمصة الجلد التى ارتداها آدم بعد السقوط (تك ٣ : ٢١) . وكونه يقف عليها ، إنما هى دليل على أنه من الآن فصاعداً يطأ بقدميه هذه الأقمصة الجلدية .**

• بعد الامتحان يأتى دور تسجيل الأسماء . وهذا بدوره يأخذ معنى رمزياً ...

يقول غريغوريوس النيسى فى عظة له لمن يُرجئون معموديتهم « **هاتوا اسماءكم فأدوّنها بالمداد . ولكن الرب نفسه سوف ينقشها فى مخطوط لا يفسد ، ويكتبها بأصبعه ، كما سبق أن كتب يوماً ما شريعة العبرانيين » . هذه الكتابة فى سجل الكنيسة رمز لكتابة اسماء المختارين فى سجل السماء .**

فى الأحد الأول من الصوم الكبير، كان يتم امتحان وقيد المتقدمين للعماد . وكانت الأربعون يوماً التالية فترة اختلاء ... يقول كيرلس الأورشليمى « إنه من هذا اليوم فصاعداً ، عليكم أن تبتعدوا عن أى عمل شرير ، ولا تتفوهوا بأى كلام غير لائق » ... **هذه الفترة بأكملها ينبغى أن تخصص للاستعداد للمعمودية ... ويقول كيرلس الأورشليمى أيضاً « لو كان يوم عرسك يقترب ، ألا تترك كل شىء آخر وتتفرغ تماماً للإعداد للحفل ؟ إنك على وشك أن تكرّس**

---

(٣) إن ما يبرّر هذا نجده عن بولس الرسول حينما يقول إن معمودية المسيح تحطم لنا ما يطالب به الشيطان كأنه حق له وهو « صك الموت » (كولوسى ٢ : ١٤) .

نفسك لعريسها السمائى. ألا ينبغى أن تدع الأمور المادية جانباً لكى تربح الروحية ؟ » إن هذا الاستعداد يشمل من ناحية تقوية الإيمان ضد هجمات الزلل. وهذا هو الهدف من الدروس. ومن الناحية الأخرى فهى فترة للتقديس والتطهير حيث « يجب أن يزول الصدأ الذى يعلو الروح. وبذلك ينجلى ويبقى المعدن الحقيقى ».

• فى أثناء هذه الفترة يحضر الموعوظ يومياً إلى الكنيسة وقت صلاة باكر. وهذا الحفل اليومى، كان يشمل أول كل شىء طرد الشياطين excorcism بواسطة تلاوة المزامير والقراءة فى الكتب المقدسة ... إن طقس طرد الشياطين يعبّر عن الصراع الذى ينشب بين المسيح وبين الشيطان حول النفس المؤمنة. وله هدف محدد وهو تحرير النفس رويداً رويداً من رقبة الشيطان التى فرضها عليها ...

• وبعد طقس اخراج الشياطين الذى كان يؤدى كل صباح، كان يأتى دور التعليم بالحوار. كان الأسقف يجلس فى الكنيسة، ويلتف حوله جميع الذين يتهيأون للعماد مع أشابينهم رجالاً ونساءً وكل من له رغبة فى الاستماع ماداموا مسيحيين.

• وطوال مدة الأربعين يوماً فى الصوم المقدس، يقرأ الأسقف الكتب المقدسة مبتدئاً بسفر التكوين. ويأخذ فى تفسيرها حرفياً أولاً، ثم تفسيراً روحياً ... ثم بعد مضى خمسة اسابيع من التعليم، يتلقون المعنى الرمزى. وكان هذا هو الأسلوب المتبع فى كل الأسفار المقدسة : أولاً المعنى الحرفى، ثم بعد ذلك الروحى ... **وتنتهى هذه الدروس يوم الأحد السابق لأحد القيامة بدراسة « قانون الإيمان » وتلاوته** ... ويعتبره تيودور الموبسيستى بمثابة الشىء المقابل لعملية اخراج الشياطين. فهذه قد حررت النفس من عبودية الشيطان. أما بتلاوة قانون الإيمان فانك تربط نفسك بالله بتوسط الأسقف. فإنك تبرم ميثاقاً أن تداوم على المحبة نحو الطبيعة الإلهية. على أننا سوف نلاحظ أن هذه النظرة المزدوجة للصراع مع الشيطان ثم التحول إلى المسيح، سوف نجدها باستمرار فى طقس المعمودية كله، الذى ينصب على سرّ الموت ثم القيامة.

طقس جحد الشيطان :

• وآخر طقس فى مرحلة التمهيد للمعمودية يتم فى ليلة عيد القيامة. وكان ينحصر فى «جحد الشيطان» والالتصاق بالمسيح. وهذا الطقس يمثل جزءً من المراسم التمهيدية، بالرغم من أنه موضوع فى طقس ليلة عيد القيامة. وهذا الطقس موجود فى جميع الكنائس القديمة. ويرجع تاريخه إلى زمن قديم، حيث نجد الإشارة إليه فى كتابات العلامة ترتليانوس (النصف الثانى من القرن الثانى واوائل الثالث). ويبدو أنه متصل اتصالاً مباشراً بجحد الوثنية.

كان جحد الشيطان يتم والإنسان متجه نحو الغرب رافعاً يده على نحو ما هو متبع فى كنيستنا حتى الآن. وفى بعض البلاد كان يتم جحد الشيطان بعد أن يخلع الإنسان جلبابه ويقف على مسح من الشعر عارى القدمين، ويداه مرفوعتان ويقول «اجحدك أيها الشيطان، وكل قوتك، وكل عبادتك...». **أما السبب فى الاتجاه نحو الغرب** أثناء جحد الشيطان، **فكما يشرحه كيرلس الأورشليمى «إن الغرب هو جهة الظلمة المنظورة. ونظراً لأن الشيطان الذى صارت الظلمة نصيبه، ومملكته مملكة الظلمة، ولذلك فإنك حينما تتجه بطريقة رمزية نحو الغرب فإنك بذلك تجحد هذا المغتصب المُظلم المُعتم».**

إن صياغة جحد الشيطان هى «تحطيم للميثاق القديم مع الجحيم». وبعد ذلك لا تعود الروح تخشى ذلك «الباغى الطاغى» الذى كان يقتنصها فى قبضته. فلقد حطم المسيح قوة الشيطان وابطل الموت بموته... **أما دلالة رفع اليد الواحدة، أو اليدين فهى تبرز دلالة الجحد. لأن هذه هى العلامة التى كانت فى العصور القديمة تصاحب التعّهد الجاد، اثناء تأدية القسم أو انكاره... إنها تعبّر عن انكار المتقدّم للعماد للعهد الذى كان قد ارتبط به مع الشيطان بسبب خطيئة آدم..**

• «وعبادة الشيطان» تعنى بالنسبة لكيرلس الأورشليمى وتيودور الموبسيستى، كل أنواع الممارسات الوثنية والخرافات والعرافة والرجم بالغيب وتلاوة التعاويذ والتمائم والاعمال السحرية والتنجيم... إن جحد الشيطان وقواته The apotaxis يتفق مع الالتصاق بالمسيح The syntaxis... يقول كيرلس

الأورشليمى «إنك عندما تجحد الشيطان، وتكسر الميثاق القديم مع الجحيم، حينئذ ينفتح أمامك فردوس الله، ذلك الفردوس الذى غرسه الله فى المشرق، ومنه قد طُرد أبونا الأول بسبب عدم طاعته.. وما يرمز إليه هذا، هو انك تتحول فى الأتجاه من الغرب إلى الشرق، الذى هو موطن النور. وهكذا قد طُلب منك أن تردد قائلاً: أؤمن بالآب والابن والروح القدس، وبالمعمودية الواحدة للتوبة»... والاعتراف بالإيمان الذى يتم فى مواجهة الشرق، يكمل الجحد الذى حدث فى مواجهه الغرب..

• لقد كانت العادة المألوفة والعامة هى الاتجاه نحو الشرق للصلاة. ويعتبرها القديس باسيليوس الكبير من أقدم التقليدات فى الكنيسة. وفى أماكن العبادة، بل وفى المساكن الخاصة كان الشرق يُميَّز بصليب منقوش على الحائط. والاتجاه نحو الشرق وقت الصلاة يظهر واضحاً بنوع خاص عند الاستشهاد. ولقد شاهدت بربتوا -شهيدة قرطاجنة الشهيرة- اربعة ملائكة وهم الذين اتوا ليحملوها نحو الشرق بعد موتها. كما نجد هذه العادة فى الاتجاه نحو الشرق أيضاً ساعة الموت. إن الاتجاه نحو الشرق أمر تتميز به المسيحية، وهو ما يقابل الاتجاه نحو أورشليم عند اليهود، ثم ظهر بعد ذلك بفترة من الزمن نحو القبلة أو نحو مكة عند المسلمين... وللاتجاه نحو الشرق مغزى اخروى escatological للطقس. فاتجاه الميت نحو الشرق كأنهم ينتظرون المسيح ليأتى ويأخذهم، ويرتبط بمجىء المسيح الثانى «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً مجىء إبن الإنسان» (مت ٢٤ : ٢٧)... إن الشرق يعنى المسيح ذاته.

وعند القديس امبروسيوس «إنك تتجه نحو الشرق. والإنسان الذى يجحد الشيطان يتجه نحو المسيح ويراه وجهاً لوجه»... ويوحنا فى سفر الرؤيا يقول عن أورشليم الجديدة «لا يحتاجون إلى سراج أو نور الشمس لأن الرب الإله ينير عليهم» (رؤيا ٢٢ : ٥)... وهكذا يظهر المسيح على أنه الشمس المشرقة الأبدية للخليقة الثانية... الشرق يرتبط بالفردوس القديم الذى كان فى الشرق (تك ٢ : ٨)... يقول غريغوريوس النيسى «كما لو كان آدم حياً فينا، فإن كل مرة نتجه نحو الشرق،

ليس لمجرد التأمل فى الله هناك، وإنما لأن موطننا الأصلى، الفردوس الذى سقطنا منه كان فى المشرق. فإنه جدير بنا أن نقول على مثال الإبن الضال: اغفر لنا ذنوبنا» ... وتأكيداً لذلك يقول القديس كيرلس الأورشليمى فيما يتعلق بطقس المعمودية ... «انك عندما تجحد الشيطان ينفتح أمامك فردوس الله، ذلك الفردوس الذى غرسه الله شرقاً. وهو المكان الذى طرد منه أبونا الأول بسبب عدم طاعته. والرمز فى هذا هو تحوّلك فى الاتجاه من الغرب إلى الشرق».

علينا أن نلاحظ هنا أيضاً الأهمية التى للفردوس فى طقس المعمودية، وإنه مقابل آدم الساقط فى أسر ابليس والمطرود من الفردوس، يكون الشخص المتقدم إلى المعمودية بمثابة الإنسان الذى تجدّد على يد آدم الجديد من إسار ابليس ثم يُعاد إلى الفردوس ... وهكذا فإنه مع جحد الشيطان والاعتراف يكون الاستعداد للعماد قد اكتمل على مشارف ليلة عيد القيامة. بعد جحد الشيطان يسأل الكاهن الشخص المعتمد إذا كان بالغاً أو اشبينه إن كان طفلاً: آمنت؟ ثلاث مرات. فيجاوبه ثلاثاً آمنت. وهو مثال اعتراف بطرس للسيد المسيح عند بحر طبرية عقب قيامته المجيدة ثلاث مرات حينما كان يسأله «يا سمعان بن يونا اتحبنى؟» (يوحنا ٢١: ١٥-١٧).



« طقس المعمودية »

كل ما سبق أن ذكرناه من استعداد كان يحدث خارج حجرة المعمودية. ومازال المتقدّم للعماد يعامل كغريب عن الكنيسة. أما الدخول إلى حجرة المعمودية فيعتبر علامة بداية الاستعداد السريع للعماد.. وكان هذا يتضمن اجرائين تمهيدين: خلع الثياب، والدهن بالزيت... وبعد ذلك يتم العماد الفعلى بالتغطيس فى بركة المعمودية وكان يلى هذا التوشح بالثوب الأبيض فى مقابل خلع الثياب السابق...

الدخول إلى حجرة المعمودية:

إن الدخول إلى حجرة المعمودية يشير إلى الدخول إلى الكنيسة، أى العودة إلى الفردوس الذى ضاع بخطيئة الإنسان الأول... يقول غريغوريوس النيسى لمن يؤجلون عمادهم «**انتم خارج الفردوس يا معشر الموعوظين. انتم تشاركون آدم آبانا الأول فى منفاه. أما الآن فإن الباب ينفتح. فارجعوا إلى حيث كنتم قبلاً**»... وبنفس الطريقة يخاطب القديس كيرلس الأورشليمى المتقدمين للعماد «إن الفردوس وشيك الأنفتاح لكل واحد منكم».

وفى الكنائس القديمة كانت هذه الرمزية تأخذ طريقها للظهور فى رسوم حجرات المعمودية. كان من المألوف أن نجد المسيح مرموزاً إليه بالراعى الصالح تحيط به خرافه فى وضع فردوسى ملىء بالأشجار والزهور والفسقيات. وهكذا كانت حجرات المعمودية تذخر بالرسوم والزينات التى تعبّر عن معانى لاهوتية. إنها الفردوس الذى طرد منه آدم، والذى تعيده إلينا المعمودية. ومن هذه الزخارف منظر الغزال تحقيقاً لما جاء فى المزمور «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه». ويرمز ذلك إلى تعطّش الموعوظين إلى اقتبال سرّ المعمودية..

ومن الأمور التى تلاحظ على حجرات المعمودية القديمة انها غالباً ما تتكون من ثمانية اضلاع. ولعل الأصل فى هذا الشكل يحمل معنى رمزياً. «**فالعدد ٨**

(ثمانية) كان بالنسبة للمسيحية الأولى رمزاً للقيامة. فإنه كان فى اليوم الذى يلى السبت أى اليوم الثامن أن المسيح قام من القبر. إن أيام الأسبوع السبعة هى صورة زمان هذا الدهر. أما اليوم الثامن فهو صورة الحياة الأبدية. ويوم الأحد هو التذكار التعبّدى لهذا اليوم الثامن. فهو بذلك تذكرا القيامة ونبوءة عن الدهر الآتى فى نفس الوقت. فإلى هذا اليوم الثامن الذى افتتحه المسيح، يُدخل المسيحى بالمعمودية.

خلع الثياب:

وحينما يقتادون طالب العماد إلى حجرة المعمودية، فإن الموعوظ تنتزع عنه ثيابه. يقول كيرلس الأورشليمى «إنك بمجرد أن دخلت، قد خلعت عنك رداءك. لأن مدة صوم الأربعين وما حدث خلالها من طرد الشيطان Lenten exorcims، قد خلع المتقدم للمعمودية ثيابه الخارجية فقط وحذاءه. أما الآن فهو عار تماماً إنه بمثابة صورة «خلع الإنسان العتيق وأعماله»... الثوب القديم رمز للموت، وبالمعمودية يلبس رداء عدم الفساد.

هذا الإنسان العتيق ـ وهو الذى يشير إلى كل من حياة الخطيئة وإلى الموت أيضاً، قد انتزع أولاً عن الجنس البشرى بالمسيح على الصليب. فإذا كانت المعمودية تعنى صورة المسيح الممات والقائم فإن أمر خلع الثياب هذا هو فى رأى كيرلس الأورشليمى صورة المسيح العارى على الصليب، ويقول «انتم الآن عراة، خالعين الثياب. وفى هذا تحاكون المسيح، الذى انتزعت عنه ثيابه على صليبه، ذاك الذى بعريه جرّد الرئاسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً، ظافراً بهم على الصليب (كولوسى ٢: ١٥). وحيث أن قوات الشر كانت يوماً تملك على اعضائك فإنه ينبغى لك الآن ألا ترتدى ذلك الثوب القديم مرة أخرى. وأنا لا اتكلم الآن عن طبيعتك العاقلة، وإنما عن ذلك الإنسان العتيق بنزواته الفاشلة»... إن تجرد المسيح عن ثيابه على الصليب هو مثال لخلع الإنسان العتيق، الذى تشير إليه الثياب البالية التى يرتديها الإنسان. وبانتزاعها يكون المسيح قد جرّد قوات الشر التى كانت مسيطرة على البشرية، بواسطة الإنسان العتيق هذا. وبالخلع الذى يتم فى المعمودية، والذى هو بمثابة المشاركة فى الخلع الذى اتمه المسيح على الصليب، فإن المتقدم إلى المعمودية يكون بدوره قد تعرّى هكذا، أو جرّد قوات الشر فى

مملكته التى كان يسيطر عليها.

إن هذا العُرى الذى يحدث أثناء العماد لم يرمز إلى انتزاع حكم الموت فقط، بل هو أيضاً عودة إلى حالة البرارة الأولى... يقول كيرلس الأورشليمى «ياللعجب! لقد كنتم عراة أمام أعين الجميع دون الشعور بأى تحرّج أو خجل. وهذا يرجع إلى أنكم تحملون فى قرارة انفسكم صورة آدم الأول، ذاك الذى كان عرياناً دون شعوره بالخجل».

الدهن بالزيت:

وبعد نزع الإنسان الموعوظ لثيابه، يدهن بالزيت. ويعلّق القديس كيرلس الأورشليمى على هذا الطقس فيقول: **«بعد أن نزعتم ثيابكم، دهنتم بالزيت، الذى تمت الصلاة عليه لطرد الشياطين من اعلا رؤوسكم إلى اخمص اقدامكم، وصرتم شركاء فى شجرة الزيتون الحقيقية، التى هى يسوع المسيح. قد انتزعتم من الزيتونة البرية، وطُعمتم فى الشجرة التى بخلاف الطبيعة، وصارت لكم شركة فى غنى الزيت الحقيقى. لأن الزيت الذى تمت الصلاة عليه لطرد الشياطين هو رمز للمشاركة فى غنى المسيح (رومية ١١: ١٧، ٢٤). وهو يجعل كل اثر لقوة العدو تتلاشى. وبالتضرع إلى الله وبالصلاة، يكتسب الزيت القوة، ليس فقط للتطهير من ادران الخطية والقضاء عليها، بل وأيضاً لكى يبدّد كل القوات غير المنظورة التى للشرير.**

النزول إلى بركة المعمودية:

ويُبين لنا القديس كيرلس الأورشليمى أن النزول إلى بركة المعمودية يعتبر كأنه نزول إلى مياه الموت التى هى مستقر شيطان البحر على نحو ما نزل المسيح إلى الأردن لكى يسحق قوة الشيطان الذى كان مختفياً هناك... ويكتب كيرلس قائلاً «إن الشيطان بهيموث Behemoth كما جاء فى سفر أيوب كان فى الماء (ايوب ٤٠). وكان يبتلع مياه الأردن. ولكن من حيث أنه من الضرورى سحق رؤوس التنين، فإن يسوع نزل إلى الماء، وقيّد بالسلاسل ذلك القوى، لكى نأخذ نحن السلطان أن ندوس الحيات والعقارب. إن الحياة قد اقبلت، وقُيّد الموت منذ الآن.

وكذلك فإن كل من ينال الخلاص يستطيع أن يقول: أين غلبتك ياموت؟ لأنه بالمعمودية تُنتزع شوكه الموت. إنك تنزل إلى الماء، حاملاً خطيئتك، ولكن نداء النعمة الذى يختم على روحك بخاتمه، يحول دون ايذائك من الوحش الجبار. وبنزولك إلى مياه الموت ـموت الخطية ـ تخرج منها بعد ذلك حياً فى البّر».

العناوين الحالية فى طقس العماد توضح لنا أن المسح بالزيت يجب أن يتم على الصدر والكتفين. **لكن فى تاريخ المسيحية القديم، كان يقتضى دهن كل أجزاء الجسم. لكن ما الذى يقصد بهذا الترتيب؟** فى بعض الصلوات القديمة الخاصة بتقديس الماء نقول «أنت أنت قدست مياه الأردن بارسال روحك القدوس، وسحقت رؤوس التنين المختفية فيها». هذا النص شاهد واضح على الاعتقاد بأن اعماق المياه كانت مستقر القوات الشيطانية. وأن السيد المسيح قد قهرها بالمعمودية. ومن اجل هذا الصراع الغالب ضد قوات الظلمة، استعد المتقدمون إلى العماد بنوالهم هذا الدّهن الرمزى». (هذا المفهوم واضح فى صلوات اللقان بكنيستنا).

العماد بالتغطيس:

نأتى الآن إلى العماد الفعلى. لكن يسبق العماد تقديس الماء كما نراه فى تعاليم الرسل. يقول تيودور الموبسيستى «أول كل شيء يأتى الأسقف طبقاً لما جاء فى قانون الخدمة الكهنوتية. ويتلو الكلمات المنصوص عليها، ويسأل الله أن تحل نعمة الروح القدس على الماء، فتكون مياهاً قادرة على هذه الولادة الرهيبة»... ويقول القديس امبروسيوس «لقد ابصرتم المياه. لكن ليست كل المياه تشفى. إن الماء الذى يشفى هو الماء الذى يمتزج بنعمة المسيح. إن الماء هو الوسيلة، ولكنه الروح القدس الذى يعمل. إن الماء لا يشفى إذا لم يحلّ عليه الروح القدس لكى يقدّسه».

إن طقس المعمودية يقوم أساساً على التغطيس والخروج من الماء، مصحوباً باستدعاء الأقانيم الثلاثة. إن التغطيس الرمزى يشير إلى التطهير من الخطية. والعماد تطهير وتنقية. وكان هذا هو معنى العماد فى الطقس اليهودى عند التائبين المهتدين. ويصفه لنا العهد الجديد على أنه حميم واغتسال (افسس ٥ : ٢٦). ويشير الخروج من الماء أو الصعود منه إلى شركة واتصال الروح القدس

الذى يعطى الإنسان التبنى. وهذا يجعل الشخص المعتمد خليقة جديدة بواسطة الميلاد الجديد (تيطس ٣ : ٥).

وهنا أيضاً يظهر المعتمد واقفاً قبالة آدم. إن المعمودية خلق جديد للإنسان على صورة الله بعد سقوط آدم القديم إن الموازنة بين آدم والمسيح على جانب كبير من الأهمية فيما ذكره بولس عن لاهوت العماد. ومقارنة المعمودية بخليقة آدم الأول نجدها شائعة عند الآباء. يقول العلامة ترتليانوس «**بواسطة المعمودية يستعيد الإنسان مشابهته لله**».

لكن هذا القضاء على القديم، وخلق الإنسان الجديد، يتم فى الشخص المعتمد، مثالاً للمسيح المائت والمقام من الموت... **يقول القديس كيرلس الأورشليمى «إن المعمودية ليست مجرد تطهير من الخطايا ونوال نعمة التبّنى، بل إنها أيضاً مثال لآلام المسيح... وهكذا فإنك تؤخذ إلى البركة المقدسة فى المعمودية الإلهية كما أُخُذ المسيح من عند الصليب ووضع فى القبر المُعّد له. لقد سُئل كل واحد باسم الآب والإبن والروح القدس. ولقد اعترفت باعتراف الخلاص، وغُمرت فى الماء ثلاث مرات، ثم خرجت متشبهاً بدفن المسيح ثلاثة أيام. وإنك بهذا الصنيع تكون قد مُتّ ثم وُلدتَ. وتكون المياه المخلّصة بمثابة قبر، وكذلك بمثابة رحم الأم»**... هذه الرمزية فى هذا الطقس يظهرها بولس الرسول، أى هذه المشابهة السرائرية بموت المسيح وقيامته.

ويربط كيرلس الأورشليمى بين الثلاث تغطيسات والأيام الثلاثة الفصحية. ثم يقول «يا للعجب ويا للحيرة! إننا لم نمت حقيقة، ولم ندفن حقيقة. وكذلك فإننا فى الحقيقة بعد أن صُلبنا حدث إننا قد قمنا. ولكن هذه المحاكاة تأخذ هذه الصورة eikon، ولكننا نحصل على الخلاص حقيقة. المسيح قد صلب حقيقة، ووضع فى القبر حقيقة، وقام من الأموات حقيقة. وكل هذه الأمور حدثت من خلال المحبة من نحونا، حتى اننا إذ تشاركنا معه بالمحاكاة فى آلامه نحصل بالحقيقة على الخلاص. يا لهذا الحب الغامر الفيّاض من نحو البشر. لقد ارتضى المسيح ليديه وقدميه الطاهرة أن تثقب بالمسامير، ولقد تألم. وبالمشاركة فى هذه الآلام منحنى نعمة الخلاص دون أن أتألم أنا أو أعانى»...

ثم يمضى كيرلس و يقول « فلا يظن أحد إذاً أن المعمودية ما هى إلا مجرد مغفرة الخطايا أو التبنى . أى أننا نصير أبناء فحسب ، حيث أننا ندرك يقيناً أنها فى الوقت الذى تكون فيه تطهيراً من خطايانا واستحقاقاً لموهبة الروح القدس ، فإنها أيضاً التشبه بآلام المسيح . **وهذا ما حدا ببولس أن يقول : أم لستم تعلمون أننا كل من أعتمد للمسيح اعتمدنا لموته . لأننا دفنا معه بالمعمودية للموت** ... « لقد قال هذه الكلمات لأناس ظنوا أن المعمودية منحت مغفرة الخطايا ، وكذلك منحت التبنى ، وليس على أنها قد اعطت أيضاً المشاركة فى التشبه بآلام المسيح الحقيقية . وإنما لكى نعلم أن ما تألم به المسيح قد تألم به من أجلنا ومن أجل خلاصنا الحقيقى ، وليس بحسب الظاهر . واننا مشتركون فى آلامه . **فإن القديس بولس يؤكد ذلك : لأنه إن كنا قد صرنامتحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته . عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية ، كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية** (رو٦ : ٥ ، ٦) . لأنه حيث أن الكرمة الحقيقية قد غُرست فإننا أيضاً فى المعمودية قد طُعمنا فى موته بالمشاركة . تأملوا هذه الفكرة جيداً ، متتبعين كلمات الرسول . فهو لم يقل : إن كنا قد طُعمنا فى موته ، ولكن فى شبه موته . لأن المسيح مات فعلاً وانفصلت نفسه عن جسده فعلاً . **أما بالنسبة لنا ، فمن ناحية هناك مشابهة لموته وآلامه . ومن ناحية أخرى فالأمر ليس مشابهة ، ولكنه واقع الخلاص » .**

إن هذا النص عجيب من كل ناحية . فالمعمودية مثال للآلام والقيامة . أى إنها فى نفس الوقت شبه حقيقى وغير حقيقى للأصل . والنص يوضح لنا مدى التطابق ومدى عدم التطابق . **ففى موت وآلام المسيح هناك شقّان ينبغى التمييز بينهما : الحقيقة التاريخية ، واحتواء نعمة الخلاص . نحن نتشبه بالحقيقةالتاريخية فحسب . ويقدّم لنا طقس السرّ هذا الرمز. أما مضمون نعمة الخلاص فيعطينا مشاركة حقيقية . وهكذا يتحدّد الشقّان للسرّ تماماً**. إنها (المعمودية) رمز عميق الأثر للآلام والقيامة ، وهى تعطينا هذا المثال مادياً ، وتحقيقه لنا روحياً .

إن وجه المقابلة بين دفن المسيح فى باطن الأرض ، وتغطيس المعتمد فى الماء ، يوضّح بجلاء الفارق بين الحقيقة وبين السرّ. وهذا ما يوضحه القديس غريغوريوس النيسى « فلنسأل لماذا يحدث التطهير بواسطة الماء . وما المقصود بالثلاث

تغطيسات ؟ إليكم ما علّمنا إياه الآباء بهذا الشأن ، وما قد تسلمناه منهم : إن ربنا فى قيامة بتدبير خلاصنا ، نزل إلى الأرض لكى يقيم حياتها . ونحن حينما نقبل العماد ، فإننا نفعل هذا حقيقة على صورة ربنا ومعلمنا ، ولكننا لا نُدفن فى الأرض ، لأن هذا سوف يكون مثوى جسدنا حينما نموت ، ولكننا ندفن فى الماء ، وهو العنصر القريب من الأرض ، وبفعلنا هذا ثلاث مرات ، فإننا نتشبه بنعمة القيامة . ونحن لا نفعل هذا السر بنوالنا السرّ فى صمت . ولكن الثلاثة أقانيم تحلّ علينا بالصلاة » .

مياه المعمودية قبر وأم ولود :

ولكن إن كانت مياه المعمودية بمثابة القبر التى يُدفن فيها الإنسان الخاطىء ، فهى أيضاً العنصر المحيى ، الذى تتجدّد فيه ولادة الخليقة الجديدة ... إنها فى نفس الوقت «قبر وأم» كما يقول القديس كيرلس الأورشليمى ... **إن هذه الفكرة تتصل اتصالاً وثيقاً بمبدأ أمومة الكنيسة .** وهى التى يبدو أنها ترعرعت ونشأت بنوع خاص فى كنائس افريقيا . يكتب **العلامة ترتليانوس** فى نهاية كتابه عن المعمودية «إنك تنال البركة بعد أن تخرج من أقدس حميم للميلاد الجديد . وحينما تصلى لأول مرة بجوار امك ومع أخوتك» ... إننا نرى هنا العلاقة بين أمومة الكنيسة والمعمودية . وهذه تبدو أكثر وضوحاً عند **القديس كبريانوس** ... **«طالما كانت ولادة الشخص المسيحى تتم فى المعمودية ، وطالما أن الولادة الجديدة بالمعمودية لا تحدث إلا مع العروس الوحيدة التى للمسيح ، التى تستطيع روحياً أن تلد أولاد الله ، فأين يمكن أن يولد من لم يكن إبناً للكنيسة » .**

إن بركة (جرن) المعمودية هو بمثابة رحم الأم ، حيث يولد ويخرج أولاد الله . وهذا يفسره بجلاء **ديديموس الضرير** فى عقيدته اللاهوتية بشأن المعمودية ... **«إن بركة المعمودية هى أداة الثالوث لأجل خلاص جميع البشر. إنها تصير أماً للجميع بالروح القدس ، بينما هى تظل عذراء .** وهذا ما يعنيه المزمور: ابى وامى قد تركانى أما الرب فقبلنى (إن آدم وحواء لم يستطيعا أن يستمرا بغير الموت) . وهو الذى أعطانى أماً ، ألا وهى بركة المعمودية ، وأباً الإله العلىّ ، وأخاً هو الرب الذى اعتمد من أجلنا» ... ويقول تيودور الموبسيستى «على الأسقف أن يسأل الله أن نعمة الروح القدس تحلّ على الماء لكى يصير الرحم لولادة سرية . لأن المسيح قال

لنيقوديموس : إن لم يولد الإنسان من الماء والروح ، لايقدر أن يدخل ملكوت الله . وكما هو الحال فى ولادة الجسد ، فإن رحم الأم يتلقى النسل ، أما اليد الإلهية فتشكلّه . وهكذا الحال فى المعمودية . يصير الماء رحماً لمن يولد . ولكنها نعمة الروح التى تصوغ وتشكل هنا الشخص المعتمد لولادة جديدة » .

ارتداء الثياب البيضاء :

ثم بعد طقس العماد نفسه ، مازال هناك احتفال أخير، ألا وهو ارتداء الثوب الأ بيض ... يقول القديس امبروسيوس « ها انك بعد العماد قد ارتديت ثياباً بيضاء ، لتكون علامة أنك نزعت عنك رداء الخطية ، وارتديت ثياب نقاوة و براءة » **وهذه الملابس البيضاء تعطى لكى تحل محل الملابس القديمة المخلوعة قبل العماد ، وهى التى كانت رمزاً للإنسان العتيق .** وأما هذه فهى رمز الجديد . وهكذا يتضح بالرمز أحد الجوانب الهامة فى المعمودية . والعبارة **« ثوب عدم الفساد »** ، واصل هذه الرمزية نجده عند القديس بولس **« أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح »** (غل ٣ : ٢٧) . وهكذا يرمز الطقس (لبس الثوب الأ بيض) إلى أحد الجوانب المتعلقة بنعمة العماد .

● **وتشير هذه الثياب فى نفس الوقت إلى طهارة الروح ونقائها وعدم فساد الجسد** ... و يقول القديس كيرلس الأ ورشليمى « أما وقد نزعتم ثيابكم العتيقة ، وتدثّرتم بثياب بيضاء و هكذا ينبغى لكم أيضاً أن تكونوا من الناحية الروحية لابسين الملابس البيضاء . ولست اقصد بذلك أن تلبسوا دائماً الملابس البيضاء ، **ولكن يلزمكم** دائماً أن تتغطّوا دائماً بتلك التى هى بالحقيقة بيضاء ولامعة ، حتى **تقولوا مع** النبى اشعياء : البسنى ثياب الخلاص ، كسانى رداء البرّ (الفرح) (اش ٦١ : ١٠) .

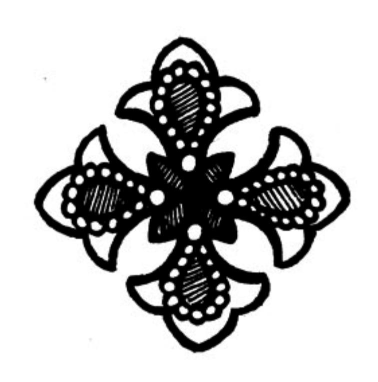
وما هذا المجد سوى مشاركة فى مجد ربنا عند تجليه ، حينما « **تغيرت** هيئته قدامهم ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج » (مت ١٧ : ٢) ... **إن كل من يعتمد يصير طاهراً ، بحسب ما جاء بالانجيل ، لأن ثياب المسيح كانت بيضاء كالثلج حينما اظهر مجد قيامته** كما جاء فى الانجيل . لأن كل من تُغفر خطاياه يصير أبيضاً كالثلج . نفس هذا المعنى يكرره ثيودور الموبسيستى وغريغوريوس النيسى .

• وهناك مجموعة أخرى من النصوص **تجد فى الثياب البيضاء رجوعاً إلى حالة البرارة الأولى التى خلق عليها آدم الأول. ومعنى ذلك أن هذه الثياب البيض ترتبط مرة أخرى بالفردوس، الذى اشرنا إليه فى الكلام عن طقس خلع الثياب القديمة، والتى تشير إلى الأقمصة الجلدية التى ارتداها الإنسان بعد السقوط.** ويظهر ذلك من قول غريغوريوس النيسى وهو يتكلم عن المعمودية «إنك يارب قد طردتنا من الفردوس واسترجعتنا ثانية. لقد نزعت عنا اوراق التين، رداء البؤس، والبستنا مرة أخرى ثوب المجد» ... **ويمضى غريغوريوس باكثر وضوح يتحدث عن الإبن الضال حينما أعطاه أبوه حلّة ... «ليست هى حلّة عادية كسائر الحلل، وإنما الحلة الأولى، التى كانت قد نُزعت عنه بسبب عصيانه وعدم طاعته»** ... لقد تعرى آدم وحواء بالسقوط، بحيث ادركا أنهما عريانان. وهذا معناه أنهما كانا يلبسان شيئاً ما. وهذا يعنى أيضاً ـ بحسب التقليد المسيحى ـ أن النعمة الفائقة للطبيعة كانت توشح الإنسان كالثوب. وهكذا كان ثوب الفردوس بمثابة الحالة الروحية التى كان الإنسان عليها حين خُلق، والتى فقدها بالخطية ... **أما ثياب العماد فهى بمثابة العودة إلى تلك الحال** ... يقول غريغوريوس النيسى «وكما لو كان آدم مازال يعيش فى كل واحد منا، فإننا نرى طبيعتنا تكسوها أقمصة من الجلد. أما الأوراق الساقطة لحياة هذه الأرض، فما هى إلا ثياب صنعناها لأنفسنا بعد أن تعرينا من ثوب النور. فإننا نرتدى الأباطيل والتكريم واشباعات الجسد الزائلة بدلاً من ثيابنا الإلهية».

• واللون الأبيض فى الكتاب المقدس هو لون الثياب المقدسة. ففى العهد القديم كان الكهنة يرتدون قمصاناً من الكتان الأبيض. وفى رؤيا القديس يوحنا رأى الأربعة وعشرين قسيساً مرتدين ثياباً بيضاء (رؤ ٤ : ١). وثياب المسيح البيضاء وقت التجلى إنما تشير إلى القميص الأبيض الذى كان يرتديه الكاهن الأعظم فى يوم الكفّارة.

• والثياب البيضاء لها مغزى اخروى (اسخاتولوجى escatological) إنها تشير إلى المجد الذى يتوشح به القديسون بعد موتهم. يحدثنا سفر الرؤيا أن هؤلاء الذين غلبوا الشيطان بالاستشهاد يرتدون الملابس البيضاء (رؤ٣: ٥، ١٨). ويذكر العلامة ترتليانوس أن الثياب البيضاء هى بمثابة الرمز إلى قيامة الجسد.

• أخيراً نقول أن ما ترمز إليه الثياب البيضاء تتكامل . فهى تشير إلى آدم وحالته فى الفردوس قبل السقوط ، ثم تشير إلى المسيح الذى أتى ليُعيد النعمة المفقودة بآدم . وفى المعمودية تعبّر عن صورة نعمة المسيح . ثم أخيراً تشير إلى المجد العتيد الذى ننتظره فى هذه الحياة الحاضرة .



« الختم أو الوَسْم The Sphragis »

تشمل مراسم التعميد طقساً آخر هو طقس « الختم ». أى نقش علامة الصليب على جبهة المتقدم إلى العماد وقت اجراء التعميد. وهذا الطقس تقليد قديم جداً. ويستشهد به باسيليوس الكبير على أنه تقليد يرجع إلى عصر الرسل. يقول فى كتابه عن الروح القدس « الذين علمونا أن نضع علامة الصليب على أولئك الذين يلقون رجاءهم على إسم الرب ».

ويتنوع وضع هذا الطقس. فتارة نجده مع طقس قيد إسم الراغب فى العماد عند بداية تعليمه. وتارة أخرى يوضع بين جحد الشيطان والعماد كما يذكر تيودور الموبسيستى. **لكن يبدو أن استعماله الأكثر شيوعاً كان بعد المعمودية كما نقرأ عن ذلك فى كيرلس الأورشليمى وامبروسيوس. فهو عندهما يرتبط بدهن الميرون، ويرد ذكره مع هذا الطقس المذكور.** وبالاضافة إلى هذا، فإنه يمكن تكراره خلال فترة الاختبار الأولى.

أهميته :

وترجع أهمية هذا الطقس من أنه يُؤدَّى كدليل للمعمودية عامة. وهذا غالباً ما كان يسمى بالختم. وربما يرجع هذا الطقس فى قدمه إلى بولس الرسول ... « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح، وقد مسحنا هو الله، **والذى خَتَمَنا أيضاً واعطانا عربون الروح فى قلوبنا** » (٢كو١ : ٢٢) ... « الذى فيه أيضاً انتم إذ سمعتم كلمة الحق انجيل خلاصكم، الذى فيه أيضاً **إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس** » (أف ١ : ١٣) ... **كذلك نجد الاشارة إليه فى كليمنضس الرومانى فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس، وهرماس، وترتليانوس ...**

على سبيل المثال يقول **كيرلس الأورشليمى** « ما أعظم المعمودية. إنها فداء المأسورين وغفران الخطايا، وموت الذنوب، والولادة الجديدة للروح، وحلة النور، **والختم الذى لا يُمحى**، والمركبة التى تنقلنا إلى السماء، وافراح الفردوس، وعربون الملكوت، ونعمة التبنّى » ... « **ويقول غريغوريوس النزينزى** « المعمودية هى الشركة

فى اللوغس (الكلمة)، وتحطيم الخطية، والمركبة التى تنقلنا إلى الله، ومفتاح ملكوت السموات، وحلة عدم الفساد، وحميم الميلاد الجديد، **والخاتم**».

اصل الكلمة واستخدامات الختم:

إن كلمة ختم (سفراجيس Sphragis) فى الأزمنة القديمة، كانت تدل على الأداة التى تستخدم فى بَصْم علامة ما. أو هى العلامة التى تطبع بواسطة هذه الأداة. وهكذا فإن كلمة سفراجيس كانت هى الكلمة المستعملة للدلالة على الأداة التى تستخدم فى دمغ علامة على الشمع. وهذه الأختام غالباً ما كان لها احجار ثمينة تستند إلى قاعدتها أو مقبضها ... وهكذا فإن كيرلس الأسكندرى يُحبّذ أن يجعل المسيحيون الأختام على هيئة حمامة أو سمكة أو سفينة منبسطة الشراع، وليس على هيئة الأشكال التى وردت فى الأساطير... وكانت هذه الأختام تستخدم بنوع خاص فى ختم الوثائق الرسمية والوصايا. **وهكذا فإن القديس بولس يستعمل هذا الرمز حين يخاطب أهل كورنثوس ويقول أنهم ختم رسالته فى الرب (١كو٩: ٢). أى أنهم العلامة الصحيحة لها ... ولكن بأكثر تحديد ـ وهنا نأتى إلى الرمزية العمادية ـ فإن كلمة سفراجيس كانت تستخدم للدلالة على العلامة التى كان يدمغ بها صاحب الشىء ما يملكه ... وبهذا المعنى فإن كلمة سفراجيس يكون لها استعمالات متعددة، يكون لها أهمية خاصة بالنسبة لنا هنا.**

• فالختم كان العلامة التى يستخدمها الرعاة من أجل تمييز مواشيهم. كما كان من المألوف فى الجيش الرومانى، أن يعلّموا المستدعين للتجنيد، كعلامة لقيد اسمائهم. وكانت هذه العلامة تتكون من وشم على اليد اوساعد الذراع على شكل صورة مختصرة لإسم القائد ... وهذه المعانى المتنوعة استخدمها آباء الكنيسة للتأكيد بكل الوسائل لخاتم المعمودية.

• إن علامة الصليب التى تطبع على جبهة الشخص المتقدم للمعمودية، تظهر أنه اصبح من الآن فصاعداً للمسيح. وهذا يمكن أن يشير إلى أنه ينتمى إلى قطيع المسيح أو إلى جيش المسيح. وهذه التفسيرات المختلفة تتصل بالمفاهيم المختلفة للمعمودية. فإن مفهوم القطيع يتفق مع الفكرة، بل هو على اقصى غاية من الأهمية فى العماد، أن يكون للراعى الصالح، الذى يعرف خرافه، و يبذل نفسه عنها

ضد الرعاة الأشرار. وبواسطة قبول الختم سفراجيس، فإن الشخص الموعوظ يُعتبر منضماً إلى قطيع الراعى الصالح ... يقول كيرلس الأوشليمى مخاطباً المتقدمين للعماد ... «اقتربوا واقبلوا الختم السرائرى لكى ما يمكن تمييزكم بواسطة المعلم (المسيح). وكونوا معدودين ضمن قطيع المسيح المقدس والمعروف لكى ما توضعوا عن يمينه» ... نفس المعنى يورده تيودور الموبسيستى بقوله أن العلامة واضحة وهى علامة الانضمام إلى عضوية المجتمع المسيحى.

• **لكن الختم Sphragis ليس هو مجرد رمز للامتلاك فحسب، وإنما هو أيضاً حماية ووقاية. ويربط القديس غريغوريوس التنزينزى بين الفكرتين حينما يقول عن الختم إنه «ضمان للحفظ وعلامة الامتلاك».** ثم يطوّر هذه الفكرة بدرجة أكبر قائلاً «إن حصّنتم نفوسكم بالختم، واسمين ارواحكم واجسادكم بدهن المسحة Chrism والروح القدس، فماذا عساه أن يحدث لكم؟ إن هذا، حتى فى هذه الحياة، هو أكبر ضمان يمكن أن تحصلوا عليه. إن الخروف المختوم لا يمكن أيقاعه بالمخادعة بسهولة. ولكن الخروف الذى لا يحمل أية علامة، فهو الذى يقع فريسة للصوص. وبعد الانتهاء من هذه الحياة، يمكنك أن ترقد فى اطمئنان، دون أن تخشى أن تحرم من معونة الله، التى منحك إياها لأجل خلاصك» ... **«ونفس هذا المعنى يورده ديديموس الضرير».**

• **إن الختم Sphragis لا يعتبر بمثابة علامة مميزة للإنتماء إلى قطيع المسيح فحسب، بل أنه أيضاً علامة الإنضمام إلى قائمة جيشه ... وهنا ننتقل إلى فكرة مختلفة. فالمسيح ليس هو الراعى فقط، بل هو أيضاً الملك الذى يدعو رجاله للانضمام إلى قواته** ... ويُعتبر المعمّدون، بمجرد أن يذكروا اسماءهم فى بداية اجراء سرّ العماد، انهم قد استجابوا لهذا النداء، وسجّلوا انضمامهم ... **يقول كيرلس الأورشليمى** ... «وكما يحدث حينما يُفحص الذين يستعدون للقيام بحملة عسكرية، من جهة السّن والصحة، هكذا فإن الرب حينما يسّجل النفوس فإنه يختبر مشيئتها. فإذا اخفى أحدهم شيئاً من النفاق المستتر فإنه يرفضه، حيث أنه شخص غير لائق للحرب الروحية. أما إذا وجده لائقاً، ففى الحال يعهد إليه بنعمته. فهو لا يعطى القدسات للكلاب. ولكنه بمجرد أن يجد ضميراً بلا لوم، فإنه يدمغه بخاتمه العجيب

المخلِّص، وهو ما ترهبه الشياطين، وتعرفه الملائكة، لدرجة أن هؤلاء (الفريق السابق) يولّون الإدبار، أما أولئك اللاحقون فيرافقونه كصديق. إن هؤلاء المختارين إذن وهم الذين ينالون هذا الختم، ينبغى أن تكون لهم مشيئة تتفق مع هذا الختم... **ويقول يوحنا ذهبى الفم «كما أن الخاتم يطبع على الجندى، هكذا الحال أيضاً مع الروح القدس الذى يطبع على الذين يؤمنون.**

إن وضع المسيحى المعّمد حديثاً والجندى يرجع إلى بولس الذى يتكلم صراحة عن المسيحى كجندى ثم عن سلاح المسيحى.

• لاحظنا فيما ذكرناه عن آباء الكنيسة فيما يختص بالخاتم Sphragis هى أنه يجعل المسيحيين مرهوبيين من الشياطين. إن انطباع الصليب فى المعمودية هو وجه من أوجه الكفاح ضد الشياطين، الذى كان يبدأ مع المعمودية منذ البداية. وبالطريقة نفسها، فإن استعمال علامة الصليب فى الحياة المسيحية هو تعبير عن حقيقة إن هذا ما هو إلا استمرار للصراع ضد الشيطان. **وبواسطة المعمودية انهزم الشيطان، وبعلامة الصليب لم يعد الشخص المعتمد ينتمى إلى الشيطان. ومن ذلك الوقت فصاعداً يكفى المسيحى أن يرسم هذه العلامة فحسب، لكى يصّد هجمات الشيطان، ويجعله يلوذ بالفرار.**

• **كانت علامة الختم Sphragis تستعمل كعلامة للجنود والأغنام. وثمة استخدام ثالث ألا وهو استعماله كعلامة للعبيد... ولدينا الدليل على مثل هذا الاستعمال فى الشرق، حيث كان العبيد يأخذون هذه العلامة التى لا تُمحى، دلالة على امتلاكهم، وذلك بنوعٍ من أنواع الوشم.** أما فى الغرب فكان الأمر قاصراً على العبيد الهاربين من القانون، الذين كانوا يُعلَّمون بعلامة هكذا. وهذا ما يذكره امبروسيوس «إن العبيد يُميّزون بعلامة سيدهم». ونحن نسمى هذه العلامة ختماً Sphragis أو وصمة وانطباعها يسمى الندبة.

ونضيف هنا أن الختم لم يترك مجرد علامة انتماء عبد لسيد أرضى، وإنما للدلالة على العلامة التى يظهر بها العبد الأمين انتماءه لذلك الإله (عادة وشم الجسم مألوفة منذ القديم عند المسيحيين. ويذكر بروكوبيوس Procopius الذى من

غزة أن كثيرين وشموا أنفسهم على اليد أو الذراع باسم يسوع أو الصليب)... وهذا يلقى الضوء على النص الذى ورد فى (غلاطية٦ : ٧) «فيما بعد لا يجلب أحد علىّ اتعاباً ، لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع » .

وتمييز إنسان بختم كعلامة لكى يكون مصوناً، له امثلة فى الكتاب المقدس... فقايين ميّزه الله بعلامة لئلا يقتله أحد (تك ٤ : ١٥) . هذه العلامة هى علامة وقاية . إنها اثبات من الله لحماية الإنسان الخاطىء . وفى حزقيال نقرأ أن المنتمين لعضوية اسرائيل المستقبل يحملون علامة الله على جباههم (حزقيال ٩ : ٤) . هنا إذن رمزية مبدئية للختم Sphragis ومما هو جدير بالملاحظة ، أن هذه العلامة على شكل T . وفى العهد الجديد فى سفر الرؤيا ، يظهر القديسون ولهم علامة الخروف (رؤ٧ : ٤) ... [هذان النصّان يربطهما كبريانوس ربطاً قوياً بعلامة الصليب الموضوع على جباه المسيحين] ... وربما كانت هذه العلامة T هى علامة الصليب فإذا كنا نتذكر الحقيقية فى أن سفر الرؤيا ملىء بالاشارات إلى المعمودية ، فمن المؤكد أن علامة الخروف هذه تشير إلى الختم Sphragis فى طقس تقديم الموعوظين .

وعلى أية حال ، فإننا نرى المعنى الذى اختص بختم المعمودية من خلال هذه السطور أنه يحمل طابع صيانة المسيحى ... يقول كيرلس الأورشليمى «إن الكاهن قد أعطاك علامة على جبهتك بالختم Sphragis لكى تنال بطابع الختم هذا التكريس لله » ... لقد ارتبط المسيحى ارتباطاً مباشراً بعلامة الصليب نفسها . فإنه بالصليب قد جرّد المسيح الرئاسات والقوات ، فصاروا بعد ذلك منهزمين . وبالمعمودية يتشارك المسيحى فى انتصار المسيح هذا . ومن الآن فصاعداً لن يكون لقوات الشر سلطان عليه . لذا يكفى أن يرسم ذاته بعلامة الصليب ، لكى يذكّر هذه القوات بانهزامها فتلوذ بالفرار. ويتفق هذا مع طقس العماد نفسه تماماً ، **كما يشرح كيرلس الأورشليمى «إن عمل النعمة الذى انطبع على روحك بخاتمه يحول دون أن يبتلعك الشيطان » .**

وحين يتحدث كيرلس عن الختم لا يقصد مجرد وضع علامة الصليب عند العماد ، بل إلى العادة المسيحية الشائعة بيننا برسم علامة الصليب على جباهنا فى جميع ظروف الحياة ... «ليتنا لا نستحى بصليب المسيح ، بل وإذا أخفاه أحد

آخر، ألست تحمل علامته علانية على جبهتك، حتى إذا رأى الشيطان هذه العلامة الملوكية، فإنه يرتعد ويرتد هارباً. ارسم هذه العلامة حينما تأكل وحينما تشرب، وحينما تتكلم. والخلاصة فى جميع المناسبات ... ليتنا لا نخجل من أن نعترف بالمصلوب. ولنرسم علامة الصليب بثقة على جباهنا بأصابعنا. ونفعل هكذا فى كل الظروف. وحينما نأكل وحينما نشرب، وحينما ندخل وحينما نخرج. وقبل أن ننام. وحينما نرقد، وحينما نستيقظ. وفى هذا حماية عظمى مجاناً للفقراء، وفى متناول يد الضعفاء، مادامت النعمة تأتى من عند الله. إنها علامة للمؤمن ورعب للشياطين. لقد انتصر الرب عليهم بالصليب. وهكذا فإنهم مادامت حين يرونها، يتذكرون المصلوب فيرهبونه، ذلك الذى سحق رؤوس الشياطين».

وأمامنا مثلان بارزان عن هذه القوة التى للختم Sphragis :

الأول نجده فى حياة القديس انطونيوس الكبير فى احدى تجاربه. لقد حدث أن بعض النسوة أتين ليزرن القديس انطونيوس. ونظراً لأنه لم يشأ أن يقبلهن فى قلايته، اضطررن أن يمكثن فى الخارج نهاراً وليلاً ... وما لبثن أن سمعن من الداخل صياحاً، كما لو كان صياح جماهير، وعويلاً وأنيناً وصراخاً: اذهبوا بعيداً، ماذا تفعلون ههنا فى الصحراء؟ إنكم لن تستطيعوا أن تقاوموا هجماتنا. وفى أول الأمر ظن الناس الواقفون خارجاً أنه لابد وأن يكون هناك أناس فى الداخل، كانوا يقاتلون مع أنطونيوس. ولكنهم نظروا إلى الداخل من خلال ثقب المفتاح فلم يروا شيئاً، ففهموا أن الضوضاء كان مصدرها الشياطين، الذى ارتعبوا. فصرخوا إلى انطونيوس. أما هو فأعطاهم (أى الذين فى الخارج) اهتماماً أكثر مما أعطاه للشياطين. واتى إلى الباب، وجعلهم يتعهدون أمامه أن يغادروا المكان. **ثم قال ارسموا انفسكم بعلامة الختم، واذهبوا بسلام. وهكذا ذهبوا مؤيدين بعلامة الصليب.**

أما الحادثة الثانية فنجدها فى حياة القديس غريغوريوس العجائبى كما يذكرها القديس غريغوريوس النيسى. يحكى أن أحد الشمامسة، دخل إحدى المدن ليلاً وأراد أن يستحم. وكان يسيطر على هذا المكان شيطان قتّال للناس، كان يسكن الحمامات. وكان يمارس قوته الشريرة حينما يسدل الظلام، على أى أحد يقترب منه.

ولذا فلم يكن أحد يستعمل هذه الحمامات بعد غروب الشمس. وذهب الشماس إلى حارس البوابة، سأله أن يفتح له الباب. ولكن الحارس أكّد له أن كل من تجاسر واقترب من المياه فى هذا الوقت من النهار، لم يرجع على قدميه، بل الكل قد وقع فى براثن سلطة الشيطان. ووقع كثير من الناس فريسة لأمراض عضال. ولكن الشماس أصر، فأعطاه الحارس المفتاح. ولم يكد يخلع ملابسه ويدخل حتى ثارت كل وسائل الازعاجات والرعب من الشيطان، وظهرت اشباح من كل صنف، فى مزيج من اللهب والدخان، يشدون فى اشكال رجال وحيوانات، ويهمسون فى اذنيه، ويقتربون إليه، حتى تكاد أنفاسه أن تصدمهم، وينتشرون أمامه فى حلقة مستديرة حول جسمه. ولكنه كان يحمى نفسه بعلامة الختم Sphragis، وكان يبتهل باسم السيد المسيح، ثم عبر الغرفة الأولى دون عائق. وبالطريقة نفسها عبر الحجرة الثانية. وهناك واجهته اشباح جدد، فأعاد الكرّة بعلامة الصليب. وأخيراً أخذ الشماس حمّامه، وعاد فى هدوء، لشدة دهشة الحارس.

معانى الختم:

فيما يختص بمعانى الختم Sphragis يتبقى نص آخر عند القديس كيرلس يشير إلى دلالة جديدة ترشدنا إلى طريق المعنى الحقيقى لهذا الطقس... يقول «**بعد الإيمان ـ شأننا فى ذلك ابراهيم ـ ننال الختم الروحى Spritual Sphragis بعد أن نختتم فى المعمودية بواسطة الروح القدس**»... هذا يعنى ارتباط الختم فى المعمودية بالختان اليهودى. وحيث أن هذا كان ختم العهد مع الله والاتحاد فى اسرائيل القديم، **هكذا تكون المعمودية ختم الارتباط الجديد والارتباط فى اسرائيل الجديد** (تعبير ختم العهد مستعملة فى قوانين الرسل فيما تتصل بالمعمودية .Apost 2 و22 و7 Canstitution) فالختم Sphragis هنا أخذنا إلى لاهوت العهد. ونتيجة لهذا فإن المعمودية تنسب إلى رموزها فى العهد القديم. **هذا التفسير له أهيمته فكثيراً ما يشير بولس الرسول** إلى الختم Sphragis... «الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١: ١٣) ويستخدم بولس الرسول فى مكان آخر عبارة الختم لكى يصف ختان ابراهيم «وأخذ (ابراهيم) علامة الختان ختماً Sphragis لبرّ الإيمان، الذى كان فى الغرلة» (رو٤: ١١). إن التوافق تام بين النصين. **فنحن على حق**

تماماً فى أن نعتقد أن القديس بولس حينما يتحدث عن خاتم Sphragis المسيحيين الذى يتم بعد الإيمان، إنما هو يؤسس توازياً بين المعمودية والختان الذى كان ختم Sphragis العهد القديم [فضلاً عن ذلك فإن التسلسل الذى يشمل المتقدم للمعمودية، ثم بعد ذلك نوال المعمودية، يبدو أنه يطابق الطقس الذى كان يتبع فى انضمام الدخلاء Proselytes فى المجتمع اليهودى. كانوا يختنون ثم يعمدون] .

إن استعمال كلمة ختم Sphragis للدلالة على الختان، غالباً ما تصادفنا فى أماكن أخرى متعددة. نحن لا نجدها فى النسخة السبعينية. و يعتبر القديس بولس هو أول من استعملها، ونهج على منواله الآباء الذين استعملوها بكثرة. ونقتبس على سبيل المثال ما كتبه يوسابيوس القيصرى «إن ابراهيم حينما كان شيخاً، كان أول من قبل الختان فى جسده، على سبيل الختم، وسلّم هذه العلامة للذين يأتون بعده، بمثابة علامة الانتماء لجنسه» . فالختان إذن هو علامة العضوية فى جنس ابراهيم فى اسرائيل القديم، ودليل المواعيد المعطاة لابراهيم بالعهد .

كان الختان مجرد رمز أما الختم، Sphragis الحقيقى، فهو ختان العهد الجديد، وهذا ما يعلنه القديس بولس فى نص سبق أن ذكرناه، ولكننا نود أن نذكره بالكامل «وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم، لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة... فيما بعد لا يجلب أحد علىّ أتعاباً، لأنى حامل فى جسدى سمات الرب يسوع» (غل٦ : ١٤ ، ١٥) .. **إن ما يحسبره بولس علامة افتخاره، ومايجعله شخصاً مقدساً، لم يعد هو علامة إلختان، وإنما هو صليب المسيح، وهو فى جسده سمات هذا الصليب. لقد تلقى هذه السمات لأول مرة، حينما صار خليقة جديدة، أى عند المعمودية. وفى خلفيه تفكيره يوجد ختم المعمودية، وفى صورة صليب فى مقابل الختان فى العهد القديم كعلامة العهد (انظر كولوسى ٢ : ١١ ، ١٢) «وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم الخطايا البشرية، بختان المسيح، مدفونين معه فى المعمودية».**

إن المقارنة بين الختان والختم Sphragis هى جانب من الاتجاه الأكثر شمولاً

عن الختان كرمز للمعمودية، ولاسيما التوازن بين الختان فى اليوم الثامن والمعمودية كمشاركة فى قيامة المسيح وفى اليوم الذى يلى السبت أى فى اليوم الثامن. وكان هذا أحد الجوانب التى رأى من خلالها ما يحمله اليوم الثامن من رمزية فى العهد القديم... يقول يوستينوس «إن وصية الختان التى تأمر بإلزام كل الأطفال بأن يختنوا فى اليوم الثامن، هو مثال للختان الحقيقى الذى ختنك من الزلل والخطيئة، بذاك الذى قام من الأموات فى أول الأسبوع، يسوع المسيح ربنا. لأن اليوم الأول من الأسبوع هو أيضاً اليوم الثامن» (الحوار مع تريفو اليهودى ٤١ : ٤ - Dialogue 41. 4).

ثمة جانب آخر للختم Sphragis والذى يربطه بالختان. فنحن نلاحظ بحسب ما يراه القديس بولس أنه توجد علاقة بين الختم Sphragis والروح القدس (أف ١ : ١٣)، ومع أن الطابع السرائرى للختم لم يتضح بعد. وهذه العلامة أيضاً نجدها عند الآباء، ونجدها هذه المرة فى نصّ مفصّل للعبادة. وهكذا يذكّر كيرلس الأورشليمى الاشخاص المعتمدين «كيف مُنحوا ختم شركة الروح القدس». وهكذا تكون فكرة الختم Sphragis وقد قدمت لنا أكثر من معنى: فمن حيث أنها طابع لعلامة الصليب فهى تنسب إلى المسيح المصلوب، ولكنها أيضاً تنسب إلى الروح القدس. ويشهد امبروسيوس لهذا التعدد من المعانى: «إن الآب والإبن والروح القدس هم فى كل مكان. وهم بعمل واحد، وتقديس واحد. ولكن هناك اشياء معينة تظهر مختصة بكل اقنوم على حدة. فكيف يكون هذا؟ لقد مَسَحك الله، وميّزك بعلامة الختم، ووضع الروح القدس فى قلبك. فانت إذن قد اخذت الروح القدس فى قلبك. إلا فاقبل شيئاً آخر. لأنه كما أن الروح القدس فى قلبك، هكذا يكون المسيح فى قلبك. فأنت تمتلك المسيح الذى قال فى نشيد الأناشيد: ضعنى كخاتم على قلبك. لقد وضع المسيح عليك علامة الختم، كيف؟ لأنك أخذت علامة بشكل صليب آلامه فإنك قد نلت الختم على مثاله».

الخصائص التى حددّها الآباء عن ختم المعمودية إنه لا يزول أثره... يقول كيرلس الأورشليمى «الختم المقدس الذى لا يزول»... «الاليت الله يمنحكم

الختم الذى لا يُمحى، الذى للروح القدس للحياة الأ بدية. أنه كوَشْم قد انطبع على النفس. فى الواقع إن الطبيعة التى لا تمحى لخصائص المعمودية تأتى من حقيقة أنها تأسست على وعد الله الذى لا يُنقص. فختم المعمودية Sphragis إذن يحمل معنى تعاقد الله مع الشخص المعتمد، والذى به يمنح الله هذا الشخص المعّمد حقاً لا رجعه فيه من بركات النعمة. قد يتراجع الشخص المعّمد و يسحب نفسه من هذا الحق، ولكنه لا يستطيع أن يجعل هذا الحق نفسه يُنقص.

يهاجم القديس اغسطينوس الدوناتيين المبتدعين بخصوص مبدأ اعادة المعمودية و يقول إن هذا السر يُعطى ولا يمحى آثره. و بالخطية يتراجع الإنسان عن فوائده. ولكن يبقى هناك شيء نسميه الطابع الذى تأسس على ميثاق محبة الله الذى يزول، والذى ختم رسمياً بختم Sphragis المعمودية.

نستطيع الآن أن ندرك غنى عقيدة الختم Sphragis كطقس خاص يتم فى وقته وبصفته أحد جوانت المعمودية كما أنه من الواضح تماماً أن المعمودية نفسها هى ختم العهد. ولكن تنوع الطقس، يقصد به أن يبين بصورة مرئية الغنى الحقيقى الذى تحدثه المعمودية نفسها: الثياب البيضاء، استرجاع حالة عدم الفساد، التغطيس، تحطيم إنسان الخطية، الختم Sphragis والعهد الجديد.

«انماط المعمودية»

نتناول هنا رموز طقس المعمودية فى العهد القديم ... هناك العديد من هذه الرموز منذ أقدم العصور. و يظهر هذا فى كتاب العلامة ترتليان عن المعمودية. De Baptisme والقائمة التى أعدها ، أعاد صياغتها وزاد عليها ديديموس الضرير الأسكندرى . كما يقدم كيرلس الأورشليمى قائمة فى دروسه عن المعمودية.. والرموز نفسها موجودة فى العهد الجديد ، وعند كتَّاب الكنيسة الأوائل. **فعبور البحر الأحمر والطوفان قد ورد ذكرها :** الأول فى (١كو١٠: ١- ٥). والثانى فى (١بط٣: ١٩- ٢١) **وصخرة حوريب هى الأخرى رمز للمعمودية عند القديس يوحنا الانجيلى** (يو٧: ٣٨)... **كما أن برنابا ويوستينوس الشهيد وايريناوس يذكرون هذه الأفكار وغيرها أيضاً كمياه مارّة وحميم نعمان السريانى.**

وفى فكر الآباء ، لا تُعدّ هذه المثالات مجرد توضيحات : فإن شخصيات العهد القديم ، كان المقصود منها أولاً قانونية المعمودية ، بإبراز انها أعلنت بواسطة تقليد شامل ، فهى تعتبر أدلة . وفوق كل هذا فإن المقصود منها أيضاً هو شرح المعمودية ، وهو القصد الذى مازلنا ندرك أهميته اليوم. **وفى الحقيقة إن كنا نود أن نفهم المعنى الحقيقى للمعمودية ، فمن الواضح أنه ينبغى لنا أن نلتفت إلى العهد القديم ... والمعمودية فى مغزاها الحقيقى تقف فى صف واحد مع كافة الأعمال العظمى للخليقة والفداء ، والتى أتمها الله فى العهد القديم.**

مياه الخليقة الأولى :

أول مثال للمعمودية نجده فى أقدم التعاليم ، هو ما يتعلق بمياه التكوين القديمة ... لقد أعلن الأنبياء أن الله فى نهاية الزمان سيقوم بعمل خليقة جديدة. وهذا المبدأ المثالى يشغل مكاناً هاماً عند اشعياء. ولقد لاحظ أن كلمة يخلق Create وبالعبرية «بارا Bara» تظهر أولاً فى الحديث عن الخليقة المستقبلة.

وهنا يكون أمامنا مثال أخروى حيث تظهر فيه الخليقة الأولى كمثال للخليقة

الجديدة التى سوف تتم فى نهاية الزمن.

ولكن العهد الجديد يُظهر لنا أن هذه الخليقة الجديدة. قد تمتّ فعلاً فى المسيح. ويعتبر التجسد هو خلق الكون الجديد. وهذا الخلق يستمر فى التاريخ الحاضر، ويحدث فى المعمودية. حقاً إنه خلق جديد و«تجديد» طبقاً للقول الوارد فى انجيل القديس يوحنا (٣: ٥)... والقديس بولس يدعو الشخص المعمّد حديثاً «خليقة جديدة» (٢كو٥: ١٧). وهذا التجديد يتم فى مياه المعمودية (يوحنا٣: ٥). وعلى ذلك فإن الموازنة بين المياه الأولى وبين مياه المعمودية تعتبر جانباً انجيلياً أساسياً للموازنة بين الخليقة الأولى والثانية.

ولقد اتجه العلامة ترتليان فى كتابه عن المعمودية إلى الرغبة فى أن يبررّ استعمال المياه فى المعمودية -بشهادة الانجيل المستمرة- إلى قصة الخليقة فى سفر التكوين. وفى هذه القصة، كانت للمياه صفتان متمايزتان، تستعيدهما المعمودية: فهى العنصر الأساسى الذى تظهر فيه الحياة، والذى يتقدس بواسطة الروح القدس. ويتمشى ترتليان مع الجانب الآخر: «أول كل شيء، أيها الإنسان، يجب أن نقدم التوقير لعراقه وقدم المياه كعنصر أصيل. لقد ظهرت الأرض من خلال المياه. وبمجرد أن انتظمت عناصر العالم، حتى تهيأت للسكان، وصدر الأمر إلى المياه الأصلية لكى تُخرج كائنات حيّة، فأخرجت المياه الأصلية حياة، حتى لايندهش أحد أنه فى المعمودية، تستطيع المياه أن تهب الحياة».

ثم تضاف خاصة أخرى إلى هذه الخاصية، وهى أن «روح الإله كان يرف على وجه المياه، وهو الذى كان عتيداً أن يجدد خليقة المعمّدين. إن هذا القدوس كان يرف على ما كان مقدساً، أو بالأحرى، على من ينال القداسة من القدوس الذى كان يرف... وهكذا فإن طبيعة الماء التى تقدست بالروح، وصارت لها القدرة من ذاتها أن تكون مقدّسة. وهذا هو السبب فى أن كل المياه، بفضل هذا الامتياز الأصلى، يمكن أن تنال سرّ التقديس بالطلبة إلى الله». وما نتعلمه هنا هو تقديس مياه المعمودية، التى كانت المسيحية الأولى توليه أهمية قصوى: «... يقول القديس امبروسيوس لقد رأيتم المياه. ولكن ليست كل المياه تشفى، لو لم ينزل الروح ويقدّس تلك المياه».

ويضيف **ديديموس الضرير الأسكندرى إلى ما قاله ترتليان** « إن الثالوث الذى لا ينقسم ولا يزول ، ناظراً من خلال الأ بد ، إلى سقوط الطبيعة البشرية وفى الوقت نفسه قد أوجد من العدم مادة المياه ، قد أعدّ للبشر الشفاء الذى يُعطى من خلال المياه ، يَظْهر لنا ، مقدسّاً لها ، ومانحاً إياها من تلك اللحظة خصوبتها فى الولادة . **بالإضافة إلى هذا ، ينبغى أن نربط هذا بحقيقة هامة « وهى أن لحظة عماد يسوع ، قد حلّ الروح القدس على أمواج البحر » ... وهنا نرى علاقة كان ديديموس على حق فى ابرازها : وهى العلاقة بين حلول الروح القدس على المياه الأولى ، وحلوله على الأردن .**

والواقع أن هذا التفسير، ليس بغير اساس ، لأنه يُبرز بوضوح معنى حمامة المعمودية ، التى يبدو أنها تذكّرنا بحسب المعنى الحرفى للنص ، بروح الله ، الذى كان يرف « على وجه المياه ». والآن نستطيع أن نرى المعنى الكامل للرمز: **فكما أن الروح القدس ، وهو يرف على المياه القديمة ، قد اخرج منها الخليقة الأولى ، هكذا أيضاً فإن الروح القدس ، وهو يرف على مياه الأردن ، قد أعطاها الخليقة الثانية**. إن هذه الخليقة الثانية ، هى التى يولد لها الشخص المعمَّد فى المياه المقدسة ، بواسطة الصلوات . **وهكذا يتضح المعنى الخَلْقى للمعمودية**. حقاً إن خليقة جديدة ، وتجديد للخليقة الأولى . وهنا تبرز أمامنا المثالية Typology فى أكمل معنى لها : فهى تعبّر حقيقة عن العلاقة بين العملين الخّلاقين ، اللذين عملهما الله . إن رمزية المياه فى المعمودية تعتبر علامة معقولة لهذه العلاقة - **إن مياه المعمودية تشير حقيقة إلى المياه الأولى .**

الطوفان :

الموازنة بين الطوفان والمعمودية ، قد افصح عنها العهد الجديد ... « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الآثمة ، لكى يقرّبنا إلى الله ، مماتاً فى الجسد ، ولكن مُحيى فى الروح . الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن ، إذ عصت قديماً ، حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح ، **إذ كان الفُلك يُبنى ، الذى فيه خلص قليلون ،أى ثمانى أنفس بالماء . الذى مثاله يخلصنا نحن الآن ، أى المعمودية** » (١بط ٣ : ١٨ - ٢١) .

من هذا النص نرى أن «الطوفان» مثال تحققه «المعمودية» ... نحن أمام تفسير كامل لطقس المعمودية . **وكما أن البشرية الخاطئة فى زمان نوح قد تحطمت بقضاء الله فى غمرة المياه، ونجا إنسان واحد، لكى يكون المولود الأول للجنس البشرى الجديد. هكذا فى المعمودية يتلاشى الإنسان العتيق بواسطة سرّ الماء، والإنسان الذى يخرج من جرن المعمودية، ينتمى إلى الخليقة الجديدة** ... وبين الطوفان والمعمودية يجب علينا أن نضع نزول المسيح إلى العالم السفلى لأننا نجد أمامنا ههنا التحقيق الفعلى لسرّ الطوفان . **ففى موت المسيح تتلاشى البشرية الخاطئة التى اتخذها له بمياه الموت الهائلة، ثم أنه يقوم بينهم كالبكر فى الخليقة الجديدة** . أما المعمودية، فكما يخبرنا القديس بولس، فهى تقليد سرائرى لموت وقيامة المسيح (على سبيل المثال يذكر القديس يوحنا ذهبى الفم «إن التغطيس ثم الخروج (من المعمودية) هما صورة لنزول (المسيح) إلى الجحيم، وعودته من هناك . وهذا ما جعل القديس بولس يدعو المعمودية دفناً) .

إن المثالية السرائرية Sacramental typology التى تسرد خطوطها الرسالة الأولى للقديس بطرس، قد طورها التقليد الآبائى فيما بعد ... نجد هذا عند يوستينوس الشهيد فى نصّ يقدم لنا فيه بإسهاب المثالية عند القديس بطرس الرسول : «لقد تحقق فى الطوفان سرّ Mysterion خلاص الإنسان . فإن نوحاً البار مع بقية اشخاص الطوفان الثمانية، يُظهرون رمزية اليوم الثامن، وهو اليوم الذى فيه ظهر المسيح قائماً من الأموات، وهو الذى كان دائماً، كأنه شيء مفهوم ضمناً، اليوم الأول، لأن المسيح، وهو بكر كل الخليقة، قد صار فى مفهوم جديد، الرأس (كولوسى ١ : ١٨) لخليقة جديدة . تلك التى تجددت بواسطته، بالماء والخشبة التى كانت تحوى سرّ الصليب . كما أن نوحاً قد أُنقذ بخشبة الفلك، حينما كان يطفو فوق المياه مع أهل بيته . وكما أن الأرض كلها بحسب ما جاء فى الكتاب قد أُغرقت، فمن الواضح أن الأرض لم تكن هى التى تكلّم معها الله، ولكنه كان يخاطب الناس الذين أطاعوه، حين أعدّ لهم موضعاً للراحة فى أورشليم، كما سبق أن اظهره بكل هذه الرمزيات فى زمن الطوفان . واننى اقصد أولئك المستعدين بواسطة الماء والإيمان والخشبة، والذين تابوا عن خطاياهم، هؤلاء سيهربون من دينونة الله العتيدة» (حواره مع تريفو اليهودى) .

بالإضافة إلى ماسبق نجد تقليداً آخر يؤكد المميزات الأخرى، ولاسيما فكرة الحمامة. **وهذا التقليد يظهر فيما ذكره ترتليان فى كتابه عن المعمودية** (نفس الكلام يورده كبريانوس)، والذى يضم جميع الأشكال التقليدية للمعمودية، بطريقة تجعلنا نفترض أنها تعيد الدروس الأولى... « **كما أنه بعد مياه الطوفان، والتى بها تطهر العالم القديم من الآثام، كذلك بعد المعمودية، كما لو كانت معمودية العالم، فإن الحمامة التى خرجت من الفلك ثم عادت بغصن زيتون، وهو مازال حتى الآن يعتبر رمز للسلام بين الناس، معلنة أن السلام قد حلّ فى العالم، طبقاً لنفس الخطة. فإنه على المستوى الروحى، فإن حمامة الروح القدس، التى هبطت إلى الأرض، أى على اجسادنا، حينما نخرج من جرن المعمودية، وبعد أن تتطهّر من خطاياها القديمة، لكى تمنح سلام الله الآتى من اعلا السماء، حيث يرمز إلى الكنيسة هنا بالفلك** ».

إنه إذا كانت الحمامة التى نزلت على السيد المسيح وقت العماد تعتبر اشارة إلى روح الله، الذى كان يرف على المياه الأولى (تك ١ : ٢)، فيبدو أيضاً أنها تلميح إلى حمامة الفلك. إذن فمن المعقول أن التقليد الآبائى كان يرى فى الطوفان شكلاً لمعمودية المسيح، حيث يظهر فيها بمثابة نوح جديد، الذى يحل عليه الروح القدس، لكى يعلن المصالحة بين الإنسان والله... **يقول كيرلس الأورشليمى « إن البعض يقول: كما أن الخلاص قد أتى فى أيام نوح بواسطة الخشبة والماء، وهناك كان بدء خليقة جديدة. وكما أن الحمامة قد عادت إلى نوح وقت المساء بغصن زيتون، هكذا، وكما يقولون، فإن الروح القدس قد نزل على نوح الحقيقى، منشىء الخليقة الجديدة، حينما حلّت الحمامة الروحية عليه وقت عماده، لكى تُظهر لنا إنه هو هو بعينه، وبواسطة خشبة الصليب يهب الخلاص للمؤمنين. كما أنه هو أيضاً، الذى فى وقت المساء، وبموته قد وهب العالم نعمة الخلاص** ».

وثمة صفة مميزة أخرى لهذه المثالية عند ترتليانوس، وهى التى تدلنا على أن الفلك يعتبر شكلاً للكنيسة ونجد هذا الشكل عند القدامى حتى ايريناوس. وإن كان يوستينوس يرى أن خشب الفلك هو بمثابة شكل ما لخشبة الصليب.

ويؤكد كبريانوس ما قاله ترتليانوس بخصوص رمزية فلك نوح للكنيسة حتى أنه يقول «إن استطاع أحد أن ينجو خارج فلك نوح، إذن فليخلص من كان خارج الكنيسة». وهذا تعبير عن المبدأ القائل **«لا خلاص خارجاً عن الكنيسة»** نفس المعنى نجده فى كلام القديس بطرس عن خلاص الثمانية انفس الذين كانوا فى الفلك، والذين انقذوا بواسطته والذى كان رمزاً للكنيسة الواحدة... **ويؤكد على هذا المعنى القديس ايرونيموس «إن فلك نوح كان مثال الكنيسة»**...

ويقول ذهبى الفم «إن قصة الطوفان تعتبر أحد السرائر **Mysterion**، وتعد تفاصيلها مثالاً **Typos** لأمور قادمة. **فالفلك هو الكنيسة، ونوح هو المسيح، والحمامة هى الروح القدس. وغصن الزيتون هو الخير السمائى. وكما كان فى وسط البحر، أن حفظ الفلك أولئك الذين كانوا فى داخله، هكذا تحفظ الكنيسة المخلَّصين.** لكن الفلك قد حفظ فقط، أما الكنيسة فتعمل أكثر من هذا. وعلى سبيل المثال. فلقد استوعب الفلك الحيوانات عديمة العقل، وحفظها سالمة، أما الكنيسة فتقبل الناس الذين لم يقبلوا الكلمة **Logos**، وهى لا تحافظ عليهم فقط بل هى تغيّرهم أيضاً».

عبور البحر الأحمر:

على منوال الطوفان، يعتبر البحر الأحمر أحد انماط أو مثاليات Types المعمودية والتى تصادفنا مراراً كثيرة... إن قصة الخلاص من مصر بأكملها ـ كما هو وارد فى سفر الخروج ـ إنما هى نمط للفداء... ولقد سبق أن اعلن الأنبياء عن خروج جديد، يتحقق فى آخر الأيام، حيث يتمم الله أعمالاً، تعتبر اعظم من تلك التى قام بعملها من أجل شعبه فى البرية. ويبين لنا العهد الجديد ـ لاسيما انجيل القديس متى ـ أن أعمال الله قد أُكملت فى شخص المسيح. فيه قد «تم الخلاص» وهذا الخلاص يُمنح فعلاً لكل انسان بواسطة المعمودية.

وينبغى لنا أن نتأكد هنا، من أن كلاً من الانجيل والليتورجيا يبرزان لنا مدى العلاقة المذهلة بينهما وبين خروج شعب الله قديماً Exodus. لأن هذا فى الحقيقة كان فى أيام «الفصح»، وهو الذى كان بالنسبة لليهود ذكرى خلاصهم من

مصر، حيث أكمل المسيح فداءنا بموته، هذا بالاضافة إلى أنه فى تلك الليلة نفسها، وهى ليلة عيد القيامة، كان من المعتاد منح سرّ المعمودية. وهكذا يتبين من التوافق بين هذه المواعيد، وبطريقة عجيبة، استمرارية أعمال الله المختلفة... **ففى خروج شعب الله قديماً The Exodus، وفى موت المسيح وقيامته، وفى المعمودية، نجد نفس العمل الفدائى الذى يتم فى مختلف المستويات التاريخية، سواء أكان من جهة الرمز، أو الواقع أو السرّ.** وهكذا كان من المألوف عند المسيحين أن يستعملوا النصوص الخاصة بليتورجية مجمع اليهود والخاصة بالفصح، ويطابقونها على قيامة المسيح وعلى المعمودية.

ولعل عبور البحر الأحمر، والظروف التى أحاطت به فى سفر الخروج، تتصل إتصالاً وثيقاً بطقوس المعمودية ذاتها، أى تلك التى تتعلق بعبور الماء. يقول القديس بولس الرسول «فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، **وجميعهم اجتازوا فى البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر**» (١كو١٠: ١، ٢).



« سر التثبيت »

هذا السر يتعلق بالروح القدس وحلوله على المؤمن ... لكن هل يتمثل هذا الحلول فى وضع الأيدى كما يعلّم العهد الجديد ، أم بالمسح بزيت الميرون المقدس بحسب ما هو مستعمل الآن ... **هناك حقيقة معينة ، هى وجود مسح بالميرون فى سر التثبيت .**

أول ما يتميّز به هذا الطقس هو أنه مَسْحٌ Chrisma . وهذه الحقيقة تأخذنا إلى رمزية انجيلية ... **كان « المسح » فى العهد القديم هو الطقس الذى من خلاله يُمسح به الكهنة والملوك. وكان هذا يؤسس سراً ، فينتقل الروح القدس إليهم بمقتضى الوظائف التى يكلفون بأدائها ... فى أسفار الأنبياء نمطية رمزية هامة هى مسيانية ،** تعلن أنه فى آخر الأيام سوف يأتى الشخص الممسوح ـ مسيّا ـ أى من هو مدهون بالمسحة Christos . **وهو من كان الملك داود ونسله والكاهن الأعظم مجرد رموز له .** هذه النمطية المثالية والمسيانية تحتل مكاناً هاماً فى المزامير، تلك التى كانت جزءً من ليتورجية الهيكل ، وكانت علاقتها بالكهنوت واضحة جلية .

هذه النمطية الاسخاتولوجية قد تحققت فى يسوع الناصرى. ونفس الاسم « خرستوس Christos » الذى اطلق على يسوع هو الذى يفصح عن هذا ... هذا اللقب قد قبله يسوع أمام بيلاطس (مت ٢٧ : ١٢) ، **بل أكثر من هذا ، فإن المسيح نسب إلى شخصه نبوة اشعياء** « روح الرب علىّ **لأنه مسحنى** لأ بشر المساكين .. » (اش ٦١ : ٢ ؛ لو ٤ : ٨) . أما سفر أعمال الرسل فيطبّق عليه ما جاء بسفر المزامير الذى يعتبر كله نبوياً تحقق بمجىء المسيح ... **وإذا تتبعنا الخط الفكرى الذى نسير وراءه ، فإن ما يقال عن المسيح يصدق أيضاً على شخص المسيحى.** أمامنا إذن نمطية سرائرية مزدوجة ، حيث يبدو المَسْح مرتبطاً بالعهدين القديم والجديد .

اقدم شاهد على هذا هو ترتليانوس فى مقاله عن المعمودية ... « بعد أن نخرج من بركة المعمودية فإننا نُدهن بالزيت المبارك ، طبقاً للنظام القديم ، حيث كان

من المعتاد أن يكون الدهن بزيت مسكوب على القرن لقبول الكهنوت . وبهذا الزيت مُسح هارون على يد موسى. **ومن هنا نشأت التسمية «المسيح» (خرستوس Christos) المشتقة من المسحة Chrisma بمعنى الدّهْن. وهذا المَسْح هو الذى اعطى هذه التسمية للرب، بعد أن صار مسْحاً روحياً. لأنه حقاً قد مُسح بالروح القدس بواسطة الآب،** كما يقال فى سفر الأعمال «**اجتمع على فتاك القدوس الذى مسحته** هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب اسرائيل» (أع ٤ : ٢٧) ... وهكذا ينسكب المَسْح علينا بحيث نشعر به ،ولكنه يعمل بطريقة روحية» ... إن ما ورد فى سفر الأعمال يشير إلى هذا المسح، مبيناً أنه يتحقق فى المسيح. **أما المسح بالزيت فى العهد القديم فإنه مجرد شكل رمزى للمَسْح الروحى،** وهو الذى به مُسح الابن بالروح القدس. وهذا الدّهْن فى النهاية يسمى مَسْحاً Chrisma، ومن يناله يدعى مسيحياً Christianos .

ويطوّر كيرلس الأورشليمى هذه الفكرة فيصّور نفس التقليد مثل ترتليانوس .. «بعد أن استحققتم هذه المسحة المقدسة، فإنكم تُدعون مسيحيين. وبهذا تجعلون هذا الاسم هو اسمكم حقاً بالميلاد الجديد. ولكن قبل إن استحققتم لهذه النعمة، فإنكم لم تكونوا مستحقين لهذه التسمية، وإنما كنتم فى الطريق إليها، هادفين لأن تكونوا مسيحيين. ومن الضرورى أن تعرفوا أن الشكل الرمزى لهذه المسحة موجود فى العهد القديم. فإنه حينما نقل موسى إلى أخيه الوصية المقدسة فى تنصيبه رئيس كهنة، فبعد أن غسله بالماء، مسحه فسُمىّ مسيحاً بسبب المسحة الرمزية. وبنفس الطريقة أيضاً، فإن رئيس الكهنة أيضاً فى تنصيب سليمان ملكاً مسحه بعد أن غسله فى جيحون. لكن هذه الأمور قد اجريت لهم بالرمز، **وأما أنتم فليس بالرمز بل بالحقيقة، حيث انكم قد مُسحتم فعلاً بالروح القدس. لأن مبدأ خلاصكم هو شخص الممسوح (أى المسيح)».**

الدهن المسيحى هو مشاركة فى دهن المسيح ... يقول كيرلس الأورشليمى عن سرّ التثبيت «إنكم بعد أن اعتمدتم فى المسيح، وبعد أن لبستم المسيح، قد تغيرّتم إلى شكل ابن الله. لأن الله فى الواقع قد سبق فاختاركم كأولاد التبنّى. لقد غيّر شكلكم إلى جسد مجد المسيح. ولكنكم قد صرتم مسحاء عندما اخذتم

سرّ الروح القدس. وكل هذه الأمور قد اجريت رمزياً، لأنكم صور المسيح. فإنه (المسيح) بعد أن استحم فى الأردن، ونزل عليه الروح القدس شخصياً، قرين الشيء نزل على قرينه. هكذا أنتم أيضاً. فانكم بعد ما خرجتم من بركة الماء المقدس، قد اخذتم المسحة. ذلك السرّ الذى به قد مُسح المسيح، اقصد الروح القدس، الذى قال عنه الطوباوى اشعياء متحدثاً باسم الرب: روح الرب علىّ، لأنه مسحنى (اش ٦١ : ١).

يتحدث **كيرلس الأورشليمى عن سرّ الروح القدس** ويقول أنه «تحت (قيادة) موسى، قد أُعطى الروح القدس بوضع الأيدى، وأن بطرس بوضع الأيدى قد اعطى الروح». ولكنه يمضى قائلاً «إن النعمة سوف تحلّ عليكم بعد أن تعتمدوا. وسوف احدثكم عن كيفية هذا فيما بعد»... **وهنا نجد دليلاً على التمييز بين التثبيت والمعمودية**. وأيضاً حقيقة **أنه على الرغم من التغيير فى الطقس فإن هذا هو ذلك السرّ بعينه الذى منحه بطرس بوضع الأيدى**. وفى الدرس عن قيامة الجسد، يعلن كيرلس سرّ التثبيت فى هذه العبارات «وبعد ذلك فإنكم سوف تدركون كيف أنكم قد تطهرتم من خطاياكم، من الرب، بحميم الماء، وبالكلمة معاً، وكيف أنكم صرتم بطريقة كهنوتية شركاء فى اسم المسيح. **وكيف أن ختم شركة الروح القدس قد اعطى لكم**».

ويوضح كيرلس رأيه فى هذه الفقرة... «إن المسيح لم يُمسح بزيت أو بعطر مادى من يد إنسان، ولكن الآب الذى كان قد عينّه من قبل مخلصاً للعالم كله، قد مسحه بالروح القدس، كما يقول بطرس «**يسوع الذى من الناصرة (كيف) مسحه الله بالروح القدس**» (أع ١٠ : ٣٨)... وبنفس الطريقة، وكما صلب المسيح حقيقة، ودفن بالحقيقة، وقام أيضاً بالحقيقة. وكما أنه قد وهب لكم فى المعمودية أن تُصلبوا معه وتدفنوا معه، وتقوموا معه بمشابهة ما، **فهكذا الحال أيضاً مع المسحة. لقد مُسح بزيت البهجة الروحى، أى بالروح القدس. الذى سُمى زيت البهجة لأنه منبع الفرح الروحى. وأنتم أيضاً لقد مسحتم بالزيت العطر وصرتم شركاء فى المسيح»**.

أول كل شيء إن هذا النص يثبت بوضوح ماهية السرّ. إنه مشاركة فعلية فى

نعمة المسيح. **وثانياً فإنها تبيّن لنا كيف** أن هذا البناء ينطبق أيضاً على سر التثبيت مثل انطباقه على سرّ المعمودية. وبالكيفية نفسها، كما أن المعمودية تصوّرنا للمسيح المائت والقائم أيضاً، فهكذا يصورنا التثبيت إلى المسيح الممسوح بالروح القدس، ينظر إليه هكذا على أنه شكل رمزى مسبق لموته، ويليه تجليسه على عرشه الملوكى. **وهذا ما يتشارك فيه الشخص المسيحى بدوره بواسطة سرّى الماء والمسحة.**

ويقول تيودور الموبسيستى تعليماً مماثلاً «بعد أن تنال النعمة بالمعمودية، وبعد أن تتوشح برداء ناصع البياض، يأتى إليك الأسقف ويرسمك على جبهتك ويقول: (فلان) قد رُسم باسم الأب والابن والروح القدس، لأنه كما أن يسوع قد صعد من الماء، فإنه أخذ الروح القدس، الذى أتى إليه فى شكل حمامة وحلّ عليه. كذلك حيث أنه قد قيل عنه (المسيح) أنه قد مُسح بالروح القدس، وحيث أن هذا يقال أيضاً عن الذين يُمسحون بدهن المسحة، أن الزيت يلازمهم ولا ينزع منهم. **لذلك فانت أيضاً يجب أن تقبل الوَسْم على جبهتك حتى تنال هذا الوسم، حتى يحلّ الروح القدس، وحتى تُمسح معه»** ... إن صياغة تيودور الموبسيستى هذه تذكرنا بنص كيرلس الأورشليمى **«إن التثبيت هو مشاركة فى مسحة المسيح بالروح القدس بعد عماده.** وينبغى لنا أن نلاحظ أنه يرتبط بهذه المسحة الحلول الخاص للروح القدس. كما نلاحظ أن تيودور يؤكد طابع الثبات للزيت. وهذا يأخذنا إلى مبدأ الطابع السرائرى الذى ينطبق هنا على «التثبيت».

إن عقيدة التثبيت عند امبروسيوس كما هى عند كيرلس، إنما هى توصيل للروح القدس: «إن المعمودية يتبعها الختم الروحى. فإنه بعد البداية، يلزم الحصول على الاكتمال. وهذا يحدث بصلوات الكاهن. فيحل الروح القدس، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح المخافة المقدسة. إنها سبعة، لأن قوات الروح سبعة. والحق أن كل الفضائل تُنسب إلى الروح القدس. ولكن هذه تعتبر بمثابة الفضائل الرئيسية. هذه هى الفضائل السبع التى تنالونها، حين توسمون بالختم».

إن هذا النص يظهر لنا عنصراً جديداً يوضح بجلاء نقطة فى دراستنا، كانت غامضة حتى هذه اللحظة. **ولقد سبق أن ذكرنا أن القصد من سرّ التثبيت هو**

توصيل الروح القدس. ولكن الإنسان المسيحى الجديد قد تعمّد فى الروح القدس. والآن فإن هذا النص يبرز بدقة الشيء الذى مازال مطلوباً بعد المعمودية، أى «الكمال» ... يقول كبريانوس «إن الشخص المعمّد حديثاً ينبغى له أن يظهر أمام رؤساء الكنيسة لكى ينال الروح القدس، وذلك بالدعاء ووضع الأيدى. ولكى ما يبلغ حدّ الكمال بواسطة ختم الرب» ... ثم إن هذا الاكتمال يتكون فى مواهب الروح القدس، فنأتى إلى صميم الغرض من سرّ التثبيت. وليس معنى هذا هو اعطاء الروح القدس، فهو الذى سبق أن اعطى عند المعمودية. وإنما الذى يحدث فى سرّ التثبيت هو انسكاب جديد للروح القدس، بقصد تكميل الطاقات الروحية التى دُعيت إلى النفس بواسطة المعمودية».

إن التقليد الشرقى يرى فى سرّ التثبيت، سرّ التقدم الروحى، بينما تكون المعمودية هى سر الولادة الروحية. [فى قوانين الرسل Apostolical Constitutions 3. 16.3 جاء عن المعنى الرمزى للأسرار، **يقترن الروح القدس بزيت الموعوظين، والتثبيت الذى يتميز به الميرون، «إن الماء يشير إلى الدفن، والزيت إلى الروح القدس، والختم Sphragis إلى الصليب، والميرون إلى التثبيت. وعند ديديموس الضرير: ختم المسيح Sphragis على الجبهة، وقبول المعمودية والتثبيت بالمسحة].**

إن هذا الاكتمال للحياة الروحية، يعبّر عنه عند الآباء بطريقتين، فيربطه القديس امبردسيوس بمواهب الروح القدس. يقول فى كتاب الأسرار De Mysteriis «لقد اخذتم الختم الروحى، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح المخافة المقدسة. فاحتفظوا بما أخذتم. لقد مسحكم الآب بالختم. ولقد منحكم وقوّاكم المسيح الرب. ووضع فى قلوبكم عربون الروح». أما الدراسات اللاهوتية المتأخرة، فإنها فى الواقع ترى فى مواهب الروح القدس، العلاقة الحقيقية للنفس الكاملة، التى لم تعد تنقاد بالفضائل العادية، وإنما يقودها مباشرة الروح القدس بواسطة المواهب، التى تجعل النفس مذعنة لعمل «الروح».

لكننا نجد عند **كيرلس الأورشليمى**، خطاً فكرياً مختلفاً حيث تُنسب المسحة

Chrisma إلى التعليم الخاص بالحواس الروحية. ونحن نعلم أن هذا التعليم الذى ابتدأ باوريجينوس، عزيز جداً على الصوفية الشرقية. **أما فى اورشليم فيخبرنا كيرلس الأورشليمى بأن الدَّهن بالمسحة كان يتم ليس بمسحة الرأس فحسب، وإنما على الحواس أيضاً، يكون علامة لإيقاظ الحواس الروحية.** يقول **«لقد دُهنت أولاً على الجبهة، لكى تتحرر من العار الذى نقله الإنسان الأول بعد خطيئته، فى كل مكان، لكيما تتحرر تماماً حتى تتمكن من أن تتأمل فى مجد الله بوجه مكشوف كما فى مرآة. ثم بعد ذلك على الأذنين حتى تسترد الأذنين اللتين يمكنك بهما أن تستمع إلى السرائر الإلهية. ثم فتحتى الأنف حتى أنه بعد ان تشتم العطر السماوى، يمكنك أن تقول: نحن رائحة المسيح الزكية».**

ثم إن كيرلس يضيف قائلاً إن المسحة الأخيرة تكون على الصدر... «لقد دُهنت أخيراً على الصدر، حتى إذا لبست درع البرّ، تستطيع أن تقف بثبات أمام هجمات الشيطان. وحقاً، كما أن المسيح، بعد عماده، وحلول الروح القدس عليه، ذهب لكى ينتصر على المضاد، فهكذا أنت أيضاً بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرائيرية، وبعد أن توشحت بكل سلاح الروح القدس، فإنك تقاوم القوات المعادية». إن هذا الجانب من السرّ هو الجانب الذى احتفظنا به واسميناه «التثبيت». وكما رأينا، لقد كان هذا جانباً واحداً من مفهوم الختم Sphragis فى المعمودية. **وأما الشىء الذى يظل قاصراً على «سر التثبيت» وحده فهو فكرة واكتمال القوة الممنوحة فى سر المعمودية.**

«الرشم بالميرون فى الكنيسة القبطيَة»

يأخذ الكاهن قارورة الميرون المقدس ويُصَلّى عليه قائلاً «أيها القادر وحده، صانع جميع العجائب، الذى لا يعسر عليك شىء، لكن ارادتك وقوتك فاعلة فى كل شىء. انعم بالروح القدس عند نضح الميرون المقدس. ليكن خاتماً مُحيياً، وثباتاً لعبيدك، بابنك الوحيد الجنس يسوع المسيح ربنا. هذا الذى من قِبَله يليق بك المجد... إلخ.

ثم يمسح الكاهن الأطفال المعمّدين بالميرون المقدس بمثال الصليب، كل واحد ٣٦ رشماً دون رفع يده عن الجسد الذى يرشمه. علماً أن رشم الجسد بالميرون بهذا العدد من الرشومات قاصر على الكنيسة القبطية.

(أولاً): يرشم النافوخ، والمنخارين، والفم، والأذن اليمنى، والعين اليمنى، والعين اليسرى، والأذن اليسرى (ثمانية رشوم) وهو يقول:

باسم الآب والابن والروح القدس. مسحة نعمة الروح القدس آمين.

(ثانياً): يرشم القلب والصرّة والظهر والصلب (٤ رشوم) وهو يقول:

مسحة عربون ملكوت السموات آمين.

(ثالثاً): يرشم مفصل الكتف الأيمن من فوق وتحت فى الإبط، ومفصل الكوع الأيمن ومثناه، ومفصل الكف الأيمن وأعلاه (٦ رشوم) وهويقول:

دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة آمين.

(رابعاً): يرشم مفصل الكتف الأيسر من فوق، وتحت الأبط. ومفصل الكوع الأيسر ومثناه، ومفصل الكف الأيسر وأعلاه (٦ رشوم) وهو يقول:

مسحة مقدسة للمسيح إلهنا، وخاتم لا ينحّل آمين.

(خامساً): يرشم مفصل الورك الأيمن، والحالب الأيمن، ومفصل الركبة

اليمنى ومثناه، ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه (٦ رشوم) وهو يقول :

كمال نعمة الروح القدس ، ودرع الإيمان والحق آمين .

(سادساً) : يرشم مفصل الورك الأيسر والحالب الأيسر، ومفصل الركبة اليسرى ومثناه، ومفصل عرقوب الرجل اليسرى واعلاه (٦ رشوم) وهو يقول :

ادهنك (يا فلان) بدهن مقدس باسم الآب والابن والروح القدس آمين .

وعند انتهاء رشم المعمّد **يضع الكاهن يده عليه ويقول :**

تكون مباركاً ببركات السمائيين، وبركات الملائكة. يباركك الرب يسوع المسيح وباسمه. ثم ينفخ فى وجه المعتمد ويقول :

اقبل الروح القدس، وكُنْ إناءً طاهراً من قبل يسوع المسيح ربنا هذا الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل آوان وإلى الأبد آمين.

بعد هذا يلبس المعتمد ثوباً ابيض وهو يقول : لباس الحياة الأبدية غير الفاسدة آمين .

ونلاحظ أن طقس الرشم بالميرون ٣٦ رشماً تقريباً على كل عضو وحاسة، المستخدم فى كنيستنا القبطية، له دلالة روحية جميلة جداً... لقد صارت اعضاء الإنسان المؤمن وكأنه كتب على كل منها «قُدْسٌ للرب»، أى صارت مقدسة للرب، لا تستخدم إلا له وفميا يمجد إسمه... وهنا نتذكر كلمات بولس الرسول «ألستم تعلمون أن أجساكم هى أعضاء المسيح . أفآخذ أعضاء المسيح واجعلها أعضاء زانية (للخطية)» (١كو٦ : ١٥)...

طقوس القدّاس الإلهى

- مـدخل لطقوس الإفخارستيا .
- تـأمـل فى موكب المعمدين الجدد .
- الاشكال الرمزية للافخارستيا فى العهد القديم .

تقدمة ملكى صادق + المن

+ خروف الفصح + مزمور الراعى .

+ نشـيد الأناشيد .

القداس الإلهى هو مجموع الصلوات التى رتبّتها الكنيسة لتقديس سر الافخارستيا ـ الخبز والخمر البسطين ـ ليصيرا جسد الرب ودمه الأقدسين ... ومنذ بدء المسيحية احتل تقديس الافخارستيا مركز الصدارة فى العبادة المسيحية. وغدا هذا السرّ الذى أسسّه ربنا يسوع المسيح قلب العبادة المسيحية والحياة المسيحية ذاتها.

فى سرّ المعمودية الذى هو سرّ الاستنارة، يربطنا المسيح بنفسه، ويسمح لنا أن نشاركه علاقته بالآب، فندعوه أبانا بنوالنا روح التبنىّ... وهكذا يستنير إنساننا الداخلى، ليتعرفّ على الله، على مستوى جديد لا تقدر خليقة أن تبلغه... **وفى سر الأفخارستيا ، الذى هو سرّ الاتحاد بالله، يحمل ابن الله ـ رئيس كهنة الخيرات العتيدة (عب ٩ : ١١) ـ كنيسته فيه سرياً، مقدماً معرفة حقّة لله أبيه، وعبادة فريدة جديدة سلمّها لكنيسته...** «ليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن أراد الإبن أن يُعلن له» (مت ١١ : ٢٧؛ لو ١٠ ٢٢).

وإلى اليوم ليس لدى الكنيسة ما تقدّمه لله الآب سوى ما قدمّه له ابنه الوحيد الجنس، حينما قّدم ذاته نيابة عن البشرية كلها ... «فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه» (عبرانيين ٧ : ٢٧)... أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على خشبة الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة (سرّ بخور عشية).

لذلك فإن صلوات القداس الإلهى الذى يقام من أجل تقديس سرّ الأفخارسُتيا إنما تمثل ذروة كل عمل تعبّدى، لأنه عمل المسيح ذاته. من أجل ذلك تعتز به الكنيسة. **إنه استمرار دائم لذبيحة الصليب. إنه عمل المسيح نفسه، الذى قدّمه ويقدّمه للآب باسمها...** وبعدما أسس الرب هذا السرّ وسلمّه لكنيسته، ناجى آباه السماوى قائلاً «هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى ارسلته» (يوحنا ١٧ : ٣)... **معنى هذا الكلام أن بلوغنا الحياة الأبدية تتم من خلال استنارتنا بالمعرفة، لنعرف الثالوث القدوس.**

وإن كان الكتاب المقدس يقدم لنا المعرفة عن الله وتدبيره الخلاصى ، فإن سرّ الافخارستيا يحدثنا عن الله حديثاً عملياً من خلال المصالحة التى تمت مع الآب بابنه الذى مات عنا ... وبعبارة أخرى ، نحن فى سرّ الأفخارستيا ندخل إلى معرفة جديدة ، ونتدرب على تقديم عبادة جديدة ، أساسها ليس روح العبودية والخوف ، بل روح التبنى (رو٨ : ١٥) .

الكنيسة كجسد المسيح ـ بهذا المفهوم ـ تدخل بدورها ، وتتمم ما قد صنعه مرة لأجلها لأنها واحدة معه . فتقدم لله الآب ـ فى القداس الإلهى ـ ما قدمه إبنه الوحيد الجنس ... يقول القديس ايريناوس (القرن الثانى) فى كتابه ضد الهرطقات « إذ نحن نقدّم ما له ، نُعلن على الدوام تبعيتنا واتحادنا بالجسد والروح » ... **لا يمكن فصل المسيح عن كنيسته التى هى جسده (افسس ١ : ٢٣ ؛ ٥ : ٣٠) إنهما واحد ، لهما رسالة واحدة ، وعناية واحدة . يقول القديس اغسطينوس « عندما كان السيد المسيح على الأرض منظوراً ، كانت الكنيسة مختفية فيه ، يفعل كل شىء لحسابها . والآن صعد إلى السماء ، وصار هو مختفياً فى كنيسته ، فتعمل هى كل شىء باسمه ولحسابه .**

مدخل لطقوس الأفخارستيا :

فى اجراءات الانضمام المسيحى ، التى كانت تتم ليلة عيد الفصح ـ والتى تكلمنا عنها فى الموضوع الماضى ـ كانت المعمودية والتثبيت والافخارستيا تشكّل وحدة متكاملة ، بها يتم تقديم الشخص المسيحى الجديد إلى الكنيسة . ثم أن الدروس التى تُلقى لتفسّر للمسيحيين الجُدد الأسرار التى قبلوها ، فإن هذه الأسرار كانت تقدم بترتيبها الواحد تلو الآخر. **كانت ليتورجية الأفخارستيا فى القرون الأولى ـ ومنذ العصر الرسولى ـ تمثل مركز حياة الكنيسة ، لكنها ـ كما سبق أن ذكرنا ـ كانت قاصرة على المؤمنين. أما غير المؤمنين من الموعوظين الذين كانوا فى فترة الاعداد ، فكانت الكنيسة تُعلن لهم أخبار الخلاص المفرحة ، وتُحدّثهم عن الإله الحقيقى والرب يسوع المسيح الفادى والمخلص .**

كان سرّ الافخارستيا - ليلة عيد الفصح، فى تلك الفترة المبكّرة من تاريخ الكنيسة - يبدأ بالموكب الذى يقود المعمّدين الجُدد من حجرة المعمودية إلى الكنيسة، حيث يكون قد تم الاستعداد لتقديم القرابين. معنى ذلك أن الجزء الخاص بما هو قبل القداس (رفع بخور باكر)، بما يشمل على صلوات وقراءات يكون قد أُسْدل عليه الستار.

وثمة ملاحظة يجب لفت النظر إليها، وهى إننا إذا امعنّا النظر فى الدروس الافخارستية الرئيسية، **نجد أن هناك اتجاهين رئيسين يتكرران باستمرار فى تفسير المغزى الأولى للسرّ وهو أن القداس اعلان سرائرى لذبيحة الصليب، وأنه مشاركة سرائرية فى الليتورجيا السمائية**... هذان الاتجاهان يتخلّلان ليتورجيا الأفخارستيا بأكملها، وهما واضحان فى المقام الأول، فى ارتباطهما بلبّ وجوهر تلك الليتورجيا، ألا وهى صلاة التقديس. غير أن نفس هذين الاتجاهين يسيطران على تفسير الطقوس المتنوعة لليتورجيا منذ بدايتها.

هذان الاتجاهان الفكريان لذبيحة الصليب والذبيحة السمائية يبرزان منذ بدء الاحتفال الأفخارستى. فإنه بعد المعمودية يرتدى المسيحيون الجُدد الثياب البيضاء ويحملون شموعاً فى أيديهم، وهم ينتظمون فى موكب، متوجهّين فى ليلة الفصح من المعمودية إلى الكنيسة، حيث يشتركون لأول مرة فى سرّ الأفخارستيا... **يقول القديس امبروسيوس «إن الناس الذين تطهرّوا، واغتنوا بالمواهب العجيبة (فى المعمودية والتثبيت)، يبدأون فى المسير فى موكب نحو المذبح قائلين: أدخل إلى مذبح الله، إلى الله الذى ابهج شبابى. إنهم بعد أن نزعوا عن أنفسهم آخر آثار الخطية القديمة، وتجددوا فى شبابهم كالنسور، يسارعون إلى المأدبةالسماوية، فيدخلون، ثم انهم إذ يرون المذبح المقدس قد تهيأ، يصرخون: هيأت قدامى مائدة».**

هذا الموكب الأول له جانبان: الموكب ذاته، والدخول إلى الكنيسة... فيما يتعلق بالموكب فهناك تأمل خاص به، فى اقتباس من المزمور ٤٢ (٤٣) (احكم لى يارب وانتقم لمظلمتى...)... أما عن الثانى، فهو يشغل مركزاً ممتازاً فى ليتورجيا المتقدمين للانضمام للمسيحية، وهو اقتباس من المزمور ٢٢ (٢٣): «الرب راعىّ فلا يعوزنى شىء...»، وسيأتى الكلام عنه بالتفصيل. **لكن ما ينبغى أن نلاحظه هو أن الأفخارستيا تظهر منذ البداية على أنها المأدبة السمائية. الافخارستيا هى**

الدخول إلى المقادس السماوية، الذى يُرمز إليه بالدخول إلى الكنيسة الأرضية.

تأمل فى موكب دخول المعمدين:

القديس غريغوريوس النزينزى يقول عما يرمز إليه هذا الموكب وهو يتأمل فى مثل العذارى الحكيمات... «**إن وضعك المباشر بعد المعمودية، وأمام العرش العظيم، هو رمز للمجد الأسمى. إن انشاد المزامير الذى يستقبلونكم به، هو المقدمة لترانيم السماء. والشموع التى تحملونها فى أيديكم، هى بمثابة السر Mysterion لموكب النور فى الأعالى. وهى التى سوف نأخذها معنا لملاقاة العريس. وتكون ارواحنا مستنيرة وعذراوية، وهى تحمل مصابيح الإيمان المشتعلة**»... إن كافة تفاصيل الطقس والمزامير والموكب والمصابيح تُفسَّر فى علاقتها بالليتورجيا السمائية. وحسبما يراه القديس غريغوريوس النزينزى، تنفتح ليلة الفصح على الأبدية. ولقد بدأ المعمدّون للدخول فيها. أما الحدود الفاصلة بين العالم الأرضى والسماوى، فلقد تبددّت وتلاشت. إن المعمدين اصبحوا يختلطون بالملائكة.

بعد الدخول إلى الهيكل، يبدأ هؤلاء المعمّدون الجُدد، ولأول مرة، يتأملون فى الأسرار الخفيّة... وهنا يبدأ جزء ثانٍ من الليتورجيا، وهو استعداد الشمامسة لتقديم القرابين على المذبح. هذا هو المنظر الذى يراه المعمّدون الجُدد. **ويمكننا هنا أن نمّيز بين ثلاثة عناصر: المذبح، والشمامسة، والاستعداد. وكلها رموز لحقائق سماوية. فالمذبح هو رمز لجسد المسيح الموضوع عليه (المذبح) [هذا رأى القديسين امبروسيوس وكيرلس الأسكندرى... المسيح هو المذبح]، وهو الكاهن [هذا التعبير مصدره العلامة اوريجينوس]... أما الشمامسة فيرمزون إلى الملائكة (هكذا يقول كل من ديديموس الضرير مدير الكلية اللاهوتية بالاسكندرية، وتيودور الموبسيستى من الكنيسة السريانية الأنطاكية)**... وفكرة حضور الملائكة فى الليتورجيا الأفخارستية كثيراً ما يشير إليها كتّاب القرن الرابع المسيحى، و يقولون إن الملائكة يحيطون بالكاهن. الهيكل كله والمكان الذى يحيط بالمذبح ملىء بالقوات السمائية، لتكريم ذاك (الله) الحاضر على المذبح على نحو ما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم... **هذا يُبرز فكرة أن الذبيحة الأفخارستية هى مشاركة سرائرية فى**

الذبيحة السمائية الوحيدة ...

نتوقف الآن عن الاسترسال فى الكلام عن طقوس القداس الإلهى لنتكلم عن الأشكال الرمزية للأفخارستيا فى العهد القديم ...

الأشكال الرمزية للافخارستيا فى العهد القديم

تحتلّ الافخارستيا مركزاً اساسياً فى استمرار الصلة السرائرية بين العهد القديم والعهد الجديد ... وكل آباء الكنيسة وعلمائها شرقاً وغرباً، لهم اتجاه عام واحد فى اعتبار الأفخارستيا عملاً استمرارياً وسرياً لذكرى ذبائح بعض ابرار العهد القديم كذبيحة هابيل الصديق، وتقدمة ملكى صادق، وذبيحة ابراهيم لاسحق إبنه ... وهذا ما يقول الكاهن فى كنيستنا القبطية فى سرّ بخور باكر... «يا الله الذى قبل إليه قرابين هابيل الصديق، وذبيحة نوح وابراهيم، وبخور هارون وزكريا، اقبل إليك هذا البخو من ايدينا نحن الخطاة رائحة بخور، غفراناً لخطايانا مع بقية شعبك، لأنه مبارك ومملوء مجداً اسمك القدوس أيها الآب والابن والروح القدس ...».
لكن الأمر لا تقتصر على من ذكرت اسماؤهم اعلاه. **لكن العلاقة بين سرّ الافخارستيا والعهد القديم، تأخذ صورة أوضح من جهة المادة السرائرية، كما نرى فى تقدمة ملكى صادق، ونزول المّن من السماء كخبز سمائى، وخروف الفصح** ... إلخ.

وكمثال لارتباط الجديد بالقديم، ما جاء بالكتاب الثامن من قوانين الرسل Apostolical Constitutions، حيث يذكر أن كبير الكهنة يقدّم الشكر لله، لأنه خلق العالم، وخلق الإنسان ووضعه فى الفردوس. ومن أجل ذبيحة هابيل وقبولها، ونقل اخنوخ إلى السماء، وخلاص نوح، والعهد مع ابراهيم، وذبيحة ملكى صادق، والخلاص من مصر... وتستمر الصلاة بتذكار أعمال الله العظيمة فى العهد الجديد، وكذلك اسرار المسيح ... مثل هذا الصلاة تبيّن لنا الأستمرارية بين العهد القديم وبين العهد الجديد والأسرار. وهى بهذا تدعونا أن نُمعن النظر فى العهد القديم، لكى نرى فيه الأشكال الرمزية المسبقة التى للعهد

الجديد والأسرار... إذن القداس يُنظر إليه على أنه الاستمرار فى الزمان الحاضر للأعمال الكهنوتية لكلا العهدين... والآن نستعرض بعض هذه الأشكال الرمزية...

تقدمة ملكيصادق :

كان الخبز والخمر اللذين قدمهما ملكيصادق، يعتبران منذ أمد بعيد جداً شكلاً رمزياً للافخارستيا. ولقد سبق أن تكلّم كليمنضس الأسكندرى عن ملكيصادق الذى قدّم خبزاً وخمراً، وعن الطعام المقدس كشكل رمزى ومثال Typos للأفخارستيا (المتنوعات ٢٥)... ويضيف القديس كبريانوس إلى هذه الفكرة - فى خطاب له يهاجم الهراطقة الذين رفضوا استخدام الخمر فى الافخارستيا- معدّداً النصوص الرئيسية فى العهد القديم حيث قدّم الخمر كشكل رمزى للأفخارستيا. ومن بين هذه النصوص واهمها كلها ما يختص بملكيصادق... يقول «إننا نرى فى ملكيصادق الكاهن، سرّ لذبيحة الرب، مرموزاً إليها سابقاً بحسب شهادة الكتاب المقدس.. لقد قدم ملكيصادق ملك ساليم خبزاً وخمراً... ويدلّل كبريانوس على أن ملكيصادق هو الرمز والمثال للمسيح، مؤسساً مقولته على المزمور (١٠٩ : ٤) «انت هو الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق»... إذن فكما أن ملكيصادق هو رمز للمسيح، كذلك تقدمته هى الرمز لقربان المسيح . وكما يلاحظ كبريانوس، أنها ليست فقط بمثابة رمز لذبيحة المسيح، بل لسرّ الذبيحة. ومطابقة تقدمة الخبز والخمر، تؤكد هنا العلاقة...

هذا الشكل الرمزى لملكيصادق يعتبر جزءً من التعليم المألوف. ويرجع إليه القديس امبروسيوس كثيراً، ويقول «إننا نذكر بأن الشكل الرمزى لهذه الأسرار قد أتى قبل زمن ابراهيم، حيث قدم ملكيصادق خبزاً وخمراً». ويخلص امبروسيوس من ذلك إلى اسبقية الذبيحة المسيحية على الموسوية... وثمة ملاحظة هامة، وهى اختيار المسيح نفسه للخبز والخمر كمادة منظورة للافخارستيا كما فى تقدمة ملكى صادق. إن ملكيصادق رمز للمسيح فى شخصه وتقدمته (انظر عبرانيين ٧). ويؤكد يوسابيوس القيصرى هذه المعانى مع القديس

امبروسيوس. إن ذبيحة ملكيصادق كانت كهنوتاً شاملاً وعاماً، وليس امتيازاً قاصراً على فئة معينة. لم يتم اختيار ملكيصادق من بين الناس، ولم يُمسح بزيت مصنوع بيد إنسان... كما أن العبادة فى العهد القديم كانت محددة فى مكان معين هو هيكل أورشليم. لكن النبى ملاخى يُعلن كصفة مميّزة للملكوت الآتى أن الذبيحة سوف تُقدم فى كل مكان... «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم، وفى كل مكان يُقرّب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة» (ملاخى ١ : ١١) **... ويرى الآباء فى ذلك رمزاً للافخارستيا ذبيحة الشريعة الجديدة المقدمة فى مكان.** ولقد كانت ذبيحة ملكيصادق غير قاصرة على مكان بالذات، إذ كان يمكن تقديمها فى كل مكان... ثم أن الخبز والخمر كما قدمهما ملكيصادق لابراهيم هما بالأكثر ذبيحة روحية، واقرب إلى البساطة الطبيعية عن تلك المجازر المقدسة التى قدمها الناموس اليهودى.

المــنّ:

التفسير الافخارستى من أن المنّ رمز للافخارستيا يستند إلى ما جاء فى (يوحنا ٦ : ٣١- ٣٣). قال اليهود للرب يسوع «آباؤنا أكلوا المنّ فى البرّية، كما هو مكتوب أنه اعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. فقال الرب يسوع الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء. **لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم»... يقول القديس امبروسيوس بعد أن دلّل بمثال ملكيصادق أن الأسرار المسيحية تمتد فى القِدَم عن الديانة اليهودية، فإن الله يوضح بالمنّ إنها أكثر فعالية أيضاً...»** لقد كان المنّ معجزة كبرى، ذلك الذى امطره الله على الآباء. لقد كانت السماء تُطعمهم بالطعام اليومى كما هو مكتوب أكل الإنسان خبز الملائكة (مزمور٧٨ : ٢٥). وبالرغم من ذلك؛ فإن الذين أكلوا هذا الخبز ماتوا فى البرية. **أما الغذاء الذى تتناولونه، الخبز النازل من السماء، يجلب لكم قدام الحياة الأبدية. إنه جسد المسيح. وكما أن النور أعظم من الظل، والحقيقة أعظم من الرمز، هكذا جسد الخالق أعظم من المن النازل من السماء»... نفس هذا المعنى يؤيده كل من القديسين كبريانوس واغسطينوس.**

وقد أضفت الديانة اليهودية على المنّ معنى أخروى اسخاتولوجى. فكما أن الله قد اطعم شعبه بطعام معجزى فى أيام «الخروج» فى القديم، فإنه يعود أيضاً ويصنع هذا فى أيام الخروج الأخروى... هذا المغزى الأخروى للمن يظهر فى العهد الجديد... «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المنّ المخفى» (رؤيا ٢ : ١٧) **... لقد وُضع المنّ على نفس المستوى مع شجرة الحياة (رؤيا ٢ : ٧)، وذلك على سبيل رمز المشاركة فى البركات السمائية فى العالم الآتى.**

ولكن الهدف الواضح للعهد الجديد هو ابراز كيف أن الطعام الأخروى، موجود من الآن فى الكنيسة بواسطة الافخارستيا. وهذا هو تعليم القديس بولس الرسول والقديس يوحنا الانجيلى. فبعد أن قال القديس بولس عن الشعب اليهودى أيام الخروج أنه أكل من الطعام الروحى، فيقول «وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا» (١كو١٠ : ٦). كما أن القديس يوحنا يخبرنا بأن السيد المسيح قال لليهود «آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا... إن اكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأ بد» (يو٦ : ٤٩ ، ٥١).

إن المنّ كرمز للأفخارستيا إذن يُعتبر - ليس مجرد تقليد مألوف عند الكنيسة - بل هو من صميم تعليم المسيح. أمامنا هنا مستويان للمثال المستعلن بالمسيح، والمثال السرائرى. وثمة أمر آخر وهو أن تيودور الموبسيستى والقديس يوحنا ذهبى الفم ربطا بين صخرة حوريب والمنّ كرمز للافخارستيا على أساس أن المنّ رمز للخبز، والماء من الصخرة رمز للخمر. وهذا يصّور تقليداً يرجع بأصوله للقديس بولس (١كو١٠ : ٤).

وهناك أصل آخر يربط بين صخرة حوريب والمعمودية، وهذا يرجع بأصوله إلى القديس يوحنا. وإن كان كبريانوس يرفض أن يرى فى الماء النابع من الصخرة رمز للخمر الأخارستى. لكن على أية حال، **فإن التقليد الأفخارستى لصخرة حوريب مشهود له تماماً خاصة عند آباء كنيسة انطاكية، وكذلك فى التقليد الغربى عند القديس امبورسيوس والقديس اغسطينوس مقتفين منهج القديس بولس الرسول فيما قال «وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح»** (١كو١٠ : ٤).

والقديس كبريانوس فى رسالته إلى سيسليوس Cecilius ، حيث يقدّم فيها رموز العناصر الأفخارستية فى العهد القديم ، يضيف إلى واقعة ملكيصادق ، أن مائدة الحكمة (أم ٩ : ٥) «بواسطة سليمان أيضاً يرينا «الروح» رمز ذبيحة الرب فى الاشارة إلى ذبيحة القربان التى للخبز والخمر وأيضاً للمذبح : الحكمة كما يقول بنت بيتها ودعمّته بأعمدة سبعة . لقد ذبحت ذبحها ، ومزجت ماءً وخمراً فى الكأس ، وأعدت المائدة . ثم إنها ترسل العبيد وبصوت عالٍ ، وتدعو المدعوين ليأتوا فيشربوا من كأسها قائلة : هلّموا ، كلوا خبزى واشربوا الخمر التى مزجتها لكم . **إن سليمان يتحدث عن الخمر الممزوج . أى أنه يعلن نبوياً عن كأس الرب الممزوجة بالخمر والماء» .**

خروف الفصح :

خروف الفصح الذى ذُبح ليلة خروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، ولطّخوا بدمه القائمتين والعتبة العليا من أبواب بيوتهم ، كان رمزاً واضحاً للمسيح (خروج ١١ : ١٢ ؛ ١كو٥ : ٧) ... وقد مات السيد المسيح على الصليب فوق الجلجثة وقت ذبح خروف الفصح ، الذى غدا عند اليهود شريعة دائمة ... **والأفخارستيا جسد الرب ودمه هى امتداد لذبيحة الصليب .**

إن أول نص نجد فيه اشارة واضحة للافخارستيا فى هذا الخصوص ، هو ما جاء بالموعظة الفصحية لهيبوليتس (أوائل القرن الثالث) ... يقول «سوف تأكلون فى بيت : هناك مجمع واحد ، ومنزل واحد ، وكنيسة واحدة ، حيث يؤكل جسد المسيح المقدس» ... هذا التفسير عن البيت حيث يؤكل الفصح ، كرمز لوحدة الكنيسة قديم جداً . ولعل هذه الاشارة عن الكنيسة هى التى قادت هيبوليتس إلى اعتبار رمزية الوليمة الفصحية ، على أنها رمز للأفخارستيا . ولكى نشترك فيها حقاً ، بينغى أن يكون الإنسان «فى البيت» أى فى الكنيسة . إنها إذن فكرة الأفخارستيا ، كسر"الوحدة الذى سبق الرمزية فى الوليمة الفصحية .

لكننا نجد عند كيرلس الأسكندرى تطوراً كاملاً للرمزية الأفخارستية للوليمة الفصحية . إنه يفسر وصيّ أكل الفصح عند المساء بأنها تعنى حقيقة أن السر الأفخارستى محفوظ لهذه الحياة الحاضر ... **ويتحدث النصّ عن اللحم أنه ينبغى أن**

يؤكل فى الليل، اى فى العالم الحاضر. لأن هذا ما قاله بولس الرسول «قد تناهى الليل واقترب النهار». وهو يقصد بالنهار العصر القادم، حيث يكون المسيح هو نوره. ثم يمضى النص فيذكر أن الطعام ينبغى أن يؤكل فى هذا العالم. وحقاً فإنه طالما نحن فى هذا العالم، فإنه بواسطة الجسد المقدس والدم الكريم، إننا نشترك فى المسيح بطريقة مازالت غير كاملة حينما نأتى إلى قوته وسلطانه، واتينا إلى بهاء قديسيه، سوف نتقدّس بطريقة أخرى معلومة عند الذى يوزع البركات الآتية».

على أن الوليمة الفصحية، التى كان يحتفل بها الشعب فى أثناء الليل، وقبل نهار تحريرهم، كانت رمزاً للافخارستيا، من حيث أنها كانت شكلاً من أشكال الشركة مع المسيح فى هذه الحياة الحاضرة، كما أنها رمز لوليمة الدهر الآتى. ويربط القديس كيرلس أيضاً خواص الافخارستيا بالعلاقة بين خروف الفصح وموت المسيح » إن الشركة فى الجسد المقدس والشرب من الدم المنقذ، يحوى الاعتراف بآلامه، والموت عنا، الذى قُدّم من أجلنا بالمسيح، مثلما قاله هو بنفسه فى خلال تأسيسه للقوانين التى استّنها للسرّ: كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموت الرب. إنه فى العالم الحاضر إذن، وبالمشاركة فى هذه الحقائق، نُبشر بموته. ولكن حينما نكون فى مجد الآب، فلن يكون هذا وقت الاعتراف بآلامه، وإنما للتأمل فيه تأملاً خالصاً كإله وجهاً لوجه».

وهكذا فإننا نرى الجانب الذى ننظر من خلاله المائدة الفصحية إلى الافخارستيا... إن ما تتميّز به هذه الوليمة هو أكل الخروف المذبوح. كما أن الحَمَل المذبوح هو رمز للمسيح فى آلامه، كما يعلمنا القديس يوحنا (يو١٩: ٣٦). ونتيجة لهذا، بصفتها وليمة فصحية، **فإن الافخارستيا هى سرّ المسيح الممات. إنها تذكار الصليب والآلام.** وهذا بالضبط معنى النص الذى ورد فى (١كو١١: ٢٦)، والذى اقتبسه القديس كيرلس الأسكندرى... بل ويمكننا أن نسأل أنفسنا ما إذا كان هذا النص ليست فيه اشارة إلى المسيح فى الإطار الفصحى، الذى يتصل بتأسيس الأفخارستيا. كما أنه أيضاً نظراً لوجود أصداء فصحية عديدة فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس... إننا نرى الأهمية اللاهوتية للفكرة الافخارستية لخروف الفصح، وكيف أنها تبدأ فى الظهور رويداً رويداً.

نحن نرى خصائص المثالية الافخارستية للوليمة الفصحية ... فأولاً نراها مؤسسة على العهد الجديد نفسه من خلال الحقيقة أن المسيح أسس الأفخارستيا فى نطاق الوليمة الفصحية ... إن الرمز لا يهتم بالعناصر، وهى التى تختلف. فهى من ناحية خبز وخمر، ومن ناحية خروف، وإنما هو يهتم بالوليمة نفسها. إن الوليمة نفسها حتى فى الديانة اليهودية هى «**سرّ الخلاص**»، ولكن هذا السرّ كان رمزياً ... **فى الأفخارستيا نجد أن الحقيقة التى سبق الرمز إليها بالخروف قد صارت منذ الآن موجودة تحت اعراض الخبز والخمر... والافخارستيا ينظر إليها الآن على أنها أكل الخروف الحقيقى. كما أن علاقتها بالوليمة الفصحية يربطها بكل الرموز التى لخروف الفصح.**

إن هذا هو الطابع الثانى لهذا المثال الرمزى Typology ... فهو يوضح جانباً فى غاية الأهمية للافخارستيا، ألا وهو علاقته بآلام المسيح وصلبه. إن خروف الفصح هو فى الحقيقة رمز للآلام والصلب، طبقاً للعهد الجديد. وبقدر ما كان الرمز إليه بخروف الفصح، وبقدر ما كان يُنظر إليه فى اطار فصحى، فإن الأفخارستيا يُنظر إليها على أنها سرّ الآلام والصلب. وهذا ما رآه القديس كيرلس الأسكندرى بوضوح... إنه تذكار الآلام بل وأكثر من ذلك. فهو الاشتراك فى سرّ موت المسيح وقيامته ... إن خروف الفصح كان سرّ العهد القديم، الذى يعيد إلى الذاكرة حرية اختيار الله لشعب اسرائيل [المعنى للاحتفال الفصحى، كان بقصد أن يجعل من العهد حقيقة حيّة كل سنة، وهو الذى تأسس بمقتضى النعمة الإلهية بين يهوه واسرئيل] ... **إن الأفخارستيا إذن هى «دم العهد الجديد ، المُهرق لمغفرة الخطايا، ليس لشعب اليهود فحسب، وإنما لشعب غفير»، إنه سرّ العهد، الذى تمّ مع البشرية بالمسيح على الصليب.**

ومن ضمن التوجيهات المصاحبة للوليمة الفصحية، تلك التعليمات المتعلقة بالفطير (الخبز غير المختمر)، الذى كان يُؤكل مع الخروف ... إن هذا الفطير يرد ذكره فى موضعين من سفر الخروج فيما يتصل بالفصح: فهو جزء من الوليمة الفصحية. وكطعام للشعب خلال السبعة أيام التالية... **وللفطير أهمية خاصة فى الرمزية الفصحية ـفلقد كان له تفسير رمزى فى العهد الجديد.** ففى الرسالة

الأولى لأهل كورنثوس، التى فيها اشارات إلى الفصح، يكتب القديس بولس «ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله. إذاً نقّوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً، كما أنتم فطير. لأن فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذاً لنعيّد ـ ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشرّ والخبث، بل بفطير الاخلاص والحق» (١كو٥: ٧، ٨).

إن القديس بولس يستمد رمزيته من حقيقة أن الفطير كان خبزاً لا خمير فيه، وأن الخمير يُصنع من عجينة مختمرة سابقة، وأما الفطير فهو خبز جديد مصنوع من دقيق من المحصول الجديد، ليس فيه خمير بعد. فهو لهذا رمز لجدّة الحياة. وكونه يؤكل بعد الفصح، فإن الفضير يرمز إلى حقيقة، وهى أنه بعد ذبيحة المسيح، التى اشترك فيها جميع المسيحيين بالمعمودية، فإنهم ماتوا للحياة القديمة، ويحيون بالجديدة. ويلزمنا أن نلاحظ أن هذه السبعة أيام ترتبط باسبوع البصخة الذى كان يلى العماد، وأنه فى أثناء هذا الأسبوع، كان الثوب الذى يرتديه المعمّدون، يرمز إلى جدّة الحياة التى دخلوا فيها.

إن رمزية القديس بولس هذه، كانت بمثابة توجيهاً لما طرأ بعد ذلك من تطورات... **فإن الفطير لا يظهر بعد ذلك أبداً على أنه رمز للافخارستيا فى حقيقة الأمر، ولكنه يتصل برمزية الانضمام للمؤمنين الجدد، بقدر ما هم يمثلون الاستعداد للانضمام الجديد. فهو إذن رمز للزمن الذى يلى فترة الانضمام بالمعمودية، أو بصفة عامة للحياة المسيحية.** وينبغى أن نلاحظ أن الفطير كرمز إلى الحياة النقية يُعتبر سابقاً على المسيحية. وها هو **فيلو Philo الفيلسوف اليهودى الأسكندرى الشهير فى القرن الأول المسيحى** يذكر من قبل «أن الفطير كما يرسمه الناموس كان كباعث لجذوة الحياة النسكية الطاهرة، التى كانت للعصور الأولى للبشرية. إن عيد الفطير حقاً، هو التذكار السنوى لخلقة العالم، ولتمجيد وتكريم البساطة والمسكنة للوجود البدائى»... **لقد ربطت المسيحية هذه الرمزية بالخليقة الجديدة.**

لقد فهم اقدم الكتاب المسيحين رمزية الفطير بمفهوم القديس بولس، دون أن يجدوا أية علاقة مباشرة بالأسرار. إن الفطير يرمز إلى بساطة الحياة المسيحية وجدّتها. وهكذا فإنه بالنسبة **ليوستينوس الشهيد فى حديثه إلى اليهود يقول:** «إن

ما يرمز إليه الفطير هو أنكم لا تعودوا إلى الأعمال القديمة لخمير الشر. وإنما أنتم الآن تفهمون كل شيء بمفهوم حسى فقط. ولهذا السبب قد امركم الله أن تعجنوا خميراً جديداً بعد سبع أيام الفطير، التى ترمز إلى ممارسة الأعمال الجديدة» (الحوار مع تريفو)... **إن الرمزية تتعلق بالخمير الجديد، الذى يمثل الحياة الجديدة، التى اتى بها الانجيل. إن رمزية الخمير الجديد، التى تُطبق الآن على المسيح موجودة عند هيبوليتس**... «فليأكل اليهود الآن إذن فطيراً سبعة أيام، وليواصلوا جهادهم لسبع أحقاب لهذا العالم. **أما نحن، فإن المسيح فصحنا قد بُذل من أجلنا. ولقد أخذنا خميراً جديداً من مزيجة المقدس**»... **وهنا أيضاً نجد عند القديس كيرلس الأسكندرى أن العلاقة بين رمزية الفطير والأفخارستيا، تتضح بأشد جلاء. إنه لايرى الفطير كرمز للافخارستيا، ولكنه يرمز إلى الإنسان الذى يشترك فى الافخارستيا.**

المزمور ٢٢ (٢٣) (مزمور الراعى):

يشدّ انتباهنا المزمور ٢٢ (٢٣)... **يكتب القديس كيرلس الأورشليمى**... «إن داود الطوباوى يعرّفنا بقوة السرّ (الأفخارستيا) حين يقول «**هيأت مائدة تجاه مضايقىّ**». **فماذا يقصد بهذا سوى المائدة السرية والروحية التى أعدّها الله لنا. مسحت بالزيت رأسى. لقد مسح رأسى على الجبهة بختم الله Sphragis الذى اخذتموه، لكى ما تُدمغوا بالختم Sphragis، تكريساً لله. وانكم ترون أيضاً أنه يذكر الكأس، التى حينما شكر الله عليها قال: هذه الكأس الذى لدمى**»...

إننا نرى أنه فى **نظر كيرلس، يُعتبر المزمور بمثابة نبوءة عن قبول الدعوة المسيحية.** ففى المسح بالزيت نجد الختم Sphragis الذى يلى المعمودية، والذى يتم بالزيت المقدس. ففى المائدة والكأس التى اسكرتنى يبرز لنا شكل عُنصرَىْ السرّ. إن القديس كيرلس يشير إلى النصوص بخصوص هذا المزمور، وكأنها معروفة جداً لمن تعمّدوا حديثاً. و يفترض أن هذا المزمور قد سبق فهيأ للمتقدم للمعمودية معرفة الأسرار التى تعطى له ليلة عيد الفصح.

وهذا يؤكده بوضوح القدس امبروسيوس الذى يعلّق على هذا المزمور فى عظتين من مواعظه... «انصتوا إلى السر الذى قبلتموه، واستمعوا إلى داود الى يخاطبكم. لقد سبق فانبأ بالروح بهذه الأسرار وامتلأ بالروح، وأعلن أنه لا يريد شيئاً (لا يعوزنى شىء)، ولماذا؟ لأنه نال جسد المسيح، فهو لا يجوع أبداً. **كم مرة سمعتم المزمور ٢٢ (٢٣) دون أن تفهموه؟ انظروا كيف أنه يتمشى مع الأسرار الإلهية**»... إن التعليم هنا أكثر وضوحاً إن الشخص المعمّد، كثيراً ما سمع المزمور دون أن يعيّه... إذن لقد كان للمزمور نصيب فى ليتورجية المعمودية.. **وكذلك يشير ديديموس الضرير الأسكندرى إلى هذا المزمور فى كتابه عن الثالوث**، الأمر الذى يؤكد أن المعمّد حديثاً، كان يرتل هذا المزمور... **بل إن القديس امبروسيوس فى كتابه عن الأسرار لا يشير فقط إلى هذا المزمور وعلاقته بالمعمّد حديثاً، بل أنه يحدد وقت تلاوته**... يقول: «إن المعمّد حديثاً حال وصوله ورؤيته المذبح مُعداً، فإن يصيح قائلاً: هيأت قدامى مائدة»... **إن هذا المزمور إذن، لابد وإنه كان يرتل فى أثناء موكب المعمّدين حديثاً ليلة الفصح إلى الكنيسة، إلى حيث كانوا يتهيأون لأن ينالوا تناولهم الأول.**

إن هذا المزمور لابد وأنه كان يبدو ملائماً لأن يُنشد فى هذه اللحظة، فهو بمثابة تلخيص لعملية الانضمام والمعمودية كلها... **هذا يؤكده القديس غريغوريوس النيسى** (علماً أن معانى هذا المزمور والانضمام إلى عضوية الكنيسة يظهر لأول مرة عند اوريجينوس). هذا ولآبد من الاشارة إلى أن هذا المزمور كان يرتبط بتفسيرين آخرين، كانا يقدّمان خلال اسبوع القيامة، هما تفسير نشيد الأناشيد، والصلاة الربية (أبانا الذى فى السموات)... ويبدو أن هذه التفاسير الثلاثة مع الأمور الإيمانية، كانت تقدّم لطالبى العماد، والدليل على ذلك أن المعمدين الجدد كانوا يرددّونه.

إن الطيب المسكوب على الرأس المذكور فى هذا المزمور (مسحت بالزيت رأسى)، هو زيت المسحة التى منها استمدّ المسيحيون تسميتهم... كان المزمور ٢٢ (٢٣) يُعتبر عند الآباء بمثابة ملخص سرائرى لسلسلة السرائر الخاصة بالانضمام فى المعمودية... الآية الثانية فى هذا المزمور تتحدث عن المراعى التى يقود إليها الراعى رعيته. **ويرى القديس غريغوريوس النيسى** أن هذه المراعى إنما تشير إلى التعاليم

التمهيدية قبل المعمودية، حيث تغتذى فيها الروح بكلمة الله. **ونفس هذا المعنى نجده عند العلامة اوريجينوس والقديس كيرلس الأورشليمى وتيودور الموبسيستى.**

أما الآية الثالثة (على ماء الراحة يوردنى)، فهى تُفهم على المعمودية. وهذا هو رأى القديسين أثناسيوس الرسولى وكيرلس الأسكندرى وكذلك تيودور الموبسيستى... أما **غريغوريوس النيسى** فيربط بين الآية الثانية والثالثة... «إن سلكت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك معى»، فيقول «يجب أنك تدُفن فى الموت معه (الله) بالمعمودية. ولكن ليس الموت نفسه، وإنما هو ظلّ وصورة للموت»... **هذا نفسه هو رأى القديس كيرلس الأورشليمى**...

والآية التالية «عصاك وعكازك هما يعزياننى». وكلمة يعزىّ ترجمة للكلمة اليونانية باركاليسيس Paraclesis أى يعزى. **هذا هو السبب فى أن هناك اشارة إلى الباركليت يمكن رؤيتها فى هذه الآية**... وهكذا فإن غريغوريوس النيسى يكتب... «ثم إنه (الله) يعزيه... **ولكن بوجه أكثر عمومية فإن انسكاب الروح القدس يرتبط بالآية (٥) «مسحت بالزيت رأسى». ويفهمها كيرلس الأورشليمى على أنه مسح الجبهة بالختم... ويؤكد ذلك البابا أثناسيوس الرسولى «إن هذه الآية تشير إلى المسحة السرائرية».**

لقد فرح الآباء حينما وجدوا أن سرّى المعمودية والتثبيت قد سبقت الاشارة إليهما فى الآيات الأولى للمزمور ٢٢ (٢٣) وبالإضافة إلى هذا، فإن الآيات الأخيرة قد بيّنت لهم رمزاً للوليمة الأفخارستية. فأولاً الآية (٥) «هيأت قدامى مائدة تجاه مضايقى»... يقول القديس كيرلس الأورشليمى «إذا أردت أن تعرف تأثير السرّ، فعليك أن تسأل الطوباوى داود الذى يقول: هيأت قُدامى مائدة تجاه مضايقىّ». انظروا ما يود أن يقوله: إنك يا الله قبل مجيئك قد هيأت الشياطين للناس موائد فاسدة وكريهة، مليئة بالقوى الشيطانية. **ولكنك حينما أتيت أيها الرب، فقد هيأت مائدة قدامى، وما هى إلا المائدة السرائرية الروحية التى أعدّها الله لنا».** نفس الكلام يردّده القديسون امبروسيوس وغريغوريوس النيسى واثناسيوس الرسولى وكذلك تيودور الموبسيستى.

وإذا كانت المائدة التى هيّأها الراعى تعتبر رمزاً للوليمة الأفخارستية، فإن هذا يصدق بالأولى والأكثر على الكأس «وكأسك روتنى»، التى هى كأس الدم فى الأفخارستيا ... هذا التفسير نجده عند **القديس كبريانوس**، ويعتبره من أهم الرموز للأفخارستيا. وقبله نجده عند العلامة اوريجينوس. كما نجده عندالقديسين أثناسيوس الرسولى وكيرلس الأورشليمى.

يقول القديس **غريغوريوس النيسى** «فى المزمور يدعوك داود لأن تكون خروفاً ناطقاً، راعيه هو المسيح، لا يعوزه شىء طيب. أنت يا من يصير لك الراعى الصالح مرعى فى الحال، وماء راحة وطعاماً، ومسكناً وطريقاً ومرشداً، يوزّع نعمه بحسب احتياجك. إنه بهذا يعلّم الكنيسة أنك يجب أولاً أن تكون خروفاً ناطقاً للراعى الصالح، الذى يقودك بتعليم الخلاص إلى المراعى وينبوع التعاليم المقدسة».

وبالطريقة نفسها يرى القديس كيرلس الأسكندرى فى هذا المزمور «انشودة الوثنين الذين اهتدوا وصاروا تلاميذاً لله، الذى اطعمهم روحياً واشبعهم. فهم يعبّرون عن امتنانهم لقائدهم لهذا الطعام الخلاصى، فيدعونه راعياً وأباً. فإنه بالنسبة لهم كمرشد، وليس هو مجرد قديس كما كان موسى بالنسبة لاسرائيل، بل هو راعى الرعاة ومعلّم المعلمين المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة».

ويتجاوز أثر المزمور ٢٢ (٢٣) العبادة المسيحية الأولى إلى الرسوم والصور. وكثير من الدراسات الحديثة ذهبت إلى بيان أن **تصوير الراعى الصالح بكثرة فى حجرات المعمودية القديمة، إنما يرجع إلى ارتباطه بالمزمور ٢٢ (٢٣)، وخصوصاً وأن فى بعضها نقرأ هذا النقش «فى مراعٍ خضر يُربضنى، على ماء الراحة يوردنى»** (نقول هذا لئلا يختلط بالمسيح الراعى الصالح كما جاء فى إنجيل يوحنا ص١٠).

وفى العهد القديم اعتقاد عن الراعى الذى لابد وأن يأتى فى نهاية الأيام، لكى يجمع الخراف المشتتة من بيت اسرائيل. وهذا الراعى سيقود خرافه إلى المراعى العجيبة، حيث تتفجّر الينابيع، وتنمو الخضرة بغزارة ووفرة. **هذه نجدها موصوفة فى عبارات تعيد إلى الذاكرة اشجار الفردوس، وينابيع سفر الخروج** (انظر على وجه الخصوص اشعياء٤٩ : ١٠ ؛ حزقيال٣٤ : ١ ؛ زكريا١١ : ٤)... أما العهد

الجديد فيعلمنا أن هذه الصورة الاسخاتولوجية الأخروية، قد تحققت فى المسيح. فإنه هو الراعى الصالح الذى يبذل حياته عن خرافه ويقودها إلى المراعى (يوحنا ١٠ : ١٠، ١١).

نشيد الأناشيد :

إن انبياء العهد القديم يمثلون العهد بين يهوه واسرائيل فى برية الخروج، على أنه بمثابة «عهد زواج». ولكن هذا الاتحاد كان مجرد رمز لاتحاد اكمل، كان عتيداً أن يحدث فى نهاية الزمان، فى الخروج الجديد... يقول السيد الرب «سأذهب بها إلى البرية والاطفها» (هوشع ٢ : ١٤)... **والآن فإن نشيد الأناشيد، بالنسبة لبعض الباحثين، هو بمثابة النبوءة لهذا الزواج المستقبلى. إنه ترنيمة الزواج لهذا القران الاسخاتولوجى الذى للخروف، والذى ورد وصفه فى سفر الرؤيا...** «رأيت المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله، مهيّأة **كعروس مزينة لرجلها»** (رؤيا ٢١ : ٢)... **ويبيّن لنا العهد الجديد هذا الزواج الاسخاتولوجى على أنه قد تحقق بتجسد الكلمة، وبه اتحد اتحاداً لا ينحلّ بالطبيعة البشرية** (يوحنا ٣ : ٢٩) [هنا كلمات يوحنا المعمدان: من له العروس فهو العريس]... **إن هذا الزواج سوف يتحقق فى النهاية حينما يرجع العريس فى نهاية الزمان، فتخّف به ارواح الصديقين فى تشكيل الزواج، ليذهبوا للقائه** (متى ٢٥ : ١ - ٣ مثل العشر عذارى).

ولكن فى الفترة بين البداية والنهاية عند الظهور، يستمر هذا الزواج بين المسيح والكنيسة، ويستمر أيضاً فى حياتها السرائرية... إن هذا يُعتبر جانباً آخر للاهوت الانضمام إلى عضوية الكنيسة، ألا وهو جانب الاقتران والزواج. على أنه ليس بأقل أهمية، فهو يصدق على المعمودية وعلى الأفخارستيا **[يطلق يوحنا ذهبى الفم على عملية الأنضمام إلى المسيحية فى مجموعها «الزواج الروحى»]**... ولدينا شهادات كثيرة عنها فيما يتصل بكل من السرّين..

ففيما يتعلق بالمعمودية، فإن هذه الفكرة تظهر لأول مرة عند العلامة ترتليان... «حينما تأتى النفس إلى الإيمان بعد أن تتجددّ خلقتها بالماء والروح القدس، بالميلاد

الجديد، يستقبلها الروح القدس. ويصاحب الجسد النفس فى هذا القران مع الروح (القدس). ايه أيها الزواج المبارك، إذا كان لايسمح بأى زنا»... **نفس هذه الفكرة نجدها عند العلامة اوريجينوس**... «إن المسيح يسمى بعريس النفس، وهو الذى تقترن به النفس حينما تأتى إلى الإيمان» (من عظاته على سفر التكوين). **ونلاحظ أن العريس عند ترتليان هو الروح القدس، بينما هو المسيح عند اوريجينوس.**

وفى القرن الرابع يكتب ديديموس الضرير الأسكندرى... «فى بركة المعمودية، إن الذى صنع النفس، يأخذها له عروساً» (كتابه عن الثالوث)... **والأفخارستيا تقدّم أيضاً على أنها اتحاد الزواج بين المسيح والنفس.** يقول القديس كيرلس الأورشليمى «لقد اعطى المسيح لأبناء مخدع الزواج التلذّذ بجسده ودمه».

فهناك إذن نوع من الأساس لتفسير سفر النشيد، الذى يعتبر نبوءة للزواج الاسخاتولوجى، على أنه رمز للانضمام للمسيح، وحفل القران بين المسيح والنفس... ويمكن اضافة سبب آخر لهذا السبب فى ترتيبه الليتورجى. ففى القرن الرابع المسيحى، كانت المعمودية تُمنح عادة ليلة الفصح. ونحن نعلم الآن أنه فى الليتورجية اليهودية، كان يقُرأ سفر النشيد أثناء الفصح. ونحن نعمل أيضاً أن الليتورجيا المسيحية القديمة، كانت تتميز بطابع الليتورجيا اليهودية. فمن الممكن والمحتمل إذن، أن الليتورجيا المسيحية حذت فى ترتيبها حذو ليتورجية المجامع اليهودية. ثم بعد ذلك اظهرت فى المعمودية والأفخارستيا التحقيق الدقيق للنص الذى يُقرأ فى أثناء هذه المناسبة الليتورجية.

فى معرض التفسير السرائرى للنشيد، ينبغى لنا أن نميّز بين جانبين: الأول وهو أن النشيد يعتبر على الأجمال عند الآباء رمزاً للأسرار، على أنها اتحاد زواج بين المسيح والكنيسة. ويبدو هذا بمثابة تطور شرعى للمعنى الحرفى للآية... ولكن الآباء حاولوا أيضاً أن يربطوا بين الآيات المختلفة فى النشيد بالجوانب المتعددّة فى ليتورجية الانضمام للمسيحية. وهنا نجد عناصر ذات قيمة غير متساوية: فالبعض منها له أساس كتابى، مثل الدعوة إلى وليمة النشيد (٥ : ١). والبعض الآخر ينصب على الأقل على تقليد قديم وشائع مثل خلع الثوب (٥ : ٣). ثم أخيراً نجد تعبيرات مجازية

تنصبّ على مشابهات خارجية. وبالنسبة لهذه، فلا حاجة بنا لأن نعطيها أهمية ما... وإذا نحن قمنا بشرح النصّ، فإننا نجد أنفسنا منساقين لعديد من التكرار. ولهذا فإننا سوف نتبع بدلاً من ذلك، ترتيب الانضمام إلى المسيحية والمعمودية. **وكما كان الحال مع المزمور ٢٢ (٢٣)،فإن النشيد كان يُنظر إليه على أنه رمز متكامل للأسرار بأجمعها.**

ويبدأ كتاب الدروس الابتدائية للقديس كيرلس الأورشليمى بقوله... «ها إن عِطْر البركة blesedness قد هَفَّت رائحته إليكم أيها الموعوظون. وها انكم تقطفون الزهور الروحية لكى تنسجوا التيجان السمائية. وها أن العطر الزكى للروح القدس ينسكب عليكم. إنكم فى ردهة المسكن الملوكى. ألاليتكم تدخلون إليه على يد الملك. من هنا فصاعداً حقاً قد بزغت الأزهار على الشجر، والآن لابد أن تُينع الثمار.. إن الأشارة إلى سفر نشيد الأناشيد واضحة: «الزهور ظهرت فى الأرض» (نش ٢ : ١٢)، «لقد انسكب الطيب» (نش ١ : ٣)، «ادخلنى الملك إلى حجاله» (نش ١ : ٤). إن الموعوظين على عتبة بستان الفردوس الملوكى، حيث يتم الزواج. وها أن انفاس هواء الفردوس تهب عليهم... **ويتكلم القديس امبروسيوس بأكثر تحديد،** فيزيد على موقف الموعوظين آية أخرى من النشيد «اجذبنى وراءك فنجرى وراء رائحة اطيابك» (١ : ٣، ٤). إن عطر الفردوس هذا، وهذه الرائحة الزكية التى للروح القدس، هو عربون نعمة الله، الذى به يجذب النفوس إلى فردوسه». انظروا ماذا يحمل هذا النص من معنى، انكم لا تقدرون أن تتبعوا المسيح ما لم يجذبكم المسيح بنفسه».

قد دخلت جنتى يا أختى العروس. قطفت مرّى مع طيبى. اكلت شهدى مع عسلى. شربت خمرى مع لبنى. كلوا أيها الأصحاب، اشربوا واسكروا أيها الأحباء» (نش ٥ : ١)... **فى رأى القديس امبروسيوس، يعتبر هذا وصفاً للوليمة الافخارستية:** لماذا يتكلم الرب عن طعام وشراب. إن هذا أمر سوف يفهمه الشخص الذى انضم إلى عضوية الكنيسة.

فى هذه الآية، إن مجرد الاشارة إلى الخبز والخمر هو الذى يوحى إلى القديس إمبروسيوس بمغزى افخارستى. وأما الآية التالية فهى من الناحية الأخرى تعتبر دعوة

موجهة من العريس إلى النفوس، لكى يشتركوا فى حفل العرس لزواجه من الكنيسة. وهذا ما يشرحه **القديس غريغوريوس النيسى «بالنسبة لمن يدركون المعنى الدقيق للكتاب المقدس، فإنه لا يوجد ثمة فعق بين ما يقال فى النشيد: كلوا أيها الأصحاب. اشربوا واسكروا أيها الأحباء، وبين تعاليم الرسل عن الأسرار للمنضمين لعضوية الكنيسة. فحقاً فى كلا الموضعين تقول الآية «كلوا واشربوا». ولربما نعترض بالرغم من هذا، كما يقول غريغوريوس النيسى «إنه فى آية الانجيل لم يرد ذكر أى شىء بخصوص السكر، ولكن هذا يرجع إلى أن هذا السكر هو المسيح بشخصه، الذى يرفع الحقائق الدنيا إلى الحقائق العليا»**.

إن الدعوة إلى السكر التى يدعو إليها العريس فى النشيد، مُفسرة بنفس الطريقة الموجودة فى دروس الدين التى نعطيها. إن الكنيسة وهى ترى مثل هذه النعمة الكبرى ألا وهى الاحتفال بوليمة عرس المسيح، فإنها تدعوا ابناءها وتدعو جيرانها ليسرعوا إلى الأسرار كُلوا يا اصدقائى واشربوا واسْكروا أنفسكم يا أحبائى. إن ما نأكله وما نشربه سبق أن وصفه الروح القدس فى موضع آخر بالنبى القائل: ذوقوا وانظروا إن الرب حلو. إن المسيح موجود فى هذا السر لأن هذا هو جسد المسيح، كغذاء روحى وليس جسدياً». ثم أنه فى كتابه عن الأسرار نراه يحتفل بهذا السكر الواعى الذى يعطى بخمر الأفخارستيا «كلما تشربون، تنالون مغفرة الخطايا، وتصيرون سكارى بالروح. إن من يسكر بالخمر يترنح و يتلعثم، أما الذى يسكر بالروح فإنه يترسخ فى المسيح. يا له من سُكر عجيب يُحدثه سُكر الروح! وهذا هو ما يلزم أن نختبره بإزاء الأسرار».

و يصحب السكر الواعى الذى يذكيه خمر الأفخارستيا، أن يرتوى أخيراً تعطّش الروح. فعند الانتهاء من الانضمام إلى عضوية الكنيسة من ناحية اتمام الأسرار، فإن النفس تكون قد اجتازت الأشياء الأرضية إلى الأشياء السمائية. ولكنه يتعّين علينا بالرغم من هذا، أنه فى هذا الاحتفال بوليمة عرس المسيح والكنيسة ـ وهذا ما يتحقق فى الأفخارستيا ـ فإن جانب الزواج لا يبرز، ولا تختلف الرمزية عن تلك التى نراها فى وليمة الحكمة أو فى كأس المسكر مزمور ٢٢ (٢٣)، إن الجانب الزيجى فى الافخارستيا ـ بوضوح أكثر ـ يظهر فى تفسير آيات أخرى من آيات النشيد، والتى فيها يظهر حفل العرس، بل واتحاد الزواج نفسه، وهما يشيران إلى وحدة المسيح مع النفس، حيث يتم

اتحادهما واقترانهما فى الأفخارستيا .

ويرجع بنا القديس امبروسيوس إلى الآية الأولى فى سفر النشيد « لقد اتيت إلى المذبح ، وها هو الرب يسوع يناديك ، لأن الآية تتحدث عنك أو عن الكنيسة ، وهو يقول لك « ليقبلنى بقبلات فمه » . إن هذا القول يمكن تطبيقه على المسيح وعليك أنت أيضاً . فهل تريد أن تطبقّه على المسيح ؟ إنك ترى أنك قد تطهرت من كل خطية ، حيث أنه قد مُحيت خطاياك . إن هذا هو السبب فى أنك تكون مستحقاً للأسرار السمائية ، وهو يدعوك لوليمته السمائية . ليقبلنى بقبلات فمه . أو تريد أن تطبّق ذات الشيء على نفسك ؟ ها أنك ترى نفسك وقد تطهرت من كل الخطايا ، وصرت أهلاً لأن تأتى إلى مذبح المسيح . لأنه ما هو المذبح حقاً ، سوى شكل جسد المسيح . ها أنك ترى السرائر العجيبة ، فتقول : ليقبّلنى بقبلات فمه ، أى ليت المسيح يقبّلنى » .. **وهكذا يكون حال شركة الأفخارستيا ، حيث يوضع جسد المسيح على شفتىّ المعمّد الذى تطهر من كل خطاياه. هو حقاً بمثابة القبلة المعطاة من المسيح إلى النفس . وهو التعبير عن اتحاد المحبة الذى قد تعاهد المسيح به مع النفس . وهنا يكون هذا هو الاقتران الزيجى ، الذى يكون هو الرمز المباشر للأفخارستيا** .. و يقول ثيودريت « إن كان هناك شخص تزعجه أفكاره السقيمة و يضطرب لكلمة « قبلة » ، فعليه أن يتأمل أن فى وقت السرّ، وعند قبول أعضاء العزيس إننا نقّبلها ونحتضنها ، ونضع العريس وعيناه مستقرتان على قلوبنا ، ونتصوّر نوعاً من العناق الزيجى ، ونتأمل فى أننا نتحد بأنفسنا بشخصه المبارك ، ونعانقه ونقبّله بمحبة تطرح الخوف خارجاً ، بحسب ما جاء بالكتب المقدسة »...

إن شركة الافخارستيا تُعتبر حقاً بمثابةوحدة زواجية .إنها زواج الأغابى ، زواج المحبة بالاتحاد . وترجع الفكرة نفسها فى مواضع أخرى ... وتيودور فى تأملاته عن عبارة « يوم الزواج » يطبقّه على الأفخارستيا فيقول « إننا حينما نأكل اعضاء العريس ، ونشرب دمه ، فإننا نحقق اقتراننا الزيجى معه » [هذا التعبير -يوم الزواج- يشير فى سفر النشيد إلى « المجيء الأخروى- وهذا المجيء الأخروى ينشأ بالانضمام إلى عضوية المسيح] .

إن كل التعاليم التى جاءت فى التقليد تظهر لنا فى سفر نشيد الأناشيد ، شكلاً

للانضمام إلى العضوية المسيحية. وأساس هذا الاقتران واضح جليّ. فمن حقيقة أن النشيد يعتبر نبوءة للاقتران الأخروى مع المسيا واسرائيل الجديد. إننا فى جانب الصواب حينما نرى ذلك محققاً فى الأسرار، حيث يتم فيها اقتران الزواج بين المسيح والكنيسة. ولكن لعلنا نتساءل ما إذا كان هذا التفسير السرائرى للاهوت الزيجى يستمد قوته من العهد الجديد.

هناك آية فى الرسالة إلى أهل أفسس حيث يُقَدم لنا سر الأفخارستيا بمثابة تحقيق الزواج الأخروى: «أيها الرجال (الأزواج) احبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة واسلم نفسه لأجلها، لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة (كلمة الحياة) لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غَضَن (تجعد)... من يجب إمرأته يحب نفسه... يقوتها و يربيها، كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه. من أجل هذا يصير الرجل والمرأة جسداً واحداً. هذا السرّ عظيم، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥ : ٢٥-٣٢).. **إن الاشارة إلى سّر الافخارستيا واضحة جلية. فإنه بواسطة هذا السر يصير المسيح مع النفس جسداً واحداً كحال الرجل والمرأة. وهذا بالضبط ما يبيّنه الآباء فى تفسيرهم لسفر نشيد الأناشيد.** [هذا التفسير الأفخارستى لأفسس ٥ :٣١ موجود بوضوح عند القديس يوحنا ذهبى الفم فى شرحه للرسالة إلى أفسس]

ولقد لفتت هذه الحقيقة ميثوديوس الأوليمبى... إن الزواج بين المسيح والكنيسة، وهو الذى حدث على الصليب، يستمر فى الكنيسة كلها بالمعمودية وسر الافخارسيتا: «لقد نزل كلمة الله إلى الأرض لكى يتحد بنفسه مع عروسه، مائتاً بإرادته عنها، لكى يجعلها مجيدة وبلا دنس فى حميم التطهير. وإلا لما استطاعت الكنيسة أن تتمخّض بأولئك الذين يؤمنون وتلدهم مرة أخرى ميلاداً جديداً بحميم التجديد والولادة الجديدة، لو أن المسيح لم يَمُت أيضاً، ولو لم يتحد بنفسه مع كنيسته، ويمنحها السلطان من جانبه، حتى يقدر هؤلاء جميعاً أن ينمو - أولئك الذين ولدوا فى حميم المعمودية» (وليمة العشر عذارى ٣ : ٨)... إن المعمودية على الدوام تجدّد ميلاد المسيحين، بإلقائهم فى موت المسيح. والأفخارستيا تهىء لهم باستمرار النمو، وذلك بمنحهم القوة التى تأتى من جانبه، أى بالشركة فى جسده القائم. وهكذا تصير العملية

كلها للعضوية المسيحية السرائرية ، هى التعبير عن السرّ الزيجى... وما ورد فى نصّ القديس بولس هو نفسه يعطينا التفسير لهذه الأشكال التى كنا بصدد فحصها . وإنه نظراً إلى أن سرّ الآلام هو الجانب التنفيذى للزواج الأخروى «لكلمة الله» «واسرائيل الجديد» ، ونظراً إلى أن الأنضمام إلى العضوية المسيحية هو الاستمرار «لسر الآلام» ، فإن المعمودية والأفخارستيا هما سرّ زواج واقتران .



القداس الباسيلى

- طقس تقديم الحمل
- ليتورجيا الموعوظين
- الأنافورا (قدّاس المؤمنين)

القداس الباسيلى

تكلمنا فى المرة الماضية عن الأشكال الرمزية للافخارستيا فى العهد القديم ... وكان بودى أن نتناول بالكلام موضوع القداس الإلهى، الذى فيه نحتفل بسرّ الافخارستيا، والليتورجيات القديمة ابتداءً من القرن الأول، لكن الوقت لا يسعفنا، لذا نقصر حديثنا عن القداسات المستخدمة فى كنيستنا حالياً؛ وهى القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى وهو قداس مارمرقس ... وقد نشير فى سياق حديثنا إلى بعض القداسات القبطية القديمة، وغير المستخدمة حالياً ... ونبدأ اليوم بالكلام عن القداس الباسيلى الأكثر استعمالاً والمألوف لدى الشعب ... **ينقسم القداس الباسيلى إلى ثلاثة أقسام:**

(١) تقدمة الحمل (٢) قداس الموعوظين (٣) قداس المؤمنين (الأنافورا)

طقس تقديم الحمل:

(أ) الاستعداد:

قبل تقديم الحمل، يتقدم الكاهن الخديم (الذى سيرفع القرابين) بخوف ورعدة نحو مذبح الله، و يصلى صلاة الاستعداد ... ولا تسعفنى الكلمات للتعبير عن الاستعداد الواجب على الكاهن حين يمثل فى حضرة الله فى سرّ الافخارستيا، حينما يكون إبن الله بذاته بجسده ودمه على المذبح ... **وإذا كان الاحتفال السنوى بالفصح القديم، استوجب أن يبقى بنو اسرائيل سبع أيام كاملة، يأكلون فطيراً، و يبعدون الخمير من بيوتهم، كرمز لحياة النقاوة والقداسة مدة حياتهم بالجسد على الأرض، الذى يرمز إليه السبعة أيام، فكم يلزم الإنسان المسيحى أن يستعد ؟!**

وإذا كان الله، حينما أراد أن يحلّ بمجده فوق جبل سيناء، أمر موسى النبى أن يتقدس الشعب مدة ثلاثة أيام، ويغسلوا ثيابهم ولا يقربوا زوجاتهم. ولا يقترب أحد من الجبل. وكل من يمسّ الجبل، إنساناً أو بهيمة يقتل و يرجم. ولما

حلّ الرب بمجده فوق الجبل أنه كان يدخّن وتزعزع الجبل (خروج ١٩) ... الأمر الذى اشار إليه القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين ... «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار، وإلى ضباب وظلام وزوبعة، وهتاف بوقٍ وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة، لأنهم لم يحتملوا ما أُمرَ به وإن مسّت الجبل بهيمة تُرجم أو تُرمى بسهم. وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد» (عب ١٢ : ١٨- ٢١) ... ويضيف القديس بولس إلى الكلام السابق «نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢ : ٢٨ ، ٢٩) ...

إذا كان هذا هو ما حدث فى العهد القديم، فكم وكم ينبغى أن يكون وقوف خدام الله فى حضرته فى سرّ الأفخارستيا ؟! ... وكما يقول آباء الكنيسة القديسون وكتاب وعلماء القرن الرابع المسيحى -وعلى رأسهم غريغوريوس النزينزى ويوحنا ذهبى الفم - **إن الملائكة يكونون حاضرين فى الليتورجية الافخارستية. وإن الملائكة يحيطون بالكاهن. الهيكل كله -المكان الذى يحيط بالمذبح- ملىء بالقوات السمائية، لتكريم الحاضر على المذبح.**

الاستعداد المطلوب إذن هو بالدرجة الأولى، استعداد روحى وفكرى وجسدى. ثم يزيّن المذبح بالفرش المناسب على نحو ما كانت العلية التى أسس فيها الرب سرّ الأفخارستيا (مر ١٤ : ١٥ ؛ لو ٢٢ : ١٢) ... ثم يعّد الأوانى، ويقول صلاة سرّاً هى صلاة الاستعداد ... وهى صلاة مملوءة انسحاقاً وتذللاً لاستدرار مراحم الله ومعونته، معترفاً بضعفاته فتتفاضل نعمة الله على الكاهن المصلّى :

«أيها الرب العارف قلب كل واحد، القدوس المستريح فى قديسيه، الذى بلا خطية وحده، القادر على مغفرة الخطايا. **أنت ياسيد تعلم إنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك.** وليس لى وجه أن اقترب وافتح فاى أمام مجدك المقدس. بل ككثرة رأفاتك اغفر لى أنا الخاطىء. وامنحنى أن أجد نعمة ورحمة فى هذه الساعة. **وارسل لى قوة من العلاء، لكى ابتدىء واهيىء واكمّل كما يرضيك خدمتك المقدسة،** كمسرة ارادتك رائحة بخور. نعم ياسيدنا كن معنا. اشترك فى العمل معنا باركنا. لأنك أنت هو غفران خطايانا وضياء أنفسنا

وحياتنا وقوتنا ودالتنا . وأنت الذى نرسل لك إلى فوق المجد والاكرام والسجود أيها الآب والابن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين » .

وبعد الانتهاء من فرش المذبح وتزيينه ، يقول هذه الصلاة سراً :

« أنت يارب علمتنا هذا السرّ العظيم الذى للخلاص . أنت دعوتنا نحن الأذلاّء غير المستحقين عبيدك لنكون خداماً لمذبحك المقدس . **أنت يا سيد اجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس ، أن نكمّل هذه الخدمة ، لكى بغير وقوع فى دينونة أمام مجدك العظيم نقدم لك صعيدة البركة ، مجداً وعظم بهاء فى قدسك.** اللهم معطى النعمة مرسل الخلاص الذى يفعل كل شىء فى كل واحد . اعط يارب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطاياى وجهالات شعبك (عب ٧ : ٢٧ ؛ ٩ : ٧) ، ولأنها طاهرة كموهبة روحك القدوس بالمسيح يسوع ربنا ... » **[نلاحظ الكلمات المعبّرة عن فهم المسئولية ... خطاياى وجهالات شعبك. لأن الذى يعرف أكثر يطلب بأكثر] .**

(ب) ارتداء ثياب الخدمة :

يرتدى الكاهن الحلّة الكهنوتية بعد رشمها على اسم الثالوث القدوس ... ويجب أن تكون الثياب الكهنوتية بهية وفاخرة ونظيفة لأن الكاهن سيقف بها أمام المسيح الرب على المذبح . والثياب الكهنوتبة البهية ليست نوعاً من الفخفخة أو التباهى والمظهرية ، بل هى من أجل جلال الحال فوق المذبح .

فى رؤيا اعلنت لزكريا النبى فى العهد القديم ، يقول « وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائماً قدام ملاك الرب ... وكان يهوشع لابساً ثياباً قذرة وواقفاً قدام الملاك . فأجاب وكلّم الواقفين قدامه قائلاً : **انزعوا عنه الثياب القذرة .** وقال له انظر. قد اذهبت عنك اثمك ، وأُلبسُك ثياباً مزخرفة . فقلت ليضعوا على رأسه عمامة طاهرة . فوضعوا على رأسه العمامة الطاهرة والبسوه ثياباً ، وملاك الرب واقف » (زكريا ٣ : ١-٥) .

كان القديس مارافرام السريانى معاصراً للقديس باسيليوس رئيس اساقفة قيصرية كبادوكية بآسيا الصغرى ، ذلك القديس والعالم الجبّار الذى طبق صيته الآفاق ...

كان مارافرام ناسكاً مقيماً ببلاد ما بين النهرين (العراق) ، وإذ به يرى يوماً عموداً من نور واصل بين الأرض والسماء ، وصوت يقول « هذا هو باسيليوس الكبادوكى » ... هذه الرؤيا حركت قلب مارافرام شوقاً لرؤية باسيليوس . فشّد رحالة إلى قيصرية كبادوكية حيث كان يقيم باسيليوس ، فوصلها يوم أحد ودخل الكنيسة ليحضر القداس الإلهى . وإذ به يرى باسيليوس مرتدياً ثياباً كهنوتية فاخرة ، فأعثر به فى داخله ، وندم انه قطع رحلة طويلة من العراق إلى كبادوكية ... وما لبث أن حان وقت العظة ، ووقف القديس باسيليوس ليعظ الشعب ، وإذا بمارافرام يرى حمامة بيضاء واقفة على كتف باسيليوس ، والكلمات خارجة من فمه مثل ألسنة نارية تستقر فى قلوب من كانوا يسمعونه . ومع ذلك ظلت أفكار الشك تساوره ازاء ثياب باسيليوس الفاخرة ... لكن القديس باسيليوس علم بالروح بوجود القديس مارافرام بالكنيسة ، وما كان يدور بخلده و يفكر فيه . فأرسل شماساً واستدعاه . وبعد انتهاء القداس التقى القديسان . وسأله باسيليوس لماذا أعثر به . ثم كشف الثياب الفاخرة التى كان يتحلى بها ، فرأى مارافرام مسحاً من الشعر كان باسيليوس يرتديه على جسده . ثم قال له **إن هذه الثياب الخارجية تليق بكرامة الخدمة والحالّ فوق المذبح .**

اثناء ارتداء الثياب الكهنوتية يقول الكاهن سراً المزمور ٢٩ (٣٠) « اعظمك يارب لأنك احتضنتنى ولم تشّمت بى أعدائى ... حولت نوحى إلى فرح لى . مزقت مسحى ، ومنطقتنى سروراً » ... **وكذلك المزمور ٩٢ (٩٣)** « الرب قد ملك ولبس الجلال . لبس الرب القوة وتمنطق بها ... » **إنه يفرح بهذه الخدمة رغم عدم استحقاقه لها ، وكأنه يقول مع اشعياء «أما انتم فتدعون كهنة الرب ، تُسمون خدام إلهنا ... فرحاً افرح بالرب . تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد البسنى ثياب الخلاص . كسانى برداء البرّ مثل عريس يتزيّن بعمامة ، ومثل عروس تتزيّن بحليها »** (اش ٦١ : ٦ ، ١٠) ... **إن التونية البيضاء رمز للنقاوة والطهارة ، على مثال كهنة العهد القديم ، الذين كانوا يلبسون الملابس الكتانية البيضاء ... ولا يفوتنا أن نقرر هنا أن ثياب الخدمة هذه ، بدأ استخدامها منذ عصر الرسل على الرغم من أن الكنيسة كانت مضطهدة ، ولم تكن فى وضع يسمح لها أن تظهر بالجمال الذى نشاهده الآن ...**

وبعد ارتدائه الثياب الكهنوتية، يصلى الكاهن والكنيسة كلها المزامير حسب طقسها. ففى أيام الفطر تُصلى مزامير الساعتين الثالثة والسادسة. وفى أيام الصوم (ماعدا صوم يونان والصوم الكبير وصوم البرامون)، تصلى مزامير الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة. أما فى صوم يونان والصوم الكبير والبرامون، فتصلى مزامير السواعى من الثالثة إلى الثانية عشر. وذلك لأن القداس الإلهى مفروض أن ينتهى وقت الغروب.

(ج) غسل الأيدى:

قبل أن يقترب الكاهن من الحمل، يغسل يديه ثلاث مرات وهو يردد كلمات المزمور «تنضح علىّ بزوفاك فاطهر. تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج»؛ «تسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى المتواضعة»؛ «اغسل يدىّ بالنقاوة واطوف بمذبحك يارب، لكيما اسمع صوت تسبحتك»... **يقول كليمنضس الأسكندرى** «أنه من الطبيعى أن نجد فى عنصر الماء الذى يقوم بالتنظيف، رمزاً للنقاوة الداخلية»... **ويقول القديس كيرلس الأورشليمى** «يُقدّم الشماس للخدام والكهنة المحيطين بمذبح الله الماء لغسل أيديهم. وهذا لا يُقّدم لهم بسبب وسخ جسدانى، ولكن غسل الأيدى بمثابة رمز للتطّهر من كل خطية، وكل عدم استحقاق. وكما أن الأيدى تعتبر رمزاً للعمل، فإنه بغسل الأيدى نرمز إلى نقاوة وبساطة أعمالنا. **وهكذا يظهر أن غسل الأيدى ليس أمراً يتصل بالجسد فحسب، بل بالروح.**

(د) الحَمَل:

ويُقصد به القربانة التى سيصلى عليها. وبحلول الروح القدس عليها وعلى الخمر الموضوع فى الكأس، يتّحولان إلى جسد المسيح الرب ودمه الأقدسين. القربانة عبارة عن خبزة صغيرة مستديرة. جاء فى كتاب تعليم الرسل الديداكى Didache أن السيد الذى هو رأس جسده (الكنيسة)، يضمنا فى جسده، كما تضم الخبزة حبّات كثيرة من القمح. **وكون القربانة مستديرة فلأن الدائرة ليس لها بداية ولا نهاية.** وهى بهذا ترمز للمسيح ـ الله الذى ظهر فى الجسد ـ الذى هو بلا بداية أيام ولا نهاية حياة، إنما هو ازلى أبدى. ويُخبز قربان الحمل من دقيق قمح خالص، لأن المسيح هو حمل

الله الذى بلا عيب . وهو خبز مختمر لا يضاف إليه ملح . والخمير يشير إلى **الشر الذى حمله ربنا عنا على الصليب** . أما عدم إضافة ملح إليه فذلك لأن الملح يُصلح الشيء ، والمسيح لا يحتاج إلى ما يصلحه ، فهو الصالح وحده ومصدر الصلاح . **والقربانة مختومة بختم فى وسطه علامة صليب كبير نسبياً ، يحيط به أثنا عشر صليباً صغيراً رمزاً لرسله الأثنا عشر ، نواة الكنيسة الأولى «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (افسس ٢ : ٢٠) . ثم أن العدد (١٢) يشير إلى الكنيسة ملكوت الله على الأرض . أما تفسير العدد (١٢) . فهو حاصل ضرب ٣ (رمز الثالوث القدوس) ×٤ (التى تشير إلى أربعة أركان المسكونة) [٣× ٤ = ١٢]** ... لهذا السبب كان عدد اسباط بنى اسرائيل اثنا عشر ، وعدد رسل المسيح اثنا عشر ، وابواب اورشليم السمائية اثنا عشر وفى رؤيا يوحنا تكلم عن عبيد الرب الذين ختموا على جباههم . وكان عددهم مائة وأربعة وأربعون ألفاً ، من كل سبط من بنى اسرائيس أثنا عشر ألف مختوم (رؤ٧ : ٣-٨) . و يذكر سفر الرؤيا أن اطوال اضلاع اورشليم السمائية مضاعفات العدد (١٢) . كما أن لها اثنا عشر أساساً (رؤ٧ : ٣-٨ ؛ ٢١ : ١٠- ١٧) ... **وحول هذه الصلبان فى القربانة نقوش عليها الثلاثة تقديسات . وكأن الله المثلث الأقانيم يحيط بكنيسته فى العالم ، وهو حالّ فى وسطها فلا تتزعزع . وهناك خمسة ثقوب فى القربانة ، تمثل جراحات المسيح :** ثقبان فى اليدين وثقبان فى القدمين ، وطعنة الحربة فى جنب المسيح الأيمن ... ثلاثة ثقوب على اليمين ،، وثقبان إلى اليسار.

ويعد القربان ويخبز فى حجرة خاصة ملحقة بالكنيسة تسمى «بيت لحم» ، التى معناها بيت الخبز ، لأن ابن الله الذى ولد فيها هو خبز الحياة . وأثناء عجن القربان تتلى المزامير. **والحمل الذى يُقدّم يكون خبز يومه ... ويسمى الخبز حَمَلاً وهو اللقب الذى اطلق على المسيح»** «حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يوحنا ١ : ٢٩ ، ٣٦) ... «عالمين أنكم افتديتم ... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (١بط ١ : ١٩) ... «مستحق هو الخروف المذبوح . أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة القوة والكرامة والمجد والبركة» (رؤيا ٥ : ١٢) .

ثم يقدم الحمل ، وفى أثناء اختيار الكاهن له ، يصلى الشعب كيرياليسون

(يارب ارحم) واحد واربعين مرة. استمطاراً لمراحم الرب، لأن عدد (٤١) هو عدد الجلدات التى جُلد بها المسيح قبل صلبه (٣٩)، وطعنة الحربة فى جنبه الأيمن، ثم ضربة القصبة التى ضربوه بها على رأسه... والحمل الذى يختاره الكاهن يجب أن يكون بلا عيب ظاهر بقدر الإمكان، كما يجب أن يكون الخمر من عصير العنب وحده. **وعلى نحو ما تضم القربانة حبات كثيرة من القمح، كذلك فإن الخمر هو عصير حبات عنب كثيرة كما تقول الديداكى Didache.**

يرشم الكاهن القربانة (الخبز) والخمر ثلاث رشوم بالصليب على إسم الثالوث القدوس أثناء اختيار الحمل على باب الهيكل، قبلما يذهب الكاهن بالحمل إلى المذبح، **مُعلناً** أن الرب قَبِلَ الصليب بارادته مقّدماً، قبلما يذهب إلى الجلجثة التى يرمز إليها المذبح... ثم يضع الكاهن يديه على القرابين على شكل صليب. وهذا يذكّرنا بكاهن العهد القديم، ومقّدم الذبيحة الذى كان يضع يده على رأسها و يعترف بخطاياه. وكأن الخطية قد انتقلت إلى الذبيحة عوض مقدمها الخاطىء، و ينفذ منها حكم الموت عوضاً عنه... **إن الكنيسة ترى أنه يتمّ فى عريسها ومخلّصها قول اشعياء النبى «جعل نفسه ذبيحة إثم» (اش ٥٣ : ١٠).**

بعد اختيار الحمل يرشمه الكاهن بالخمر باصبعه مع بقية القربانات، وهو يقول: ذبيحة مجد، ذبيحة بركة، ذبيحة ابراهيم، ذبيحة اسحق، ذبيحة يعقوب، ذبيحة ملكيصادق. ونلاحظ أن الرشم الأول بالخمر (ذبيحة مجد)، والرشم الأخير (ذبيحة ملكيصادق) يكونان على القربانة المختارة حملاً... **ورشم الحمل بالخمر اعلان أن هذا الخمر يتحول إلى دم السيد المسيح، الذى له ذات الجسد. أما رشم بقية القربانات فيرمز إلى تقديس الكنيسة (اخوته) بدمه.**

يدخل الكاهن إلى المذبح، ويبلّ يده بالماء ويمسح وجه القربانة الحمل وظهرها بالماء، اشارة إلى عماد المسيح. وأثناء ذلك يقول سراً «اعط يارب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطاياى وجهالات شعبك. ولأنها طاهرة كموهبة روحك القدوس بالمسيح يسوع ربنا»... هنا يذكر الكاهن سراً من يريد أن يذكره من الشعب كل بحسب ظروفه (إن كان مرض أو سفر أو انتقال للعالم الآخر أو أى مشكلة...). ثم يذكر جميع المسيحيين الأرثوذكسيين «اذكر يارب عبيدك المسيحيين الأرثوذكسيين

كل واحد باسمه، وكل واحدة باسمها. اذكر يارب ابى وأمى واخوتى واقربائى الجسديين وآبائى الروحيين. الأحياء احفظهم بملاك السلامة. والمضجعين نيّحهم». وفى ختام كل هذا يذكر ذاته «اذكر يارب ضعفى أنا المسكين، واغفر لى خطاياى الكثيرة»... بعدها يقول سراً أوشية سلامة الكنيسة والآباء والاجتماعات الصغيرة.

بعد ذلك يلف الكاهن الحمل فى لفافة كتانية بيضاء... [الكتان لأ بيض يشير إلى القداسة والنقاوة. لهذا كانت ملابس كهنة العهد القديم من الكتان الأ بيض. وقد رأى دانيال النبى السيد الرب فى رؤيا ملتحفاً بثوب من كتان (دانيال ١٠ : ٥)]... هذه اللفافة الكتانية تشير إلى الأقمطة التى تقمّط بها الرب يسوع فى المزود، كما تُذكّرنا بالأكفان التى كفنوه بها (متى٢٧ : ٥٩)... ثم يرفع الكاهن الحمل فوق صليب اليد إلى جبهته، و يتجه نحو الشعب جهة الغرب و يقول: «**مجداً واكراماً، اكراماً ومجداً للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس. سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية آمين. اذكر يارب الذين قدّموا لك هذه القرابين، والذين قدمت عنهم، والذين قُدمت بواسطتهم اعطهم كلهم الأجر السماوى**»... يقول الكاهن «سلاماً وبنياناً» **لأن سر الافخارستيا هو الذى يبنى الكنيسة روحياً...**

بعد الانتهاء من ذلك يدور حول المذبح دورة واحدة، مثال لما فعله سمعان الشيخ حينما حمل الطفل يسوع على ذراعيه. و يسير خلفه شماس يحمل قارورة الخمر ومعه شمعة مضاءة، اشارة إلى أنه بدم المسيح استنارت المسكونة... وبعد أن ينتهى الشمامسة الذين بداخل الهيكل ومن بخارجه من مرداتهم، يرشم الكاهن القرابين (الخبز والخمر) بمثال الصليب ثلاث مرات على إسم الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس، لأن كل شيء يقدّس على إسم الثالوث... ثم يضع الحمل فى الصينية وهو يقول «مجداً واكراماً اكراماً ومجداً للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس...» و يفرّغ قارورة الخمر فى الكأس. ثم يمزجه بما يوازى الثلث ماءً. **ومزج الخمر بالماء تذكار للماء الذى خرج من جنب المخلّص حين طعن بالحربة وهو معلق على الصليب. كما أن مزج الخمر بالماء فى الكأس فيه اعلان عن اتحاد الأمم والشعوب التى يشير الماء إليها كما جاء فى سفر الرؤيا «ثم قال (الملاك)**

لى، المياه التى رأيت ... هى شعوب وجموع وأمم وألسنة » (رؤيا ١٧ : ١٥)..

صلاة الشكر:

تبدأ كنيستنا جميع صلواتها بصلاة الشكر، سواء الصلوات التى ترفع داخل الكنيسة أو خارجها بالمنازل أو غيرها . حتى الصلاة على المنتقلين تبدأ بصلاة الشكر... **إن الكنيسة فى طقس الافخارستيا تبدأ بصلاة الشكر، إذ تشكر الكنيسة الله الآب على كل عمله الخلاصى الذى اتمه من أجلنا، وكذلك على كل احساناته** ... بل إن هذا السر يسمى الافخارستيا ومعناه « الشكر » .

صلاة تقدمة الخبز والكأس :

بعد الأنتهاء من صلاة الشكر يقول الكاهن سراً صلاة تقدمة الخبز والكأس وتسمى صلاة الغطاء و يقول فيها :

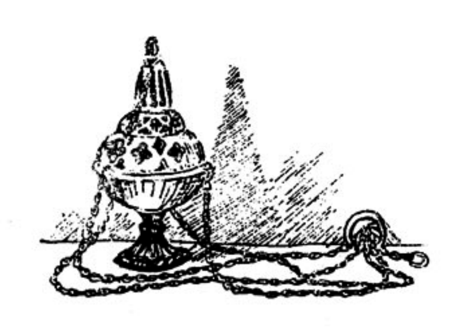
« أيها السيد الرب يسوع المسيح الشريك الذاتى ، وكلمة الآب غير الدنس ، المساوى له مع الروح القدس . أنت هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء . وسبقت أن تجعل ذاتك حَمَلاً بغير عيب عن حياة العالم . نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر . اظهر وجهك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس (و يشير بيديه إليهما) . هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التى لك (يشير إلى المذبح) ، باركهما ، قدسهما ، طهرهما وانقلهما (يرشم ثلاثة رشوم مثال الصليب على الخبز والخمر) . لكى يصير هذا الخبز جسدك المقدس ، والمزيج الذى فى هذه الكأس من دمك الكريم ، وليكونا لنا جميعاً ارتقاءً وشفاءً وخلاصاً لأنفسنا واجسادنا وارواحنا . لأنك أنت هو إلهنا ، و يليق بك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل آوان ... إلخ » .

تسمى هذه الصلاة بصلاة الغطاء ، لأنه فى نهايتها يغطى الكاهن الصينية والكأس كل منهما بلفافة من الكتان ، ثم يضع عليهما الأ بروسفارين (تقدمة) ، و يضع عليه لفافة صغيرة على شكل مثلث . بعد ذلك يسجد الكاهن أمام الذبيحة و يلف دورة واحدة حول المذبح وهو يقول التحليل الثالث الموجّه للإبن ، و ينزل من الهيكل... **وهذا**

الطقس يشير إلى المسيح وقد كُفّن بالكتان، ووضع فى القبر المقدس (الذى يرمز إليه المذبح)، ودُحرج عليه حجر عظيم (الذى يرمز إليه بالابروسفارين) ووضع عليه الختم (الذى ترمز إليه اللفافة المثلثة) [متى ٢٧ : ٦٦] ... ونزول الكاهن والشمامسة من الهيكل يذكرنا بما تم فى ذلك الوقت إذ تركه الكل وخرجوا خارجاً «تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى» (يو١٦ : ٣٢).

تحليل الخدام:

يقول الكاهن خارج الهيكل تحليل الخدام وهم ساجدون... «عبيدك يارب خدام هذا اليوم... يكونون محالّين من فم... ومن فم حقارتى». هذا التحليل يكشف لنا روح كنيستنا. يتحتم على كل من يتقدم من الخدام للخدمة، أن ينال حلاً عن خطاياه، مهما علا فى رتبته الكهنوتية... ونلاحظ أن هذا الحلّ يشمل جميع الخدام وكل الشعب الحاضر فى الكنيسة. فطالما أن الإنسان يخطىء فيجب أن ينال حلاً قبل أن يتقدم للخدمة، على نحو ما أمر الله موسى أن يقدّس هارون وبنيه ليكهنوا له (خروج ٢٨ : ٤١).



ليتورجيا الموعوظين

هذه التسمية ـ ليتورجيا الموعوظين ـ لا تُطلق عليها لأنها أقيمت لأجل الموعوظين، بل لأنه يُسمح لهم أن يشاركوا المؤمنين هذه الصلوات ... **هى تمثل الجزء التعليمى فى القداس الإلهى ... إن كلمة الله فى هذا القسم من القداس، تعمل فى الموعوظين لتعدهم لنوال نعمة العماد وروح التبنى، كما تعمل فى المؤمنين لنوال جسد الرب ودمه** ... يقول العلامة اوريجينوس أنه فى قداس الموعوظين تُخطب النفس للرب يسوع. وفى قداس المؤمنين ترتبط النفس معه برباط الزيجة. **وتشتمل ليتورجيا الموعوظين على الآتى:**

رسائل البولس ـ الكاثوليكون.. أعمال الرسل (الأبركسيس) ـ السنكسار ـ الانجيل ـ العظة. يتخلل هذا القسم من القداس سر بخور البولس والكاثوليكون واوشية القرابين (حسب المناسبة)، وسر بخور الأبركسيس، حيث يبخّر الكاهن حول المذبح وفى الكنيسة. **ومجموع دورات الكاهن فى سرّى البولس والأبركسيس هى سبع دورات حول المذبح وفى صحن الكنيسة**. دورات الكاهن حول المذبح يصلى خلالها من أجل سلامة الكنيسة وآبائها واجتماعاتها. **هذا الطقس يعيد إلى ذاكرتنا ما فعله كهنة اسرائيل، حينما ساروا حول اسوار مدينة اريحا سبع مرات، وهم حاملين تابوت عهد الرب**. فسقطت اسوار المدينة بعدها من تلقاء ذاتها (يشوع ٦). والكنيسة بهذا انما تهدم حصون الشر «إن كنا نسلك فى الجسد لسنا حسب الجسد نحارب. إذ اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون» (٢كو١٠: ٣، ٤).

ويهمنى فى هذه المناسبة أن اوضح نقطة فى غاية الأهمية، وهى أن كنيستنا كنيسة صلاة. وهى تصلى إيماناً منها بقوة الصلاة وفعاليتها ... فبينما يُقرأ فصل من رسائل بولس الرسول، يُصَلّى الكاهن صلاة سرية يقول ضمن كلماتها «... أنت الآن أيضاً أيها الصالح محب البشر، نسألك انعم ـ لنا ولشعبك كله بعقل غير مشتغل وفهم نقى، لكى نعلم ونفهم ما هى منفعة تعاليمك المقدسة، التى قرئت علينا

الآن من قبله (بولس). وكما تشبّه بك أنت يا رئيس الحياة، هكذا نحن أيضاً اجعلنا مستحقين أن نكون متشبهين به فى العمل والإيمان، ممّجدين اسمك القدوس ومفتخرون بصليبك كل حين...» **واثناء قراءة الكاثوليكون، يقول الكاهن صلاة سرية** «أيها الرب إلهنا الذى من قبل رسلك القديسين اظهرت لنا سرّ انجيل مجد مسيحك، واعطيتهم كعظيم الموهبة التى لا تُحَدّ التى لنعمتك، أن يبشّروا فى كل الأمم بالغنى الذى لا يستقصى الذى لرحمتك. نسألك يا سيدنا اجعلنا مستحقين نصيبهم وميراثهم. وانعم لنا كل حين أن نسلك فى آثارهم، ونكون متشبهين بجهادهم، ونشترك معهم فى الاعراق التى قبلوها على التقوى. واحرس بيعتك المقدسة، هذه التى اسستها من قبلهم، وبارك خراف قطيعك. واجعل هذه الكرمة تكثر، هذه التى غرستها يمينك بالمسيح يسوع ربنا...».

أثناء قراءة فصل الكاثوليكون، يتلو الكاهن سرّ الكاثوليكون، لكنه يظل فى الهيكل ملازماً المذبح ولا يخرج إلى صحن الكنيسة ليبخّر بين الشعب، لأن الرسل لم يتركوا أورشليم، وكانوا فى انتظار موعد الآب (حلول الروح القدس).

أما فى بخور الأبركسيس فينزل الكاهن و يعطى بخوراً فى الخورس الأول (القسم الملاصق للهيكل). ولا يعطى بخوراً للشعب كله فى صحن الكنيسة، لأن الرسل -حسب وصية المسيح- بدأوا عملهم الكرازى أولاً فى أورشليم واليهودية.

بعد قراءة الأبركسيس يُقرأ السنكسار وهو الكتاب الحاوى لسير الشهداء والقديسين. وهو فى الحقيقة تتمة لسفر أعمال الرسل. وهو شهادة الكنيسة بأنها ليست عقيمة. والقديسون فى كل زمان ومكان إنما هم شهود على عمل الرب فى الكنيسة...

تسبحة الثلاث تقديسات:

هى تسبحة طغمة السيرافيم كما أعلنت لاشعياء النبى (اشعياء ٦: ٣؛ رؤيا ٤: ٨)... يرددها الشمامسة بعد قراءة السنكسار... «**قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحىّ الذى لا يموت**». **وكما يقول القديس كيرلس الأورشليمى «إذ نترنم بهذه التسبحة اللاهوتية التى جاءت إلينا عن السيرافيم، نشارك القوات العلوية تسبيح الحمد»**. و يقول القديس يوحنا ذهبى الفم «كأن الإنسان قد انتقل

إلى السماء عينها، يقف بجوار عرش المجد، يطير مع السيرافيم، و يتغنّى بالتسبحة المقدسة»... وتعتقد الكنائس الشرقيّة أن بداية هذه التسبحة واصلها يرجع إلى نيقوديموس و يوسف الرامى، اللذين -حال تكفين السيد المسيح- سبّحاه بهذه التسبحة حين تملكتهما الدهشة إذ كيف يموت ذاك الذى وهب الحياة للموتى ؟!

قراءة الانجيل:

تسبق قراءة الانجيل ما يعرف باسم «أوشية الانجيل». وهى طلبة مؤسسة على كلمات ربنا يسوع الواردة فى (متى ١٣: ١٦، ١٧)... **وهى اعداد اذهان المصلّين فى الكنيسة لسماع انجيل الله المقدس**... بعد الانتهاء منها يدور الكاهن حول المذبح وأمامه شماس حاملاً الانجيل والصليب و يقول سراً «الآن ياسيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عينيّ قد ابصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب. نوراً تجلّى للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل». وهى صلاة سمعان الشيخ حين حمل الرب يسوع طفلاً على يديه (لوقا ٢: ٢٩- ٣٢)... **وكلمات هذه الطلبة تعبّر عن الشوق للانطلاق إلى الله، إذ يرى خلاص الله معلناً فى انجيله المقدس... أما دوران الكاهن حول المذبح وأمامه الشماس حاملاً الانجيل، فهو اشارة إلى أن البشارة بالانجيل فى العالم كله كانت بفعالية الصليب الذى يستند إليه الانجيل.**

و بعد أن يُنذر الشماس الشعب بالوقوف لسماع الانجيل المقدس يقول الكاهن... «مبارك الآتى باسم الرب. بارك يارب الفصل من الانجيل المقدس من...». وأثناء قراءة الانجيل يعطى الكاهن بخوراً للانجيل وهو يطلب من الله فيما يعرف باسم «سر الانجيل» لأنه يقال سراً... يسأل الكاهن الله «فلنستحق سماع اناجيلك المقدسة ونحفظ وصاياك واوامرك ونثمر فيها بمائة وستين وثلاثين بالمسيح يسوع ربنا». بالإضافة إلى طلبات أخرى من أجل المرضى والمسافرين واهوية السماء أو مياه النهر أو الزروع بحسب الزمان، وخلاص الناس والبهائم، وخلاص الموضع المقدس. ومن أجل رئيس البلاد، والمسبيين. ونفوس الذين رقدوا، ومقدمى القرابين، والمتضايقين ثم الموعوظين...

لكن ما لزوم هذه الطلبات وقت قراءة الانجيل؟ الكنيسة إذ ترى الله يُعلن فى انجيله المقدس محبته واتساع قلبه لخلاص جميع البشر، فإنها تطلب منه من أجل

الجميع سواء من أجل أرواحهم أو احتياجاتهم الجسدية ، إعمالاً بوصية الرسول بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس «فاطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرّات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب ، لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله ، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١تى ٢ : ١ - ٤).

ثم يقول الكاهن الخديم (الذى يقّرب القرابين) صلاة سرية تعرف باسم صلاة الحجاب ، لأنه يقولها وهو واقف مقابل حجاب الهيكل . وهى صلاة تذللية قبل أن يتقدّم لسر ّالافخارستيا «يا الله الذى من أجل محبتك للبشر التى لاينطق بها ارسلت ابنك الوحيد إلى العالم ليردّ إليك الخروف الضال . نسألك ياسيدنا لا تردّنا إلى خلف إذ نضع أيدينا على هذه الذبيحة المخوفة غير الدموية . لأننا لانتكل على برّنا ، بل على رحمتك . هذه التى بها أحييت جنسنا . نسأل ونتضرع إلى صلاحك يا محب البشر ، أن لا يكون لنا دينونة ولا لشعبك اجمع هذا السر ّ الذى دبرته لنا خلاصاً . ولكن محواً لخطايانا وغفراناً لتكاسلنا ، ومجداً واكراماً لاسمك القدوس ...» .

ما قبل الأنافورا (العظة والأ واشى الثلاث الكبار وصلاة الصلح) :

بعد الانتهاء من قراءة الانجيل تُلقى العظة . وبعدها يصلى الكاهن جهراً الثلاث أواشى الكبار (السلامة والآباء والاجتماعات) ، وهى نهاية ليتورجية الموعوظين ... بعدها ينذر الشماس الشعب بقوله «بحكمة الله انصتوا . يارب ارحم . يارب ارحم» ... أما سبب انذار الشماس ، فهو أنه فى ذلك الوقت كان الموعوظون يخرجون من الكنيسة . وكان خروجهم يحدث هرجاً ومرجاً .. ولذلك يلفت الشماس نظر المؤمنين الباقين فى الكنيسة أن يُنصتوا للصلوات بحكمة الله . وبعد خروج الموعوظين كانت أبواب الكنيسة تُغلق .

ثم يُتلى قانون الإيمان ، يعلنه جميع المؤمنين ، وهو تعبير عن إيمان الكنيسة بوحدانية الله وتثليث اقانيمه والتجسد والخلاص الذى أكمله ابن الله بموته على الصليب وقيامته

من بين الأموات وصعوده إلى السموات ، والروح القدس والكنيسة المقدسة والمعمودية الواحدة لمغفرة الخطايا والإيمان بحياة الخلود فى الدهر الآتى .

صلاة الصلح :

يغسل الكاهن يديه ، و يلتفت إلى الشعب طالباً الصفح عنه فيما اخطأ به نحو أحدٍ منهم . **ثم يبدأ يصلى صلاة الصلح . وبها يصطلح الشعب مع الله ومع بعضهم البعض ... إذ كيف يتجاسر إنسان على التقدم الافخارستيا ـ جسد الرب ودمه ـ وهو غير مصطلح مع الله أو مع أخيه ...**

يقول السيد المسيح فى العظة على الجبل « إن قدمت قربانك إلى المذبح ، وهناك تذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولاً اصطلح مع اخيك . وحينئذ تَعَال وقدّم قربانك » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) ... وقول رب المجد « وهناك تذكرت أن لأخيك شيء عليك » ، يعنى أن الأمر حدث سهواً وليس بقصد أو عن عمد . ومع ذلك يترك قربانه قدام المذبح حتى يتمم صلحه مع أخيه ... إذا كان هذا هو أمر الخطأ السهو، فماذا يكون الذين عن عمد وعدم اكتراث يتجاسرون على التقدّم للافخارستيا ، وهم ملتصقون بالبغضة ... وإذا كان هذا عن العلاقات بين الناس ، فكم وكم يكون عن علاقة الإنسان بالله ... **معنى أن نصطلح مع الله هو أن نتوب . وليس غير. الله لا يقبل حلاً آخر، أو انصاف الحلول . وهذا الأمر ليس قاصراً على التناول من جسد الرب ودمه ، ولكن يشمل حياتنا الروحية كلها . فينبغى ألا تغرب الشمس على غضبنا وغيظنا (أف ٤ : ٢٦) ... وماذا يحدث لو لم نتب ؟ دينونة رهيبة تنتظرنا . وفيما يختص بسرّ الافخارستيا ، فإنه « أى من أكل من هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه » ... يا لهول هذه الكلمات « يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه » . لماذا ؟ لأنه أكل بدون استحقاق ... ثم ماذا أيضاً ... يقول الرسول بولس « ولكن ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون (يموتون) » (١كو ١١ : ٢٧ ـ ٣٠) ..**

ويكمّل مفهوم صلاة الصلح - ليس فقط صلحنا مع الله ومع بعضنا البعض - بل أيضاً أن نذكّر الله بالصلح الذى عمله معنا، لأنه كان صلحاً عجيباً تمّ من طرف واحد هو الله. أما الطرف الآخر، وهو البشر، فظلّوا مُصّرين على عداوتهم حتى عُلّق المسيح على الصليب .. **نذكر الله بمحبته وبمراحمه فيما أتمه معنا من صلح بدون استحقاق، لعله بذلك يتحنن علينا ويرحمنا** .. يقول القديس بولس الرسول « وإن يصالح به (بالمسيح) الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، وسواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات.. وانتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين واعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين، وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كولوسى ١ : ٢٠-٢٢) .. « الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح ... إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو٥ : ١٨، ١٩).

والصلح مع الله ومع النفس ومع الآخرين، يثمر سلاماً، لذلك تسأل الكنيسة الله أن يطّهر الجميع من كل شر وشبه شر، ومن تذكار الشر، أى تذكار الخطايا السالفة ... يقول الكاهن :

« بمسرتك ياالله أملأ قلوبنا من سلامك. وطهّرنا من كل دنس، ومن كل غش، ومن كل رياء، ومن كل فعل خبيث، ومن تذكار الشر المُلبس الموت. واجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا، أن يقّبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة، لكى ننال بغير وقوع فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية بالمسيح يسوع ربنا ... »

هنا يقول الشماس : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة، يارب ارحم، يارب ارحم، يارب ارحم. نعم يارب الذى هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا. تقدموا على الرسم، قفوا برعدة وإلى الشرق انظروا نُنصت» ... وفى الآحاد والأعياد يُقال : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة. يارب ارحم، يارب ارحم، يارب أرحم الذى هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا. فلنقف حسناً. لنقف بتقوى. نقف باتصال. نقف بسلام. نقف بخوف الله ورعدة وخشوع. أيها الأكليروس وكل الشعب، بطلبه وشكر، بهدوء وسكوت. ارفعوا اعينكم إلى ناحية الشرق، لتنظروا المذبح وجسد ودم

عمانوئيل إلهيا موضوعين عليه. والملائكة ورؤساء الملائكة قيام. السيرافيم ذوو الستة الأجنحة والشاروبيم الممتلئون أعيناً، يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به يسّبحون بصوت واحد صارخين قائلين: قدوس قدوس قدوس، رب الصباؤوت. السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس».

قبلة السلامة المقدسة:

قُبْلة السلامة - التى طالب الشماس الشعب أن يقبُلوا بعضهم بعضاً بها - هى على جانب كبير من الأهمية. إنها تأكيد عملى لما جاء فى صلاة الصلح ... يقول القديس كيرلس الأورشليمى «بعد ذلك فلنقبل بعضنا بعضاً. ونعطى قبلة السلامة. ولا تظن أن هذه القبلة مثل تلك التى اعتاد الأصدقاء أن يعطوها لبعضهم البعض، حينما يلتقون فى الساحة agora. إنها قبلة ليست كهذه إنها توحّد النفوس مع بعضها، وتحطم كل قوة مضادة. إن القبلة تُعتبر رمزاً لاتحاد النفوس. ولهذا قال الرب «إذا قدّمت قربانك على المذبح، وتذكرت أن لأخيك عليك حقاً. اذهب أولاً اصطلح مع أخيك» ... **ويذكر تيودور الموبسيستى معنى هذا الطقس حينما يقول** «إن الجميع يعطون السلام لبعضهم البعض. وهم بهذه القبلة التى يقدمونها، يقدمون نوعاً من الاقرار بالاتحاد والمحبة التى بينهم بعضاً لبعض. وحقاً إننا بالمعمودية، قد قبلنا ميلاداً جديداً، به نتحد مرة أخرى فى وحدانية الطبيعة. ونحن جميعاً مع الكثرة التى نكون عليها، نكّون جسداً واحداً، لأننا نتشارك فى نفس الخبز المقدس. فيجب **علينا اذن قبل أن نتقدم إلى الأسرار المقدسة، أن ننفّذ مبدأ أن نعطى السلام، الذى به نظهر اتحادنا ومحبتنا نحو بعضنا البعض. ولا يليق بالذين يكوّنون جسداً واحداً فى الكنيسة، أن يُبغض واحد منهم أخاً من أخوته فى الإيمان».** يقول القديس اغسطينوس عنها «هى علامة السلام، وما تقوم به الشفاه ظاهراً يُعبّر عما فى قلوبنا».

هذا الكلام يظهر جانباً جديداً من السرّ: إنه علامة الوحدة بين اعضاء جسد المسيح. وننظر إلى القبلة التى للسلام، على أنها علامة هذه الوحدة ... وقد استخدمت القبلة فى طقس خدمة الافخارستيا منذ عصر الرسل (رومية ١٦:

١٦ ؛ ١كو١٦ : ٢٠ ؛ ٢كو١٣ : ١٢ ؛ ١تس ٥ : ٢٦ ؛ ١بط ٥ : ١٤)... هذه القبلة خاصة باجتماعات العبادة . وقد اشار إليها يوستينوس الفيلسوف الشهيد (منتصف القرن الثانى) فى دفاعه الأول .

ولقد كانت هذه القبلة فى العصور الأولى المسيحية قبلة حقيقية ، وليس مجرد مصافحة باليد أو اليدين . كان الرجال يُقبّلون بعضهم بعضاً . ويُقبّل النساء بعضهن بعضاً... وأثناء القبلة كان كلٌّ يقول للآخر « المسيح فى وسطنا » ، فيجيب الآخر « نعم وسيظل دائماً » . على نحو ما كانوا يقولون ـ وحتى الآن عند اليونانيين ـ أثناء التعزية فى الجنازات « اخرستوس انستى » ، فيجاوبون « اليثوس انستى » [المسيح قام ـ حقاً قام] .

الأنافورا (قداس المؤمنين) :

تبدأ ليتورجية المؤمنين بتسبيح الشعب « بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ، يارب انعم لنا بمغفرة خطايانا . نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس ، لأنك أتيت وخلصتنا . **رحمة السلام ذبيحة التسبيح** »... هذه الكلمات الأخيرة « **رحمة السلام ذبيحة التسبيح** » ، **هى بمثابة استجابة لإنذار الشماس للشعب أن يقفوا بمخافة وخشوع ... إنهم يعلنون أنهم يقدّمون ذبيحة السلام والتسبيح** ... ثم يرفع الكاهن الأبروسفارين الذى كان يُغطى الذبيحة ـ وهو يرمز للحجر الذى كان موضوعاً على قبر المسيح ، ودحرجه الملاك فجر أحد القيامة . **معنى ذلك أن هذه اللحظة تمثل قيامة المسيح** ... وهكذا فإن ليتورجية المؤمنين تبدأ بقيامة الرب يسوع من بين الأموات ... ومفروض أن الأبروسفارين مثبتة فيه جلاجل ، تحدث صوتاً وقت رفعه ، **تذكيراً** بالزلزلة **التى حدثت عند قبر الرب يسوع ، عندما نزل ملاك ليدحرج الحجر** ، حتى ما يرى النسوة القبر فارغاً (وليس لكى يتمكن السيد المسيح من الخروج من القبر حياً !!) [متى٢٨ : ٢] .

يقول الكاهن وهو يرشم الشعب بمثال الصليب « الرب مع جميعكم » ، فيجاوبونه « ومع روحك أيضاً »... **لقد استخدمت هذه البركة الرسولية « الرب مع جميعكم » منذ القرن الأول المسيحى** . وقد جاء فى تلمود اليهود أنها كانت مستخدمة بين اليهود ، حينما كان يرغب واحد منهم أن يذكّر آخر بالناموس .

وإن كانت عبارة « الرب مع جميعكم »، هى فى حدّ ذاتها بركة ودعاء. **لكن الكنيسة تهدف فى طقسها إلى ما هو أعمق من هذا المفهوم السطحى ... إن الكاهن بعد رفع الأبروسفارين واللفافة التى كانت موضوعة عليه على شكل مثلث، والتى كانت ترمز إلى الختم الذى على قبر السيد المسيح، يأخذ اللفافة التى تغطى الحمل الموضوع فى الصينية، ويرشم بها الشعب وهو يقول « الرب مع جميعكم » ... ما معنى هذا؟ إنه بالكشف عن الحمل الذى كان مغطى باللفافة، يعلن أن المسيح الرب مع جميعكم** ... وثمة ملاحظة ثانية، وهو أن الاسم الذى اختاره السيد المسيح لذاته قبل تجسدّه، واعلنه بفم اشعياء النبى هو « عمانوئيل » الذى تفسيره « الله معنا ». إنه لا يقصد المعنى المعنوى أى أنه معنا بعنايته، لكنه يعنى وجوده معنا وبيننا بالجسد حال تجسدّه. وحين قال لتلاميذه قبيل صعوده، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر (متى٢٨ : ٢٠)، لا يقصد فقط أنه معنا، بمعنى أنه معتنى بنا. **لكنه يعنى أنه معنا بجسده فى الأفخارستيا، اتماماً لمفهوم عمانوئيل الذى يعنى الله معنا بجسده ... إذن فلنفهم معنى قول الكاهن « الرب مع جميعكم »، وأن هذا الأمر يختص بالافخارستيا ... لقد كشف الغطاء من على الحمل وصار معنا !!**

ثم يرشم الكاهن الخدام شرقاً وعن يمين المذبح وهو يقول « ارفعوا قلوبكم »، فيجاوبونه « هى عند الرب ». ثم يقول الكاهن وهو يرشم ذاته بمثال الصليب « فلنشكر الرب ».

يقول القديس كيرلس الأورشليمى « حينئذ يقول الكاهن: ارفعوا قلوبكم. نعم وحقاً فى هذه اللحظة، ونحن بملء الرهبة والخشوع المقدس.، ينبغى أن نرفع قلوبنا للأعالى إلى الله، فلا تعود مرة أخرى إلى الأرض والأشياء الأرضية. ويدعونا الكاهن جميعاً بكل خشوع أن نترك عنا فى هذه اللحظة كل هموم الحياة وانشغالاتنا العائلية، ونجعل قلوبنا تتحول إلى السماء، إلى الله محب البشر. ثم نقول « هى عند الرب ». وبجوابك هذا توافق وتذعن لكلام الكاهن. ولا يكن أحد يحرّك الشفاه بهذا القول « هى عند الرب » بينما يحتجز هو روحه فى غمار اهتمامات الحياة. **ينبغى علينا دائماً أن نكون منتبهين لله. وإذا كان هذا مستحيلاً بسبب الضعف البشرى،**

فعلى الأقل يجب أن نسعى فى هذه اللحظة إلى الالتفات لله ».

« ارفعوا قلوبكم » ... لماذا ؟ لأن الله حاضر. إن الخوف المقدس هو الشعور الذى يتملك على قلب الإنسان حينما يعلن الله الحى عن حضوره. وهذا هو موقف الملائكة فى الليتورجية السمائية ... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « إن لحظة التقديس هى قمة الرهبة. ينبغى على الإنسان فى حضرة الله أن يقف بخوف ورعدة. إنه بكل خشوع يجب أن نقترب إلى هذه الحقائق الرهيبة ».

وإذ يُعبر الشعب أن قلوبهم عند الرب، فإن الكاهن يُقدّم الشكر لله على ذلك « فلنشكر الرب »، لأننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. وحتى رفع قلوبنا إليه، هى بنعمته ومعونته وعمله فينا.

بعدها يصلى الكاهن « مستحق وعادل » و يكررها. وهو بذلك إنما يردد نفس كلمات السمائيين ... يصف يوحنا فى سفر الرؤيا الذى أُعلن له أن الأربعة وعشرين قسيساً يخرّون و يسجدون للحىّ إلى أبد الأبدين، وهم يطرحون اكاليلهم أمام العرش قائلين « أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة » (رؤيا ٤ : ١١ ؛ ٥ : ٢ ، ٩). و يقول يوحنا أنه سمع ملاكاً يقول « عادل أنت أيها الكائن والذى كان والذى يكون ». **إنه تأكيد للمعنى اننا منذ الآن فى السماء نشارك السمائيين تسابيحهم ... « مستحق وعادل » هو الحمل ربنا يسوع المسيح الذى فكّ ختوم السفر (انظر رؤيا ص ٥) ... وأى سفر هذا ؟ إنه سفر الخليقة الذى كان مختوماً أى مغلق على العالم كله فى العصيان كما يقول بولس الرسول. لكن الحمل ذُبح واشترانا بدمه الطاهر من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (رؤيا ٥ : ٩)، وصار مستحقاً أن يفتح ختوم السفر، أى يعلن اسرار الخلاص الإلهى. ولقد فكّ ختوم السفر بعلامة الصليب المحيىّ** ... لذلك عندما رأى يوحنا فى رؤياه كيف أن الأختام السبعة لم يقدر أحدٌ أن يفُكّ ختومها إلا الأسد الذى غلب، الذى من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)، وإنه هو بذاته « الحمل القائم كأنه مذبوح » (رؤيا ٥ : ٦). **إنه بذاته أسدٌ وحمل. أسد لأنه غلب، وحمل لأنه قدّم ذاته للآب. وهكذا تظهر لنا اسرار الخليقة التى سقطت فى آدم، ونالت حياة جديدة بآدم الأخير ربنا يسوع المسيح** ... و بقولنا « مستحقٌ وعادلٌ » مع السمائيين نرى أننا قد صرنا معهم واحداً فى

التسبيح. وإننا المذبح السمائى الذى لا يمكن أن يدركه غير المؤمنين... وقولنا «مستحقٌ»، أى مستحق أن يأخذ المجد والكرامة لأنه ابدعنا من العَدَم، ثم عاد وجدّد طبيعتنا الساقطة. وقولنا «عادل» فلأنه اظهر عدله بدعوتنا نحن الخطاة للتوبة، ومنحنا حياة جديدة ولم يسمح بهلاكنا...

ونحن نقول «مستحق وعادل» لأننا قيام أمام المذبح السمائى وأمام الصعيدة السماوية، وندرك أننا نقف أمام أسرار الخليقة كلها. لأن السماويين حاضرون معنا بكل رتبهم المقدسة، وكذلك الظافرين من القديسين والأبرار الذين لا يُكمّلوا بدوننا (عب ١١ : ٤٠). لأننا ننال معهم الحياة والنجاة... **لقد اكمل تجسّد ربنا يسوع سرّ الخلق بدعوتنا للخلاص من الموت ومن الشيطان عدو جنسنا. ولما فرغت الخليقة الأولى استراح الرب من عمل يديه. ولكنه استراح بالحقيقة فى القبر لما أكمل بالآلام كل ما تحتاجه الخليقة الجديدة.**

بعد قول الكاهن «مستحق وعادل» يتابع الصلاة ويقول «أيها الكائن السيد الرب إله الحق... أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذا الذى خلقت الكل به ما يُرى وما لايُرى. الجالس على عرش مجده، المسجود له من جميع القوات المقدسة»... هنا يذكر الكاهن كيف خلق الله الآب بابنه يسوع المسيح ربنا كل الأشياء. هذه الصلاة هى وثيقة ملوكية تُظهر أن ملك الكل الله الآب ضابط الكل، وابنه يسوع المسيح ربنا، والروح القدس هو مدبّر الخليقة الذى أتى بها من العدم. هذا هو الصكّ الملوكى الذى يُثبت لنا سبب وقوفنا أمام المذبح السماوى. وهو كائن كل حين لأنه إله الحق. وهو أمام المذبح يُظهر ذاته كخالق الكل، ومخلّص الكل بيسوع المسيح ربنا.

أيها الجلوس قفوا ... وإلى الشرق انظروا :

يصرخ الشماس قائلاً «**أيها الجلوس قفوا**». ونحن قيام على اقدامنا. ولكن لئلا يُدرك التعب أحدنا أو يمّر التهاون على قلبه، أو يصيبه السَجَسْ، يطلب الشماس أن تقف عقولنا ـ لا أقدامنا ـ وأن ننال بهجة الانتباه الروحى لا الوقوف الجسدانى.

ويعود الشماس ويقول «**وإلى الشرق انظروا**»، حيث صار اعترافنا بالمسيح

الإله وبكل نواميسه المحيية وشريعة حياته المخلّصة فى طقس جحد الشيطان فى المعمودية المقدسة. وتحولنا من الغرب إلى الشرق معترفين بالإيمان واشرقت لنا الحياة الجديدة بقيامة ربنا يسوع المسيح. وقد رتّبت الكنيسة أن ننظر إلى الشرق قبل تسبحة الشاروبيم والسيرافيم، لكى إذا استعدنا كرامتنا بالمعمودية، نُقبل إلى التسبيح بعزّة البنين وشكر المفديين. كما أن قول الشماس «إلى الشرق انظروا»، يعنى إننا عدنا إلى الفردوس، وإننا لا ننظر إليه كمن أمامنا، بل ننظر إلى شمس الحياة يسوع المسيح ربنا الذى اشرق لنا بالحياة عديمة الفساد.

ⲡ̀ⲡⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ نُنصت

ومتى بلغنا هذا الجبل المقدس الذى يرفعنا إلى هذه الرؤية الروحانية، فلنكّف عن كل الأهتمامات الجسدانية، ولنسمع صوت السيرافيم والشاروبيم، حتى ما نشترك معهم قائلين «قدوس قدوس قدوس...».

ويلزمنا أن نربط بين «ارفعوا قلوبكم»، وتسبحة الثلاثة تقديسات التى تليها... إنهما معاً يشكّلان التمهيد الجادّ للقانون الكنسى. وكلاهما يعبّر عن الفكرة بأن الأفخارستيا هى اشتراك فى الليتورجيا السمائية. **فالثلاثة تقديسات هى تسبحة السيرافيم الذين يُحيطون إلى الأبد بالثالوث القدوس**... يقول القديس يوحنا ذهبى الفم «**كأن الإنسان قد انتقل إلى السماء نفسها. إنه يقف بجوار عرش المجد، ويطير مع السيرافيم ويُنشد أقدس تسبحة**».

ويؤكد القديس كيرلس الأورشليمى على نفس الفكرة فيقول «نحن نتكلم عن السيرافيم الذى رآه اشعياء فى الروح القدس، محيطين بالله، وهم يقولون: قدوس قدوس قدوس الرب إله الجنود. وهذا هو السبب فى اننا نهتف بهذه الإلهيات التى تأتينا من السيرافيم، حتى نشترك فى التسبيح مع الجنود الملائكية، فيما هو فوق العالم».

هذان الطقسان معاً، هما تعبير عن حقيقة ليتورجية الافخارستيا على أنها مشاركة فى الليتورجيا السمائية. وهذا يشكل مباشرة «الاستعداد للذبيحة»... إننا لم نعد على الأرض، ولكننا بطريقة ما قد انتقلنا إلى السماء. وهذا هو

المقصود بعبارة «ارفعوا قلوبكم».

ما قبل صلوات التقديس :

يضع الأب الكاهن اللفافة التى على يده اليُسرى على المذبح ، والتى على يده اليمنى يضعها على يده اليسرى . و يأخذ اللفافة التى على الكأس ، **و يرشم بها ثلاثة رشومات مثال الصليب وهو يقول ⲁⲅⲓⲟⲥ آجيوس أى قدوس : الرشم الأول على ذاته وهو متجه إلى الشرق ، والثانى على الخدام الواقفين عن يمين المذبح ، والثالث يرشم الشعب وهو متجه إلى الغرب ...**

أما سبب أخذه اللفافة التى على الكأس والرشم بها فهو اعلان أن التقديس قد صار أمام عرش النعمة بدم ربنا يسوع المسيح ، الذى قدّم ذاته عنا ذبيحة فائقة ، وهبت لنا المصالحة والتقديس مع الآب والروح القدس ومع القوات السمائية ...

يرشم الكاهن ذاته أولاً بقوله آجيوس (قدوس) مثالاً لما كان يحدث فى العهد القديم ، إذ يتقدّس الكاهن قبل أن يدخل إلى الأقداس . مع الفارق أن ذاك كان تقديساً جسدياً خارجياً ، أما هنا فى كنيسة العهد الجديد فهو تقديس داخلى بعلامة الصليب . وهى ختم التقديس الذى عندما أخذنا قوته صِرنا قادرين بسبب قوة الصليب المحيى أن نقول قدوس .

أما رشم الخدام فى الرشم الثانى فلأن الخدام مساعدون فى الصعيدة . ومتى أُعطيت علامة الصليب ، فليس فى الرشم كبير أو صغير ، لأن مقام الإنسان مهما عظم أو صغر ، لا يضيف إلى قوة الصليب شيئاً ، ولا يُنقص منها شيئاً . وهكذا يصير الرشم بقوة الصليب المحيى ، لكى تنال النفس قوة حياة لا تذبل ، والكل حول المذبح يقول قدوس .

أما رشم الشعب بالرشم الثالث ، فكل واحد يرشم ذاته أيضاً بعلامة الصليب ، لأنه حيثما يُقال قدوس ، ولو فى الصلاة الانفرادية الخاصة ، فإن الكل يرشم ذاته ، لأن التقديس بواسطة صليب ربنا هو الذى يُعلن لنا الحياة الجديدة الفائقة ... **وهكذا يصير الصليب عقد القداسة بين الذين فى البيعة ، وعلامة خلاص لكل الذين ينالون المعمودية . وكما أن الصليب هو شجرة الحياة الكائنة**

فى الفردوس، التى أثمرت لنا طعام الحياة الباقية، أى جسد ودم ربنا يسوع المسيح، فهو أيضاً الذى منه نبعت مياه الحياة الواهبة الغفران لكل العالم.

بعد آجيوس يُصلى الكاهن ذاكراً الخلقة الأولى والسقوط بغواية ابليس، وكيف أننا نفينا من الفردوس. وأن الله لم يتركنا تماماً، بل تعّهدنا بأنبيائه القديسين. وفى آخر الزمان ظهر لنا بابنه الوحيد الجنس ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، هذا الذى من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم.

تَجَسَّد وتأنس:

يضع الكاهن بخوراً فى الشورية (المجمرة) وهو يقول «تجسد وتأنس». وهو بذلك يُعلن كيف ظهرت رائحة حياة طردت رائحة الموت القديم، أى الفساد الذى ورثناه عن آدم. وأنت يا من تَشُمّ رائحة المسيح الزكية الواهبة الحياة، ارفع قلبك بالشكر لله لأن الحياة ظهرت، وبشارة الخلاص اعلنت... ومات المسيح عنا وقام من بين الأموات وصعد إلى السموات ورسم يوماً للدينونة... وهنا يصرخ الشعب طالباً الرحمة بقولهم **«كرحمتك يارب وليس كخطايانا»**. لأن الرحمة تفتخر على الحكم فى الدينونة.

تقديس الخبز والخمر:

يقول الكاهن «ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذى للتقوى»، ويشير بيديه إلى الخبز ثم إلى الكأس، ويترك اللفافتين من يديه على المذبح، ويُبخّر يديه على المجمرة ثلاث مرات... وبقوله هذا يعلن ظهور ابن الله بالجسد من والدة الإله واصعاد جسده بخبز وخمر حسب وصيته المقدسة.

أما تبخير يديه ثلاث مرات فلأن ربنا يسوع المسيح اظهر أنه تجسَّد بثلاث افعال ثابتة: الأول ميلاده من العذراء، والثانى موته، والثالث قيامته. وهذه هى افعال الخلاص الثلاثة التى تهب الحياة للذين يطلبونها... أما وضع يدى الكاهن على البخور فلأن سيدنا يسوع المسيح قد ظهرت حياته النقية رائحة بخور سمائى. **والكاهن يضع يديه على البخور لكى يُعلن أنه يخدم هذا السر الفائق.** وأنه ليس هو سبب الحياة، بل ربنا يسوع المسيح الذى يُعطى النقاوة لكل من يطلب.

أثناء ذلك يوقد الشمامسة وسائر الخدام حول المذبح شموعاً، اعلاناً أن نور الحياة قد اشرق من قبل هذه الذبيحة غير الدموية ... إن عبارة « هذا السر العظيم الذى للتقوى » ، تذكرنا بكلمات بولس الرسول عن سر التجسد « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١تى٣ : ١٦) ... إن الموضوع على المذبح هو عينه سر التقوى الذى اشار إليه الرسول بولس . ثم أنه من الناحية الروحية سر التقوى .

يأخذ الكاهن الحمل ويضعه على يده اليسرى، ويرفع اللفافة من الصينية ويضعها على المذبح ، ويقول **« أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين ».** يردّ الشعب « نؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين » ... ثم يضع الكاهن يده اليمنى على الحمل الذى على يده اليسرى ويرفع نظره إلى فوق ويقول ... **« ونظر إلى فوق نحو السماء إليك يا الله أباه وسيد كل أحد : وشكر، وباركه ، وقدّسه ».** ومع كل من كلمة شكر وباركه وقدسه ، يرشم صليباً على الخبز، ويجاوب الشعب بعد كل رشم قائلاً «آمين ». ثم يقولون « نؤمن ونعترف ونمجدّ » .

عندما يرشم الكاهن صليباً واحداً ويقول « وشكر» ، إنما يُعلن أن الشكر بعلامة الصليب هو الشكر الكامل المقبول لدى الآب ولدى مسيحه يسوع المسيح ربنا الحمل الذى بلا عيب والروح القدس . **ورشم الصليب يقوم عوضاً عن الكلمات مهما كثرت ، ويُصبح ختم الشكر والتسبيح** ... وعندما يرشم الكاهن صليباً ثانياً ويقول « وباركه » ، فإن البركة هى زيادة العطايا وقبولها مجاناً . ولذلك صار الصليب هو ختم البركة الذى يوضع على الخبز ليصير متكاثراً بقوة ربنا وموته وقيامته ... وعند قول الكاهن « وقدسه » ، يرشم صليباً ثالثاً على الخبز. والتقديس هو املاك وتخصيص . **وهكذا من قبل صليب ربنا يسوع المسيح يصير الخبز صعيدة مقدّسة للآب ضابط الكل. ويتم قول الرب يسوع «من أجلهم اقدّس أنا ذاتى» (يوحنا ١٧ : ١٩). وقد قدّس ذاته بذبيحة نفسه، فصار الصليب ختم التقديس الذى يوضع على الخبز لكى يصير جسد ربنا يسوع المسيح بحلول الروح القدس عليه .**

ثم يقسم الكاهن القربانة ثلثاً وثلثين من فوق إلى اسفل دون فصلهما عن

بعضهما ، لأن السيد المسيح نزل من فوق من السماء إلى عالمنا . والثلث الذى على اليمين جهة الثلاثة ثقوب ، والثلثان هما باقى القربانة . و يتم التقسيم بالابهام الأيمن وليس الظفر. وفيما هو يقسم يقول « **وقسمه واعطاه لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً : خذوا كلوا منه كلكم لأن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم وعن كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكرى** » ... و يرد الشعب قائلاً « هذا هو بالحقيقة آمين » .

يضع الكاهن يده اليمنى على حافة الكأس و يمّر بطرف اصبعه على حافة الكأس ، لأن دم العهد كان يُرش مستديراً على غطاء تابوت العهد . ولكنه الآن لا يُسكب وإنما يُعطى لكى ينال منه الخطاة حياة . يقول « **وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء مزجها من خمر وماء شكر، وباركها ، وقدسّها** » . وفى كل مرة يرشم الكأس بمثال الصليب ، على نحو ما فعل فى حالة الخبز... والصلوات تقال أولاً على الجسد ثم على الدم ، لأن الدم ينبع من الجسد ، ولا دم بدون جسد ... ثم يمسك الكاهن فم الكأس بيده و يقول « **وذاق واعطاه أيضاً لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً : خذوا اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يُسفك عنكم وعن كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكرى** » ... وفيما يقول الكاهن ذلك يحّرك الكأس برفق مثال الصليب إلى الغرب ثم إلى الشرق فالشمال ثم الجنوب ، **معلناً أنه بالصليب تمّ توزيع دم ربنا فى ارجاء المسكونة الأربعة .**

استدعاء الروح القدس :

يقول الكاهن « **لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس** ... إلخ » . ثم بعدها يصلى قائلاً « **ففيما نحن أيضاً نصنع ذكرى آلامه المقدسة** ... إلخ » ... هذا يعنى أن الأفخارستيا هى عمل خاص بذكرى المسيح المصلوب الفعّال فى حياتنا ... إن ما نقدّمه من قرابين ، إنما هى ذبيحة المسيح الحيّة واهبة الحياة ، الخلاّقة فى حياة الكنيسة . خلالها تقّدم الكنيسة ذاتها بكونها جسد المسيّا . تمارس آلامه وصلبه وقيامته وصعوده ، كأنها خاصة بها ...

يصرخ الشماس «اسجدوا لله بخوف ورعدة». يسجد الجميع ومعهم الكاهن... ويقول الشعب «نسبحك، نباركك، نخدمك، نسجد لك»... يستدعى الكاهن الروح القدس وهو ساجد بتلاوة صلاة خاصة. ثم ينهض ويرشم قربانة الحمل ثلاثة رشوم بمثال الصليب ويصرخ «وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له». يسجد ثانية ويقول سراً «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه». ثم ينهض ويرشم الكأس ثلاثة روشم بمثال الصليب ويصرخ قائلاً «وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له». يسجد ثانية ويقول سراً «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه».

نلاحظ أن الكاهن يستدعى الروح القدس ساجداً، لأن الذى دبّر هذا السرّ واسس العهد هو المسيح الذى يُرسل روحه القدوس على القرابين. وإذا وقف يقف مُنحنياً فيما يقول «وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له». إنه ينحنى أمام الملك ورئيس الكهنة يسوع المسيح، ويرشم بمثال الصليب بيده ثلاث مرات ويسجد ويقول سراً «ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح... إلخ»، لأن الذى يقدس إنما هو الرب يسوع المسيح وباعتراف الكاهن بلاهوته يحل الروح القدس معلناً أن يسوع المسيح هو الرب. ورشم الصليب عند استدعاء الروح القدس هو ستة رشومات. ثلاثة على الخبز وثلاثة على الكأس. والرشومات متساوية فى المعنى والعدد، لأن الجسد هو بالدم، كما أن الدم هو بالجسد. أما الرشومات فهى سرّية لا يجوز فيها الكلام. فالسر الفائق الذى لايمكن النطق به يتم تقديسه سراً... **والرشم الأول للآب** الذى وهبنا إبنه الوحيد، فهو الينبوع. **والرشم الثانى للابن** الذى اعطانا ذاته. والرشم الثالث للروح القدس، الذى أعلن وأظهر هذا السر **وختم الصليب هو ختم الثالوث،** لأن الإبن الذى ذبح واشترانا وغسلنا بدمه، هو إبن الآب، وهو أيضاً الذى تكّون جسده فى أحشاء العذراء بالروح القدس، وهو سرّ استدعاء الروح القدس لكى يهبنا جسد ودم الإبن الوحيد... وحيثما صارت ثلاثة صلبان متتالية فهى اشارة صريحة للثالوث.

ماذا يقول آباء الكنيسة عن تقديس الخبز والخمر واستدعاء الروح القدس؟

يقول القديس كيرلس الأورشليمى « لا تنظروا إلى الخبز والخمر على أنهما شيئان عاديان. إنهما جسد المسيح ودمه بحسب كلمته » . و يضيف قائلاً « بعد أن نكون قد تقدّسنا بالثلاثة تقديسات ، فإننا نصلى إلى الله لكى يرسل روحه القدوس على القرابين ، لكى يحّول الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه . وما لمسه الروح القدس يصير مقدساً ومتحولاً تماماً » .

و يربط القديس امبروسيوس تقديس الخبز والخمر ـ ليس بحلول الروح القدس الذى استدعى بصلوات الكاهن بل بعمل المسيح الذى يعمل بكلماته التأسيسية . يقول « بمجرد أن يحدث التقديس يصير الخبز جسد المسيح . وكيف يحدث هذا ؟ بالتقديس . ويحدث التقديس بواسطة أية كلمات ؟ بكلمات الرب يسوع . وحقاً إن ما ذكرناه حتى الآن قد قاله الكاهن . أما هنا ، فإنه يستعمل كلمات المسيح . وما هى كلمة المسيح ؟ إنه ذاك الذى به كان كل شيء » .

وهكذا ، فإنه من ناحية يكون التقديس ، وهو عمل مشترك للأقانيم الثلاثة ، ويُنسب للروح القدس الذى به نفّذ الله أعماله العظيمة فى التاريخ . ومن الناحية الأخرى ، ينسب إلى الله الكلمة الخالق الذى هو أيضاً الأداة لقوة الله وقدرته .

على أن ما هو حاضر على المذبح ليس مجرد جسد المسيح ودمه فحسب ، بل إنها ذبيحة الميسح نفسها . أى أنها سر آلامه وقيامته وصعوده ، والتى تعتبر الافخارستيا تذكاراً فعلياً لها Anamnesis ... كل مرة تُقدم فيها ذبيحة المسيح فإن المغزى المقصود هو موت الرب وقيامته وصعوده وغفران الخطايا . وكلمة مغزى هنا لا يقصد بها مجرد التذكار. ولكن الكلمة يقصد بها أثبات أن الذبيحة المقدسة ليست ذبيحة جديدة ، وإنما هى الذبيحة الوحيدة التى للمسيح .

و يشرح القدس يوحنا ذهبى الفم ذلك فى درس له عن الافخارستيا ورد فى تفسيره للرسالة إلى العبرانيين . فبعد أن ذكر حقيقة أن الذبائح الوثنية كانت تتكرر وذلك لعدم جدواها ، وأما ذبيحة المسيح فهى فعّالة ووحيدة ... « ولكن ألا نقدم الذبيحة يومياً ؟ إننا نقدمها ، وإنما بصنع تذكار موته . وهذه واحدة ولا تتكرر. ولقد قُدّمت مرة واحدة ، حيث أنه دخل إلى قدس الأقداس . إن التذكار هو

رمز موته. وهى بنفسها الذبيحة التى نقدّمها وهى ليست واحدة اليوم وأخرى غداً. فالمسيح واحد فى كل مكان. كامل فى كل مكان. جسد واحد فقط. وكما أنه جسد واحد فى كل مكان ففى كل مكان هناك ذبيحة واحدة. وهذه هى الذبيحة التى مازلنا نقدّمها الآن. وهذا هو معنى كلمة anamnesis. إننا نصنع تذكار الذبيحة»... ونحن نرى بوضوح فى هذه الفقرة قوة التذكار التى تحضر أمامنا. **ليس بصورة تذكارية، وإنما بصورة فعلّية، وتحت الأعراض السرائرية، الذبيحة الوحيدة للمسيح.**

ويصّر القديس يوحنا ذهبى الفم فوق كل شىء، على تذكار ذبيحة الصليب. بل ويرى تيودور الموبسيستى فى الافخارستيا الذبيحة السمائية، التى صارت منظورة فى السرّ.

إن طقس توزيع جسد المسيح هو موضوع تعليقات متنوعة، مثل تلك التى ظهرت فيما يتعلق بسرّ التقديس، لأنه حقاً كجانب اساسى من جوانب الأفخارستيا، أن ينظر إليها على أنها طعام روحى، تحت اعراض الخبز والخمر. ورمزية الخبز والخمر على أنها تشير إلى الطعام الروحى. **ان الأفخارستيا توقّع سابق للبركات السمائية كما يقول تيودور الموبسيستى** «بواسطتها نحن المائتين بالطبيعة، نتوقع أن ننال الخلود، وكفاسدين نصير غير فاسدين. ومن الأرض والشرور الأرضية، ننتقل إلى كل البركات والمسرات السمائية وبواسطة هذه الأنواع من الأشكال الرمزية، لدينا الإيمان أن نمتلك الحقائق نفسها. **إن الأفخارستيا إذن هى «خبز الملائكة»، الذى قد اشتركنا فيه من خلال ستار الطقس. وهى تظهر أمامنا كمشاركة منتظرة فى المأدبة السمائية. وهى التى تسبق فتشير إليه، وقد حققته.**

لكن هذا الغذاء الروحى ينبغى ألا ينظر إليه منفصلاً عن ذبيحة المسيح، فهو مشاركة فى الذبيحة، أى فى موت المسيح وقيامته. وحقاً إن سرّ الآلام والقيامة يكون حاضراً لمجرد أن تنطبق آثارها علينا. أما الشركة فهى الطريقة الحاسمة التى بها تصل هذه الآثار إلى النفوس. وبهذا ننظر إلى لاهوت الشركة، ليس على أنه شىء يفترق عن لاهوت التقديس، من حيث أنه مشاركة فى سرّ المسيح المائت والقائم أيضاً. والحقيقة أنه من المهم أن نلاحظ أن الشركة ـ وذلك من أجل تعليمنا ـ هى فى

نظرنا مشاركة بنفس القدر فى موت المسيح وفى قيامته.

وهذا الأمر قد ادركه تماماً القديس امبروسيوس ... «كل مرة تتناولون (الافخارستيا)، ماذا يقول لكم الرسول؟ كل مرة نتناول منه، نبشر بموت الرب. وإذا بشرنا بموته، نبشر بمغفرة الخطايا. فإن كان فى كل مرة يُسفك الدم، يُسفك لمغفرة الخطايا، فيلزمنى أن اتناول منه دائماً، لكيما تُغفر خطاياى» ... إذن فمن الواضح جلياً أن الشركة ما هى إلا تهيئة النفس لفاعلية الذبيحة التى قُدمت فى التقديس ... **وهذه الناحية يؤكدها أيضاً القديس غريغوريوس النزينزى بقوله «إن الافخارستيا هى الذبيحة غير الدموية، التى بها نشترك فى آلام المسيح وطبيعته الإلهية».**

وهذا الارتباط بين الشركة وموت المسيح، يؤكده بنوع خاص تيودور الموبسيستى ... «كما أنه أيضاً -بموت المسيح ربنا- ننال ميلاد المعمودية، هكذا بالطعام يكون أيضاً بشكل رمزى ننال الشركة بواسطة موته. إن الاشتراك فى الأسرار معناه تذكار موت الرب، الذى يهبنا القيامة وبهجة الخلود. لأنه من اللائق أننا، نحن الذين بموت ربنا، قد أخذنا ميلاداً سرياً، ينبغى أن ننال بنفس الموت، طعام سرّ الخلود. وبالمشاركة فى السرّ نتذكر بالرمز آلامه، التى من خلالها نحصل على اقتناء الخيرات العتيدة ومغفرة الخطايا».

والآن وقد تحولت القرابين المقدسة إلى جسد الرب ودمه الأقدسين، فإن الكنيسة لا تجتمع حول المذبح حيث يوجد المسيح، بل هى قد صارت جسده. إن كل واحد يرى نفسه عضواً فى هذا الجسد الواحد ... الأفخارستيا هى سرّ المسيح، وهى سرّ اتحاد كل واحد مع أخيه فى هذا الجسد الواحد ... إنها سرّ الحب الذى لا يعرف حدوداً. من أجل هذا يصلى الحاضرون فى الكنيسة من أجل كل احتياجاتهم، ومن أجل الجميع حتى المنتقلين والغائبين لأى سبب ...

صلوات الأواشى والمجمع والترحيم:

يغطى الكاهن يديه بلفافتين، بعد استدعاء الروح القدس، **رمزاً لأن النعمة الإلهية سترت عرى آدم وجعلت الكاهن يقف شفيعاً أمام الرب.**

يبدأ الكاهن الصلاة بقوله «**اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا ...**» . إنه يصلى من أجل الجميع أن يكونوا مستحقين للتناول المقدس ... ثم يصلى السبع أواشى الصغار (أواشى جمع أوشية ، وهى كلمة يونانية افشى وتعنى صلاة) . **وهذه الأواشى السبع الصغار هى : سلامة الكنيسة وآباؤها الكبار والقمامصة والقسوس والشمامسة ، وكل الخدام ، وخلاص الموضع المقدس وكل المواضع وديارات الآباء الأرثوذكسيين ، ثم أوشية مياه النهر أو الزروع والعشب ونباتات الحقل بحسب توقيتها وأخيراً القرابين التى يختم بها قبل مجمع القديسين.**

مجمع القديسين :

الصلاة عن الراقدين المنتقلين هى خاتمة الطلبات ... والمؤمنون المسيحيون ـ أحياء أم منتقلون ـ هم أعضاء كنيسة الله الواحدة ، المنظورة وغير المنظورة . يضم الجميع جسد واحد هو جسد المسيح ... يقول العلامة اوريجينوس : محبة القريب هى أعظم الفضائل ... لهذا يليق بنا أن نتطلع إلى القديسين الذين رقدوا قبلنا ، إنهم يُحبّون الذين مازالوا يجاهدون فى هذه الحياة ، أكثر مما كانوا عليه ، وهم حاملون الضعف البشرى ، حين كانوا يجاهدون مع القطيع الأضعف . يقول بولس الرسول لأهل كورنثوس : إذ انتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ... **فإن كان بولس وهو فى الجسد يحسب نفسه مجتمعاً بالروح مع أهل كورنثوس ، فإنه يليق بنا ألا نقطع رجاءنا فى أن الطوباويين الذين رحلوا هم حاضرون بالروح فى اجتماعات الكنيسة ، بل ربما أكثر مما كانوا عليه وهم فى الجسد ... يليق بنا ألا نستخف بصلواتهم» .**

يبدأ مجمع القديسين بهذه العبارة ... «لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد الجنس ، أن نشترك فى تذكار قديسيك. تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين ارضوك منذ البدء» .. بعد هذه المقدمة يذكر اسماء بعض القديسين ابتداء من « والدة الإله القديسة الطاهرة مريم » .. هؤلاء هم جميعاً شركاء الحياة الجديدة ، وجلوس على مائدة الرب فى أورشليم السمائية . وهم وإن كانوا لا يشتركون معنا فى الذبيحة ، بمعنى أنهم لا يتناولون مثلنا ، إلا أنهم قد سبق لهم الاتحاد بالثالوث فى سرّ المعمودية ، فصاروا أحياء إلى الأبد ، وأعضاء لا يقوى الموت على فصلها من جسد ربنا

يسوع المسيح ، أى الكنيسة الجامعة .

لكن ما معنى كلمات الكاهن فى بداية صلاة مجمع القديسين «لأن يارب هذا هو أمر ابنك الوحيد الجنس ، أن نشترك فى تذكار قديسيك ... » . إن هذه الكلمات تذكرنا بوصية ربنا يسوع ، بعد أن سكبت امرأة فى بيت عنيا قارورة طيب على رأسه وتقمقم تلاميذه ، واعتبروا هذا اتلافاً ، إذ كان من الممكن أن يباع هذا الطيب و يوزع ثمنه على الفقراء . **وكان رد السيد المسيح على هذا التذمر «الحق أقول لكم ، حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها »** (متى ٢٦ : ١٣) .

إن الكنيسة تقدم هؤلاء القديسين كقدوة صالحة لأعضائها فى مجالات الإيمان المستقيم والتعليم وقداسة السيرة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن عبارة «نشترك فى تذكار قديسيك» تذكرنا بعمل المسيح الخلاصى . فالتذكار المقبول هو جسد ودم ربنا يسوع . لأنه ليس بالكلام نتذكر ، وإنما بالسرّ المجيد ، الذى يظهر فيه ربنا يسوع المسيح رأس الجسد ، وقد ضم إليه كل الذين فى السموات وعلى الأرض . أما الذين فى السموات فهم المنتصرون ، وأما الذين على الأرض فهم الذين قدمت عنهم القرابين . وهكذا تصير الحياة الجديدة التى تجمع الكل فى وحدة سرّ الكنيسة ، هى التى تجعل تذكار الآباء والراقدين أمراً واجباً ، لأنهم شهود أحياء فى أورشليم السمائية ... هذا المفهوم هو الذى يحمل الكاهن أن يقول فى ختام مجمع القديسين «وكل مصاف قديسيك ، هؤلاء الذين بسؤالتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وانقذنا من اجل اسمك القدوس الذى دُعى علينا » .

البخور بعد المجمع :

وكما أننا نشبّه سرّ تدبير وتجسد ربنا يسوع المسيح بالمجمرة (الشورية) ، التى ترمز للعذراء مريم التى ولدت الله الكلمة بالجسد ، هكذا يضع الكاهن بخوراً تقدمة وصعيدة زكية عن الراقدين ، ونذكرهم كمن اضطجع فى احضان والدة الإله القديسة مريم أمنا كلنا وحواء الجديدة ، ونال رائحة الحياة أى ربنا يسوع المسيح ... **هذا هو سرّ**

وضع الكاهن للبخور أثناء الترحيم، لكى نتشجع بحياة عدم الفساد التى لربنا يسوع المسيح، ونطلب الرحمة بثقة. وتتقوّى قلوبنا فلا نرهب الموت، بل تكون لنا شجاعة الحياة الجديدة.

صَلَواتْ ما قبل القسمة:

وهى ثلاث صلوات يحسن التأمل فى كلماتها وعباراتها. وسوف نترك ذلك لكل واحد حسبما يعطيه الرب نعمة:

● **الصلاة الأولى** ... : «أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيّحهم... ونحن أيضاً الغرباء فى هذا المكان احفظنا فى إيمانك وانعم لنا بسلامك إلى التمام (إلى الانقضاء).

● **الصلاة الثانية** ..: «واهدنا إلى ملكوتك، لكى وبهذا كما أيضاً فى كل شىء يتمجد ويتبارك ويرتفع إسمك العظيم القدوس، فى كل شىء كريم ومبارك، مع يسوع المسيح ابنك الحبيب والروح القدس. «سلام لجميعكم». هنا يخضع الكاهن برأسه نحو المذبح والذبيحة، ولا يلتفت إلى جهة الغرب لكى يرشم الشعب، لأن ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة الحالّ فوق المذبح، هو الذى يرشم الشعب.

● **الصلاة الثالثة** ... : «وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، لأنه جعلنا أهلاً الآن أن نقف فى هذا الموضع المقدس، ونرفع أيدينا إلى فوق ونخدم إسمه القدوس. هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وصعود اسراره الإلهية غير المائتة».

صلاة القسمة:

قبلما يصلى الكاهن صلاة القسمة، يأخذ الجسد المقدس على يده اليسرى ويضع السبابة اليمنى على الجسد بجانب الاسباديقون عند المكان المقسوم، ويقول **«الجسد المقدس»**. ثم يرفع اصبعه ويمده إلى الكأس، ويغمس انملته دون ظفره فى الدم الكريم. ثم يرفع اصبعه المغموس بالدم ويرشم الدم داخل الكأس رشماً واحداً بمثال الصليب وهو يقول **«والدم الكريم»** وهنا يرد الشعب «نسجد لجسدك المقدس» و«دمك الكريم»، وذلك عقب رشم الجسد ثم رشم الدم على التوالى. ثم يرفع

الكاهن اصبعه بحرص من الكأس و يرشم بالدم الجسد الطاهر رشماً واحداً على وجه الجسد وظهره ودون أن يقلبه، وهو يقول « اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا ». ثم يردّ الشعب بالرد المناسب.

بعدها يصلى الكاهن صلاة القسمة المناسبة بحسب الزمان، و يقسم الجسد إلى اثنى عشر جزءاً دون فصلها. وتختم صلاة القسمة بصلاة « أبانا الذى فى السموات ... » **جهراً... وقد أشار الآباء القديسون كيرلس الأورشليمى ويوحنا ذهبى الفم وامبروسيوس واغسطينوس إلى أهمية الصلاة الربية فى نهاية تقديس الأفخارستيا. فيقول القديس اغسطينوس فى عظه له للمعمدين حديثاً... « نحن نصلى بها قبل تناولنا جسد المسيح ودمه بسبب ضعفنا البشرى كأن يكون هناك فكر ردىء، أو زلفة لسان أو نظرة دنسة أو سماع شىء غير لائق. فإن كنتم خلال تجارب العالم، وبسبب الضعف البشرى تتعرّضون لمثل هذه الخطية، فإن بالصلاة الربية تُنزع عنكم بقولكم « واغفر لنا ما علينا ». وعندئذ نقدر أن نقترب من المذبح بأمان، عالمين أننا لا نأكل أو نشرب دينونة لأنفسنا ».**

الصلوات السرّية:

يُنذر الشماس الشعب « احنوا رؤوسكم للرب ». و يصلى الكاهن صلاة تضّرع إلى الآب السماوى القدوس ألاّ يدخلنا فى تجربة ولا يتسلط علينا كل اثم، وأن ينجينا من الأعمال الغير نافعة وافكارها وحركاتها ومناظرها. وأن يُبطل قوة المجرّب و يطرده عنا، و ينتهر حركاته المغروسة فينا. و يقطع عنا الأسباب التى تسوقنا إلى الخطية. وأن يُنجينا بقوته المقدسة بالمسيح يسوع ربنا... ثم يصلى الكاهن صلاة خضوع سرّية للآب أيضاً، يُقدم فيها الشكر لجلاله الأقدس من أجل رحمته العظيمة، إذ أعدّ لنا ما تشتهى الملائكة أن تطلّع عليه. و يطلب إليه أن يطهرنا حتى بتناولنا من الأسرار الإلهية نمتلىء من الروح القدس ونثبت فى الإيمان المستقيم، ونمتلىء شوقاً لمحبته الحقيقية، وننطق بمجده كل حين بالمسيح يسوع ربنا... وهنا يقول الشماس « ننصت بخوف الله ». ثم يعطى الكاهن السلام للشعب دون رشم، بل ينحنى أمام الذبيحة. ثم يصلى صلاة تحليل لله الآب يطلب بها الحلّ عن نفسه والآباء الكهنة الحاضرين، وأن يقبل توبة التائبين وأن يغفر خطاياهم... ثم يذكر سرّاً من يريد أن يذكره، وأن

يُنعم للجميع بعقل وقوة وفهم ليهربوا تماماً من كل أمر رديء، وأن يكتب اسماءهم مع كل صفوف قديسيه فى ملكوت السموات بالمسيح يسوع ربنا ... ثم يصلى أخيراً عن ضعفه فى انسحاق « اذكر يارب ضعفى أنا أيضاً واغفر لى خطاياى الكثيرة. وحيث كثر الأثم فلتكثر هناك نعمتك. ومن أجل خطاياى خاصة ونجاسات قلبى لا تمنع شعبك نعمة روحك القدوس » ... ثم يطلب الكاهن سراً من أجل سلام الكنيسة والأب البطريرك والأسقف ثم يقول جهراً « اذكر يارب اجتماعاتنا باركها ».

القدسات للقديسين وما بعدها :

يمسك الكاهن بإصبعيه برفق الأسباديقون ΔECΠOTIKON (أى الجزء السيدى أى الذى يشير إلى السيد المسيح فى الجسد) ـ يمسكه مقلوباً لأن الحمل إذا ذبح حسب شريعة العهد القديم كان يُقلب على ظهره لكى يتمكن الكاهن الذى يقرّبه من ذبحه. يغمس الكاهن طرف الأسباديقون داخل الكأس ويرفعه مغموساً بالدم باحتراس ويرشم به الجسد الطاهر الذى فى الصينية بمثال الصليب. وأثناء ذلك كله يقول « القدسات للقديسين مبارك الرب يسوع المسيح ابن الله وقدوس الروح القدس آمين ».

وكلمة « قديس » ومشتقاتها فى اللغة اليونانية (آجيوس) لا تحمل معنى « صالح »، بل « المنتمى لله القدوس وحده ». بهذا نفهم تعبير « قديسين »، الذين كان القديس بولس الرسول يُوجه إليهم رسائلة أنهم « الشعب المختار المنتمى لله القدوس » ... بهذا المفهوم نستطيع أن نقول أن عبارة « القدسات للقديسين » تعنى « الأمور المقدسة الخاصة بالله القدوس هى لكل شعب الله المقدس فيه » ... **لكن هذا التفسير لا يعنى أن المقدسين بدم المسيح لا يكونوا قديسين، بل إن هذا يليق بالمؤمنين أن يكونوا قديسين متحدين بابن الله القدوس، إذ نحن أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه (أفسس ٥ : ٣٠) ... والرسول بطرس يقول للمؤمنين عامة « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا انتم أيضاً قديسين فى كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١بط ١ : ١٥، ١٦) ... ومهما يكن من أمر فإن التناول من جسد الرب ودمه ليس للكاملين بل للمجاهدين فى طريق الكمال، لا بقوتهم بل بالمسيح الذى يقوّيهم..**

يجاوب الشعب «آمين واحد هو الآب القدوس ، واحد هو الابن القدوس ، واحد هو الروح القدس آمين» . و يعلق القديس يوحنا ذهبى الفم على هذه العبارة بقوله «إن الكاهن يصرخ و يقول القدسات للقديسين . فيردّ الشعب : لسنا قديسين ، لكن واحد هو الآب القدوس ، واحد هو الابن القدوس ، واحد هو الروح القدس» ... أى لسنا قديسين ، بل ضعفاء محتاجين لنعمتك ومعونتك وهذا الجسد المقدس الذى يُثبتنا فيك .

بعد أن يرشم الكاهن الدم بالكأس بالجسد (الأسباديقون) بمثال الصليب ثم يغمسه فيه و يرشم به الجسد المقدس بمثال الصليب ، ثم يعود و يرشم به الدم بالكأس بمثال الصليب ، و يضع الاسباديقون فى الكأس مقلوباً بحرص على نحو ما شرحنا . و يظل بالكأس حتى يكمل الكاهن تناول الخدام والشعب جميعاً .

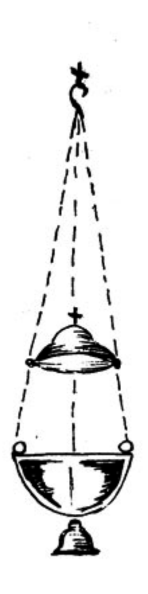
بعدها يقول الكاهن **«جسد مقدس ودم كريم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين»** ... ويجاوب الشعب آمين . ثم يقول**«مقدس وكريم جسد ودم حقيقى ليسوع المسيح إبن إلهنا آمين»** . ويجاوب الشعب آمين . ثم يقول **«جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين»** . يجاوب الشعب «حقاً نؤمن» .

الاعتراف الأخير:

يرفع الكاهن الصينية وبها الجسد المقدس و يقول الاعتراف الأخير، وفيه يُعلن أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم . وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . و يكمل الاعتراف أن هذا الجسد يعطى الغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه .

وبعد أن يتناول الكاهن من الجسد و يناول شركاءه من الكهنة وكذلك الشمامسة ، يُغطّى الصينية التى بها الجسد الطاهر بلفافة و يرشم بها الشعب وهو يقول أولاً «القدسات للقديسين» . ثم يرشم رشماً ثانياً و يقول «جسد مقدس ودم كريم حقيقى ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين» . فيسجد الشعب أو ينحنون برؤوسهم قائلين «مبارك الآتى باسم الرب» .

أثناء ذلك يرتل الشمامسة المزمور المائة والخمسين « سبحوا الله فى جميع قديسيه » ... وبعد الانتهاء من التناول وغسل الأوانى يصرف الكاهن ملاك الذبيحة، ويرش الشعب بالماء، ثم يعطيهم التسريح لينصرفوا بقوله « امضوا بسلام وسلام الرب مع جميعكم » .



القداس الغريغوري والقداس الكيرلسي

القداس الغريغورى

اشرنا قبلاً أن القداسات المستخدمة فى كنيستنا حالياً هى ثلاثة قداسات: القداس الباسيلى والقداس الغريغورى والقداس الكيرلسى وهو قداس مارمرقس الرسول... وفى العظة الماضية تناولنا موضوع القداس الباسيلى بشرح يكاد يكون مستوفياً... واليوم نتحدث عن القداس الغريغورى. ومنعاً من التكرار فسوف نشير مجرد اشارات إلى النواحى الطقسية التى يتشابه فيها هذا القداس مع القداس الباسيلى.

والقداس الغريغورى هو القداس الثانى -بعد القداس الباسيلى- الذى تستخدمه حالياً كنيستنا القبطية. ويُنسب للقديس غريغوريوس النزينزى (الثاؤلوغوس -الناطق بالإلهيات- اللاهوتى)... وهو قداس تأملى عجيب، صلواته موجهة لابن الله الأقنوم الثانى ربنا يسوع المسيح.

يمكن الصلاة به فى أى وقت على مدار السنة، **لكن يتحتم الصلاة به فى الأعياد السيدية الكبيرة، وفى قداس سبت الفرح -تذكار كون المسيح له المجد فى القبر، واعلاناً من الكنيسة فى هذا اليوم أن المسيح له المجد حىّ وليس ميتاً، وها نحن نقدم العبادة له، اعترافاً بألوهيته. وتستمر الكنيسة فى استخدام هذه الليتورجية طوال الخماسين المقدسة التى تتبع عيد القيامة المجيد، وهى أيام الفرح التى ترمز للأبدية السعيدة،** حينما سنكون معه فى السماء كمؤمنين، كما سوف نتناول هذا الموضوع بالشرح فى العظة المقبلة.

يتميّز هذا القداس -إلى جانب تأملاته العجيبة وتعبيراته القوية السامية- **بأن الصلوات التى ينطق بها الكاهن هى بصيغة المتكلم المفرد. وكأن الكاهن يصلى إلى المسيح ابن الله بلسان كل واحد من الشعب، لأن الخلاص الذى أتمّه له المجد، هو من أجل كل واحد.**

ونظراً لعمق صلوات هذا القداس وسمو معانيه، فقد وضع الأقباط الجبابرة ألحاناً له تخلب النفوس وتحلّق بها فى الأعالى...

ومن جهة ترتيبه يتبع نفس نظام القداس الباسيلى من جهة مواضع الصلوات ...

والسبب فى عدم استخدام هذا القداس الروحانى بكثرة فى صلوات الكنيسة، هو طول صلواته وألحانه الطويلة. ولذا فهى تتناسب مع أيام البهجة والفرح.

وإن كان ليس ما يمنع من الصلاة بهذا القداس فى أى وقت على مدار السنة، **لكن الخطأ -الذى لا توافق عليه الكنيسة- هو استخدام بعض صلواته فى القداس الباسيلى، على نحو ما يفعل كثير من الكهنة، الأمر غير المستحب أن تختلط القداسات ببعضها** ... هذا هو ما تسلمناه من معلمى البيعة.

وبالإضافة إلى ما ذكرناه من ميزات فى هذا القداس، **فإنه يتميّز بالمفاهيم اللاهوتية الخاصة. ولا عجب فواضعه هو القديس غريغوريوس اللاهوتى، أو الناطق بالإلهيات والذى تميّز بحياته النسكية وروحانيته العميقة كأب من آباء الكنيسة العظام...**

يتبع القداس الغريغورى نفس نظام القداس الباسيلى فى صلواته من أول صلاة الاستعداد وتقديم الحمل حتى قراءة الانجيل، وما يصاحب ذلك من صلوات، ما عدا صلاة الحجاب -التى تسبق صلاة الصلح- والتى يصليها الكاهن أمام حجاب الهيكل على نحو ما شرحنا فى القداس الباسيلى.

صلاة الحجاب:

«أيها الرب الإله ضابط الكل، العارف افكار البشر، والفاحص القلوب والكلى. وإذ أنا غير مستحق، دعوتنى إلى خدمتك المقدسة هذه. لا ترذلنى، ولا تصرف وجهك عنى، بل امح جميع سيئاتى. واغسل عيب جسدى، ودنس نفسى، وطهرّنى كاملاً. لكى وأنا أطلب من صلاحك أن تُعطى غفران الخطايا لآخرين، أكون أنا غير ممتحن. **نعم يارب لا تردّنى ذليلاً مخزياً، بل ارسل علىّ نعمة روحك القدوس، واجعلنى مستحقاً**

أن اقف على مذبحك المقدس بغير وقوع فى دينونة. واقرّب لك الذبيحة الناطقة غير الدموية بسريرة نقية. صفحاً لخطاياى وسيئاتى وغفراناً لجهالات شعبك. ونياحاً وراحة لآبائنا واخوتنا الذين سبقوا فرقدوا فى الإيمان الأرثوذكسى، وبنياناً لشعبك اجمع. ومجداً لابنك الوحيد والروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل آوان وإلى دهر الداهرين آمين».

نلاحظ فى هذه الصلاة أنها مملوءة انسحاقاً وخشوعاً فالكاهن يكشف ذاته أمام الله كغير مستحق... وهو يطلب من الله ألا يرزله بل يمحو جميع سيئاته، ويغسل عيبه الجسدى ودنسه النفسى... وهو يطلب من الله ألا يرده ذليلاً مخزياً... وهو يُقَرِّبِ هذه الذبيحة الناطقة عن خطاياه وجهالات شعبه، نياحاً للراقدين وبنياناً لكل الشعب.

صلاة الصلح:

يقول الكاهن موجهاً الصلاة لابن الله الأقنوم الثانى...» أيها الكائن الذى كان الدائم إلى الأبد، والذاتى والمساوى والجليس والخالق الشريك مع الآب. الذى من أجل الصلاح وحده، كوّنت الإنسان وجعلته فى فردوس النعيم». وعندما سقط بغواية العدو ومخالفة وصيتك المقدسة، واردت أن تجدده، وترده إلى رتبته الأولى. لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبياً ائتمنته على خلاصنا. بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست، واشبهتنا فى كل شىء ما خلا الخطية وحدها(١). وصرت لنا وسيطاً لدى الآب(٢). والحاجز المتوسط نقضته والعداوة القديمة هدمتها(٣). واصلحت الأرضيين مع السمائيين(٤)، وجعلت الأثنين واحداً. واكملت التدبير بالجسد. وعند صعودك إلى السموات جسدياً، إذ ملأت الكل بلاهوتك، قلت لتلاميذك ورسلك القديسين سلامى اعطيكم، سلامى أنا اترك لكم. هذا أيضاً الآن انعم به لنا يا سيدنا. وطّهرنا من كل دنس، ومن كل غش، ومن كل رياء، ومن كل شر، ومن كل مكيدة، ومن تذكار الشر المُلبس الموت»...».

(١) عبرانيين ٤ : ١٥.

(٢) ١تى ٢ : ٥، ٦ «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع».

(٣) «لأنه هو سلامنا الذى جعل الأثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة» (أف ٢ : ١٤، ١٥).

(٤) «وإن يصالح به (المسيح) الكل لنفسه عا ملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات» (كولوسى ١ : ٢٠).

ماذا يعنى القديس غريغوريوس فى القطعة السابقة بقوله «الذاتى والمساوى والجليس والخالق الشريك مع الآب» ... الله ليس له شريك. ولكن المسيح هو الشريك ⲛⲓϣⲫⲏⲣ الذاتى. أى الذى له ذات صفات الآب. فالإبن مساوٍ للآب فى الجوهر، أى من ذات جوهر الآب، أو واحد مع الآب فى الجوهر، وليس مجرد أداة كما قال آريوس «لأنه مهما عمل الآب فهذا يعمله الإبن كذلك» (يو ٥ : ١٩، ٢١).

يكمل الكاهن صلاة الصلح :

« واجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا **أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة طاهرة.** لنتناول بغير انطراح فى الحكم من موهبتك غير المائتة السمائية، بنعمتك ومسرة أبيك الصالح وفعل روحك القدوس. لأنك أنت الرازق ومعطى جميع الخيرات. وأنت الذى نرسل لك إلى فوق المجد والاكرام والسجود مع أبيك الصالح والروح القدس ... إلخ »

فى العظة السابقة تكلمنا عن مفهوم صلاة الصلح ... أنه صلح مع الله أى توبة، وصلح مع بعضنا البعض على نحو ما علّم ربنا يسوع (مت ٥ : ٢٣، ٢٤). وبهذه الصلاة أيضاً نذكّر الله بالصلح الذى عمله معنا لأنه كان صلحاً عجيباً من طرف واحد هو الله.

وتكلمنا فى المرة الماضية ـ فى القداس الباسيلى ـ عن قبلة السلامة المقدسة، التى تظهر اتحادنا ومحبتنا بعضنا لبعض. لأنه لا يليق بالذين يؤلّفون جسداً واحداً فى الكنيسة أن يُبغض واحد منهم أخاً من أخوته فى الإيمان. إن القبلة التى عن محبة، هى علامة الوحدة بين أعضاء جسد المسيح. وقد استخدمت فى الكنيسة منذ عصر الرسل.

يقول الشماس : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة. يارب ارحم. يارب ارحم. يارب ارحم. نعم يارب الذى هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا. فلنقف جيداً. لنقف باتصال. نقف بسلام نقف بخوف الله ورعدة وخشوع. تقدموا على الرسم. قفوا. وإلى الشرق انظروا. نُنصت ⲡ̀ⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ

الترجمة العربية «تقدموا على الرسم» هى ترجمة غير سليمة وغير دقيقة للكلمة

اليونانية Προσφεριν والترجمة الحرفية للكلمة هى « قدموا » ، أى قدّموا حسب الرسم أو حسب الأصول أو حسب العادة . والمقصود « قدموا لله حسب الأصول »- ماذا نُقدّم ؟ ليست التقدمات المادية فقط . إنما الإجابة تظهر فى مرد الشعب « رحمة السلام ذبيحة التسبيح » . أى نقدم حياتنا كما قدمها المسيح ذبيحة حب ... » فلنقدم به فى كل حين لله ذبيحة التسبيح أى ثمر شفاه معترفة باسمه » (عب ١٣ : ١٥) ... « قولوا له ارفع كل اثم واقبل حسناً ، فنقدم عجول شفاهنا » (هوشع ١٤ : ٢) . أى ذبيحة التسبيح ... يقول ميخا النبى « بما اتقدم إلى الرب وانحنى للإله العلىّ . هل اتقدم بمحرقات عجول ابناء سنة . هل يسر الرب بألوف الكباش ، بر بوات انهار زيت . هل أُعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى . قد اخبرك أيها الإنسان ما هو صالح . وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعاً مع إلهك » (ميخا ٦ : ٦- ٨) .

يقول الشعب : رحمة السلام ذبيحة التسبيح :

يقول الكاهن : « محبة الله الآب ، ونعمة الابن الوحيد الجنس ، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، وشركة وموهبة الروح القدس ، تكون مع جميعكم » (٢كو١٣ : ١٤) .

+ . ارفعوا قلوبكم ... هى عند الرب .

+ فلنشكر الرب ... مستحق ومستوجب .

+ « متسحق ومستوجب . مستحق ومستوجب . مستحق ومستوجب . مستحق بالحقيقة وعادل . أن نسبّحك ونباركك ونخدمك ونسجد لك ونمجدك . أيها الواحد وحده الحقيقى ، الله محب البشر . الذى لا ينطق به . غير المرئى غير المحوى . غير المبتدى الأ بدى ، غير الزمنى الذى لا يُحدّ . غير المفحوص . غير المستحيل (المتغيّر) . خالق الكل مخلّص الجميع . غافر خطايانا ، منقذ حياتنا من الفساد . مكللنا بالمراحم والرأفات (مزمور١٠٣ : ٤) . أنت الذى تسبحك الملائكة وتسجد لك رؤساء الملائكة . أنت الذى تباركك الرؤساء وتصرخ نحوك الأ رباب . أنت الذى تنطق السلاطين بمجدك . أنت الذى ترسل لك العروش الكرامة . ألوف ألوف وقوف قدامك ور بوات ر بوات يقدّمون لك الخدمة (دانيال٧ : ١٠ ؛ رؤ٥ : ١١ ، ١٢) . أنت الذى يباركك

غير المرئيين . وأنت الذى يسجد لك الظاهرون ، و يصنعون كلهم كلمتك يا سيدنا » .

يقول الشماس : أيها الجلوس قفوا

« أيها الكائن السيد الرب الإله الحق من الإله الحق ، **الذى اظهر لنا نور الآب . الذى انعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية . الذى اظهر لنا هذا السر العظيم الذى للحياة . الذى ثبت قيام مصاف غير المتجسدين فى البشر. الذى اعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم . اقبل منا نحن أيضاً أصواتنا مع غير المرئيين . احسبنا مع القوات السمائية .** ولنقل نحن أيضاً مع اولئك إذ قد طرحنا عنا كل افكار الخواطر الشريرة ، ونصرخ بما يرسله أولئك بأصوات لا تسكت ، وأفواه لا تفتر ، ونبارك عظمتك » .

هنا يتكلم القديس غريغوريوس عن المسيح ابن الله « الإله الحق من الإله الحق » . الذى اظهر لنا نور الآب . فالله نور وليس فيه ظلمة البتة (١يو١ : ٥) . والمسيح جاء نوراً إلى العالم (يو٨ : ١٢ ، ٤٦ ؛ ٩ : ٥) . والمسيح هو الذى اظهر لنا نور الآب ، لأن كل شيء قد دفع إليه من الآب « وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الأ بن . ومن أراد الابن أن يُعلن له » (مت ١١ : ٢٧ ؛ لو١٠ : ٢٢) . وهكذا المسيح هو نور العالم ، وهو الذى اظهر لنا نور الآب . والمسيح هو الذى انعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية ، والآب السماوى -من قبل المسيح- يعطى الروح القدس للذين يسألونه (لو١١ : ١٣) . ونحن من قبل المسيح قبلنا عطية الروح القدس (أع ٢ : ٢٨) ؛ (يو١٤ : ١٦) ؛ (يو٧ : ٣٩) .. **أما السر العظيم الذى للحياة فهو الافخارستيا .. بعد ذلك يدلل القديس غريغوريوس أننا نشارك فى الليتورجيا السمائية « اعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم » ، « اقبل منا اصواتنا مع غير المرئيين احسبنا مع القوات السمائية » ... « نصرخ بما يرسله اولئك » أى السمائيين ... « ثبت قيام مصاف غير المتجسدين فى البشر. الذى اعطى الذين على الأرض تسبيح السيرافيم » .**

يقول الشماس : إلى الشرق انظروا

« انت هو القيام حولك الشاروبيم والسيرافيم ستة أجنحة للواحد وستة أجنحة للآخر. فبجناحين يسترون وجوههم، وباثنين يسترون ارجلهم، ويطيرون باثنين. ويصرخون واحد قبالة واحد منهم يرسلون تسبحة. الغلبة والخلاص الذى لنا بصوت ممتلىء مجداً، يسبحون وينشدون ويصرخون ويصيحون قائلين :

يقول الشماس: نُنصت Ⲡ̀ⲣⲟⲥⲭⲱⲙⲉⲛ

يقول الشعب: قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس (أش ٦ : ٣)

نحن بهذا نشترك مع القوات السمائية فى التسبيح. والسيرافيم هم الذين يحيطون إلى الأبد بالعرش السمائى.

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « كأن الإنسان قد انتقل إلى السماء نفسها. إنه يقف بجوار عرش المجد. ويطير مع السيرافيم وينشد بأقدس تسبحة »... **كل ذلك يؤكد أن ليتورجية الأفخارستيا هى مشاركة فى الليتورجيا السمائية... « يرسلون تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا » إن سفر الرؤيا ملىء بصورة المفدين الذين غلبوا بدم الخروف** (رؤ١٢ : ١١)...

آجيوس Ⲁⲅⲓⲟⲥ ثلاثة :

يرشم الكاهن أولاً ذاته باللفافة التى على الكأس، ويرشم الرشم الثانى على الخدام عن يمين المذبح والثالث على الشعب. **ونكرر ما قلناه قبل ذلك أن الرشم بلفافة الكأس إنما هو اعلان أن التقديس قد صار أمام عرش النعمة بدم ربنا يسوع المسيح الذى قدّم ذاته عنا ذبيحة فائقة وهبت لنا المصالحة والتقديس مع الآب والروح القدس ومع القوات السمائية.**

يقول الكاهن... « قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس فى كل شىء. وبالأكثر مختار هو نور جوهريتك. وغير موصوفة هى قوة حكمتك. وليس شىء من النطق يستطيع أن يحدّ لجة محبتك للبشر - **(يبدأ الصلاة بصيغة المفرد)** - خلقتنى إنساناً كمحب للبشر، ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك ». **بعد ذلك يعدد الكاهن أعمال الله ومحبته وعنايته به كإنسان، منذ**

خلقته حتى سقوطه بالمعصية ... «غرس واحد نهيتنى أن آكل منه. هذا الذى قلت لى لا تأكل منه وحده. فأكلت بإرادتى، وتركت عنى ناموسك برأيى. وتكاسلت عن وصاياك. أنا اختطفت لى قضية الموت».

يقول الشعب: يارب ارحم.

ثم يتناول الكاهن معاملات الله معه وسعيه لخلاصه، حتى تم هذا الخلاص... **«أنت ياسيدى حولّت لى العقوبة خلاصاً كراعٍ صالحٍ سعيت فى طلب الضال. كأب حقيقى تعبت معى أنا الذى سقط. ربطتنى بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة. أنت الذى ارسلت لى الأنبياء من أجلى أنا المريض. اعطيتنى الناموس عوناً. أنت الذى خدمت لى الخلاص، لما خالفت ناموسك. كنور حقيقى اشرقت للضالين وغير العارفين».**

لنتأمل قوة التعبير والمعانى المستترة فى الألفاظ: «حولت لى العقوبة خلاصاً». إن هذه العبارة تذكرنا بكلمات المسيح له المجد «إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلّص (لوقا ٩ : ٥٦)، وكلمات رسوله بولس «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رومية ٥ : ٢٠) ... **«كراعٍ صالحٍ سعيت فى طلب الضال»** ... المسيح هو الراعى الصالح، الذى يبذل نفسه عن خرافه. لقد سعى فى طلب الضالين: سعى فى طلب لاوى العشار (متى)؛ وسعى فى طلب زكا، وسعى فى طلب السامرية. فى بيت زكا أعلن عن رسالته «ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلّص ما قد هلك» (لوقا ١٩ : ١٠)، وكلمة يطلب أى «يبحث عن»، هو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣ : ٩)... **وأنت ياسيدى يسوع المسيح فى كل هذا، تتعامل معى كأب حقيقى تعبت معى...** بروح الأبوة تتعامل معى لأننا لم نأخذ روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذنا روح التبنى الذى به نصرخ أيها الآب أبانا (روميه ٨ : ١٥) ... **أنت ارسلت لى الأنبياء من أجلى أنا المريض.** وما علاقة الأنبياء بالمريض؟ أنت يا سيدى تتعامل مع الخاطىء كأنه مريض يحتاج إلى علاجك الإلهى. لقد اتيت كطبيب للأرواح **«اعطيتنى الناموس عوناً»** ... كان شعبك قديماً مستعبداً للناموس. لم يكن الناموس عوناً إنما «بالناموس معرفة الخطية» (رو٣ : ٢٠)... **كان الإنسان مستعبداً للناموس وللوصية، أما**

أنت فاعلنت أن الإنسان لم يُجعل لأجل السبت، بل السبت لأجل الإنسان، (مرقس ٢ : ٢٧) ومعنى هذا الكلام أن الوصية جعلت واعطيت لخدمة الإنسان. أنت الذى خدمت لى الخلاص »... متى يارب خدمت لى الخلاص؟ هل حينما كنت مطيعاً وخاضعاً لك ومحباً؟ كلاّ. لكنك خدمت لى الخلاص لما خالفت فى ناموسك وشريعتك وكنت متعدياً عليك... أيها الحب الأعظم. اكشف عن عيوننا حتى نعرف عمق محبتك الفائقة المعرفة (أف ٣ : ١٩).

الشعب : يارب ارحم.

ثم يكمل الكاهن ويتناول موضوع التجسّد وما فيه من اتضاع «أنت الكائن فى كل زمان، اتيت إلينا على الأرض. اتيت إلى بطن العذراء. أيها الغير المحوى إذ أنت الإله، لم تُضمر اختطافاً أن تكون مساوياً لله. لكن وضعت ذاتك وأخذت شكل العبد، وباركت طبيعتى منك، وأكملت ناموسك عنى. اريتنى القيام من سقطتى. اعطيت اطلاقاً لمن قُبض عليهم فى الجحيم. ازلت لعنة الناموس. ابطلت الخطية بالجسد. اريتنى قوة سلطانك... احتملت ظلم الأشرار. بذلت ظهرك للسياط، وخديّك اهمتلهما للطم. لأجلى يا سيدى، لم ترد وجهك عن خزى البصاق».

وقوله «لم تضمر اختطافاً أن تكون مساوياً لله». أى أن مساواتك لله ليست اختطافاً. أى أنك لم تأخذ شيئاً ليس لك. أنت مساوٍ للآب فى الجوهر بل من ذات جوهر الآب. ومع مساواتك للآب وضعت ذاتكَ وأخذت شكل العبد: «المسيح يسوع الذى إذ كان فى صورة الله. لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب» (فى ٢ : ٥ - ٨)... «باركت طبيعتى فيك»، حينما اتحدت يا ابن الله بطبيعتنا الجسدية، باركتها فصرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١ : ٤). وكما جاء فى ثاوطوكية يوم الجمعة فى التسبحة «هو أخذ الذى لنا، واعطانا الذى له. نسبحه ونمجدّه، ونزيده علواً»... وماذا يقصد بقوله «ابطلت الخطية بالجسد». يقول القديس بولس«ذبيحة وقرباناً لم ترد. ولكن هيأت لى جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسَرّ فنحن مقدسون

بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » (عب ١٠ : ٥ ، ٦ ، ١٠) ... **« الذى حَمَل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة »** (١بط ٢ : ٢٤) ... **« بذلت ظهرك للسياط و وخديك اهملتهما للطم لأجلى يا سيدى لم ترد وجهك عن خزى البصاق » اتماماً لنبوءة اشعياء النبى التى يقول فيها « بذلت ظهرى للضاربين ، وخدّى للناتفين . وجهى لم استر عن العار والبصق »** (أشعياء ٥٠ : ٦) ... **اعطيت اطلاقاً لمن قُبض عليهم فى الجحيم » وهو ما عبّر عنه القداس الإلهى الباسيلى « نزل إلى الجحيم من قبل الصليب » ... « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة ، لكى يقربنا إلى الله ، مماتاً فى الجسد ولكن مُحيى فى الروح . الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن (الجحيم) »** (١بط ٣ : ١٨ ، ١٩) .

يرد الشعب : يارب ارحم .

يكمل الكاهن « أتيت إلى الذبحِ مثل حمل حتى إلى الصليب (١) . اظهرت عظم اهتمامك بى . قتلت خطيتى بقبرك (بموتك) ، اصعدت باكورتى إلى السماء . اظهرت لى اعلان مجيئك (٢) . هذا الذى تأتى فيه لتدين الأحياء والأموات وتعطى كل واحد كأعماله (٣) »

يرد الشعب : « كرحمتك يارب وليس كخطايانا » .

يضع الكاهن بخوراً فى الشوريا وهويقول :

« أقدم لك يا سيدى مشورات (دلائل ، علامات) حريتى (عتقى) ، وأكتب أعمالى (اسجل) تبعاً (طبقاً) لأقوالك . أنت الذى اعطيتنى هذه الخدمة المملوءة سراً . اعطيتنى اصعاد جسدكِ بخبز وخمر » .

---

(١) هكذا تنبأ أشعياء « كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه» (أش ٥٣ : ٧ ؛ أع ٨ : ٣٢) .. « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا » (١ كو ٥ : ٧) .. « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه ، لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك » (رؤ ٥ : ٩ ، ١٢) .

(٢) مت ٢٥ : ٣١-٤٦ ؛ يوحنا ١٦ : ٢٧ ؛ أع ١٠ : ٤٢ ؛ ١٧ : ٣١) .

(٣) متى ١٦ : ٢٧ ؛ ٢ كو ٥ : ١٠ .

الكلمة القبطية المترجمة مشوارت هى ⲤⲨⲘⲂⲞⲨⲖⲞⲚ وهى محّرفة من الكلمة الصحيحة ⲤⲨⲘⲂⲞⲖⲞⲚ التى تعنى رموز أو دلائل أو علامات .المعنى لا يستقيم مع الكلمة الأولى مشورات .فتكون الصيغة الصحيحة أقدم لك يا سيدى دلائل أو علامات عُتقى (حريتى).

«هذه الخدمة المملوءة سراً» !! الخدمة المملوءة سراً هى خدمة الكهنوت وسرّ الكهنوت ، الذى به يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ، وبه تتقدّس بقية اسرار الكنيسة ، وبه يربط ويحل على الأرض ويكون ذلك مربوطاً ومحلولاً فى السماء.

هناك نقطة أخرى «اقدم لك يا سيدى دلائل عتقى أو حريتى». دم خروف الفصح هو الذى حررّ الشعب قديماً من عبودية مصر والمصريين. وخروف الفصح رمز للمسيح الذبيح فوق المذبح. دم الفصح القديم حررّ الشعب من العبودية الجسدية ، أما دم المسيح فيحرر الإنسان من سلطان الخطية التى تستعبد الإنسان «الذى يفعل الخطية هو عبد للخطية. فإن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو٨: ٣٤ ، ٣٦)... ما هى العلامات والدلائل التى اقدمها للمسيح مقابل عتقى وتحريرى ؟! إن أول ما يجب علىّ أن أعمله أن احفظ وصاياك ، وهوما يعبّر عنه «اكتب اعمالى تبعاً لأقوالك»...

يبخر الكاهن الخديم يديه على المجمرة ثلاث مرات ويقول :

«لأنك فى الليلة التى اسلمت فيها ذاتك بإرادتك وسلطانك وحدك (هنا يرفع يديه من على المجمرة ويأخذ الحمل بيده اليمنى ليضعه على اليسرى وهو يقول) **أخذت خبزاً على يديك الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين».**

يبخر الكاهن يديه ثلاث مرات على المجمرة ، وهو يُعلن بهذا ظهور إبن الله بالجسد من والدة الإله التى ترمز إليها المجمرة. وأيضاً أن سيدنا يسوع المسيح قد ظهرت حياته النقية رائحة بخور سماوى. وكذلك فإن رائحة البخور الطيبة إنما ترمز إلى الذبيحة المقبولة «واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً ، واسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة

لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) .

يرفع الكاهن نظره إلى فوق و يقول :

ونظرت إلى فوق نحو السماء إلى الله أبيك وسيدّ كل أحد . وشكرت ، وباركته ، وقدسته » .

فى كل مرة يقول فيها وشكرت وباركته وقدسته ، يرشم بمثال الصليب على الخبز... ورشم الخبز بأصبعه ثلاثة رشومات علامة على قيام الثالوث القدوس بعمل ايجابى فى خلاصنا خلال ذبيحة ابن الله . وأما علامة الصليب فهو بمثابة ختمه بخاتم الملك .

ثم يكمل الكاهن ، وهو يقسّم القربانة الحمل إلى ثلث على اليمين وثلثين على اليسار من فوق إلى اسفل من غير فصل لأن المسيح نزل من فوق من السماء و يقول :

« وقسّمته واعطيته لتلاميذك المكرمين القديسين ورسلك الأطهار قائلاً : خذوا كلوا منه كلكم (هنا يُفرّق رأس القربانة من فوق بدون فصل و يكمّل . **« الذى يُقسم عنكم وعن كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكرى » ..**

يضع الكاهن يده على حافة الكأس ، و يمّر بأصبعه على حافتها و يقول :

« هذا أيضاً بعد أكلوا أخذت كأساً ومزجتها من ثمرة الكرمه والماء » .

و يرشم الكاهن الكأس ثلاثة رشوم بمثال الصليب و يقول : « وشكرت ، وباركتها ، وقدّستها » .

ثم يقول الكاهن : « وذقت واعطيتها أيضاً لتلاميذك المكّرمين القديسين ، ورسلك الأطهار قائلاً :

(يكمل وهو يحرّك الكأس بمثال الصليب) **« خذوا اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك عنكم وعن كثيرين ، يعطى لمغفرة الخطايا . اصنعوا هذا لذكرى » .**

اصنعوا هذا لذكرى :

الكلمة اليونانية ἀνάμνησιν الواردة فى (لوقا ٢٢ : ١٩) ومنها ἀνάμνησις (anamnesis) والمترجمة فى اللغة العربية ـ كما فى كل اللغات ـ إلى لفظ «ذكرى»، سواء فى الكتاب المقدس أو فى القداس، تعطى للأسف معنى مختلفاً تماماً عن الكلمة اليونانية الأصلية، مما تسبب فى بدء التشكك فى حقيقة أن الأفخارستيا هى جسد الرب ودمه الأقدسين، الأمر الذى لم يحدث قط فى اجيال المسيحية الأولى حينما كانت الكنيسة تعرف اليونانية جيداً كلغة عالمية. واستخدمها آباء الكنيسة القبطية باتقان وطلاقة، وكتبوا بها مؤلفاتهم. **إن كلمة anamnesis تعنى استعادة recalling، أى احضار الشيء بحيث يكون موجوداً وله كل آثاره. وهو لفظ يعبرّ عن أن الشيء الذى يوصف به هو نفس الشيء الذى يشير إليه. فأمر الرب يسوع لم يكن مجرد تذكّره عقلياً، بل هو anamnesis، أى اعادة لعمل الفداء الذى تم سابقاً.**
وأقرب مثل لذلك هو شريعة الفصح. كان اليهود يعيشون الفصح كل سنة، مع أن الفصح الأول عمل ليلة خروجهم من مصر، وعملية الخروج لم تتكرر وإنما حدثت مرة واحدة... «ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً anamnesis فى اجيالكم تعيّدونه» (خر١٢ : ١٤)... والمن الذى كان محفوظاً فى قسط المن داخل تابوت العهد، كان تذكاراً للمن الذى أكلوه فى البرية (خر١٦ : ١٣)، رغم انقطاع المن بعد دخولهم ارض الموعد (يشوع ٥ : ١٢؛ عب٩ : ٤)... هكذا فى العهد الجديد تم الخلاص بالصليب والقيامة، ولكننا نحيا هذا الخلاص من جديد، ونأخذه بكل نعمة فى الأفخارستيا، لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا (١كو٥ : ٧)، نتلاقى معه كلما أكلناه وشربنا دمه. ففى كلمة anamnesis وفى كل افخارستيا نحن هناك عند الجلجثة مصلوبون معه، وأمام القبر الفارغ نعيش قيامته. هذه هى الذبيحة التى مازلنا نقدّمها إلى اليوم. هذا هو ما نعنيه بذكرى anamnesis. إننا نصنع أنامنيسيس الذبيحة (القديس يوحنا ذهبى الفم).

يشير الكاهن بيديه إلى الخبز والخمر، ويقول :

«لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس، تبشّرون

بموتى، وتعترفون بقيامتى وتذكرونى إلى أن أجىء».

يقول الشعب: «بموتك يارب نبشّر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف. نسبحك، نباركك، نشكرك يارب ونتضرع إليك يا إلهنا».

يقول الكاهن:

«أيضاً يا سيدنا، فيما نحن نصنع ذكر نزولك على الأرض، وموتك المحيى، وقبرك ثلاثة أيام، وقيامتك من الأموات، وصعودك إلى السموات، وجلوسك عن يمين أبيك، وظهورك الثانى الآتى من السموات المخوف المملوء مجداً. نقرّب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال».

يقول الشماس: اسجدوا للحمل كلمة الله.

يسجد الشعب كله لله، ويخضع الكاهن برأسه باسطاً يديه ويقول سراً سرّ حلول الروح القدس:

انت يا سيدنا بصوتك وحدك، حوّل هذين الموضوعين. أنت الحالّ معنا، هيّىء لنا هذه الخدمة المملوءة سراً. اغرس فينا ذكر خدمتك المقدسة. ارسل علينا نعمة روحك القدوس. لكى تطّهر وتنقل هذه القرابين الموضوعة إلى جسد ودم خلاصنا».

يقول الشماس: ننُصت آمين.

يرشم الكاهن القربانة ثلاثة رشوم بمثال الصليب وهو يقول:

« وهذا الخبز تجعله جسداً مقدساً لك » يسجد الشعب و يقول: **أؤمن.**

يقول الكاهن سرّاً: ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه. يقول الشعب آمين.

يرشم الكاهن الكأس ثلاثة رشوم بمثال الصليب وهو يقول:

«وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً لعهدك الجديد».

يقول الشعب : أؤمن .

يقول الكاهن : ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه .

يقول الشعب : آمين كيرياليصون .

يقول الكاهن الطلبة ، وبعد كل مقطع يرد الشعب يارب ارحم :

« نعم نسألك أيها المسيح إلهنا ثبت أساس الكنيسة » ... حتى « حلّ تعاظم أهل البدع . ونحن كلنا احسبنا فى وحدانية التقوى » .

ثم يقول الكاهن الأواشى الصغار:

سلامة الكنيسة ؛ والآباء البطريرك والأساقفة ؛ الأحياء والذين رقدوا من الأكليروس ؛ والخدام والرهبان والعذارى والأرامل والأيتام والمتنسكين والعلمانيين وعن كل امتلاء بيعتك يا إله المؤمنين ؛ وعن الملوك والرؤساء ؛ والذين فى الحاشية والجند ؛ وعن مقدمى القرابين ؛ وعن المتوحدين والمسبيين ...
بعدها يقول الشماس « **اسجدوا للحمل كلمة الله** » .

ثم يقول الكاهن سراً : « اذكر يارب ضعفى أنا أيضاً واغفر لى جميع خطاياى . وحيث كثر الاثم فلتكثر هناك نعمتك . ومن أجل خطاياى خاصة ونجاسات قلبى ، لا تمنع شعبك نعمة روحك القدوس » .

يقول الكاهن : لأن شعبك وبيعتك يطلبون إليك ، وبك إلى الآب معك قائلين : ارحمنا يا الله مخلصنا (٣ مرات) .

ويجاوبه الشعب بنفس المرد (٣ مرات) .

ثم يقول الكاهن : انعم على شعبك بالقلب الواحد . اعطِ طمأنينة للعالم ، ومزاجاً حسناً للهواء . تفضل يارب (مياه النهر ، أو الزروع والعشب ونبات الحقل ، أو أهوية السماء) باركها ... ثم يكمّل : « اصعدها كمقدارها كنعمتك فرّح وجه الأرض ... إلخ .

ثم يقول الكاهن هذه الطلبة :

« شفاء للمرضى ، راحة للمعوزين ... حتى » الذين ههنا اجعلهم متشبهين بملائكتك . ونحن أيضاً المدعوين بنعمتك إلى خدمتك ، ونحن غير مستحقين اقبلنا إليك » .

ثم يكمل الكاهن الصلاة من أجل : أوشية الموضع ، ويختم الأواشى بالصلاة عن كل مدينة وكل اقليم والقرى والغلاء والوباء والزلازل والحروب وقيام الهراطقة ... يجاوبه الشعب : يارب ارحم .

يقول الكاهن : مجمع القديسين والترحيم ... ويجاوب الشعب : المجد لك يارب . يارب ارحم . يارب ارحم . يارب باركنا . يارب نيحهم آمين .

يقول الكاهن : Ⲁⲣⲓⲫ̀ⲙⲉⲩⲓ̀ Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲛ̀ⲛⲓⲕⲉⲭⲱⲟⲩⲛⲓ

ومعناها **« اذكر يارب الآخرين الذين ذكرناهم ، المؤمنين وأيضاً الذين لم نذكرهم الأرثوذكسين . اذكرنا نحن وهم يالله لأنك صالح ومحب البشر » .**

يرد الشعب Ⲃⲟⲗ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲭⲱ ⲉ̀ⲃⲟⲗ وترجمتها : **« حل واغفر واصفح لنا يا الله عن زلاتنا التى صنعناها بإرادتنا ، والتي صنعناها بغير إرادتنا ، التى فعلناها بمعرفة ، والتى فعلناها بغير معرفة . يارب أغفرها لنا » .**

يقول الكاهن :

Ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲅⲁⲣ وترجمتها **« لأنك أنت هو الله الرحيم الذى لا يشاء موت الخاطىء مثلما يرجع ويحيا . ردنا يا الله إلى خلاصك ، واصنع معنا كصلاحك . يا من يصنع أكثر مما نسأل أو نفهم » .**

يقول الكاهن :

« كى وبهذا كما أيضاً فى كل شىء يتمجدّ ويتبارك ويرتفع إسمك العظيم القدوس ، فى كل شىء كريم ومبارك مع أبيك الصالح والروح القدس . سلام لجميعكم » .

يقول الكاهن :

يا سيدنا ومخلصنا محب البشر الصالح محُيى أنفسنا . يا الله الذى اسلم ذاته عنا خلاصاً لأجل خطايانا . الذى بكثرة رحمته حلّ عداوة البشر. أيها الإله الوحيد الجنس الذى فى حضن أبيه يارب بارك ». يرد الشعب : آمين .

يأخذ الكاهن الجسد الطاهر، ويضعه على يده اليسرى، ويضع اصبعه على الأسباديقون، ثم يغمس طرف اصبعه فى الدم الكريم، ويرفعه بحرص، ويرشم به على الدم مثال الصليب، وهو يقول :

« يا من بارك فى ذلك الزمان الآن أيضاً بارك »

يجاوب الشعب باللحن « آمين » .

يرشم الكاهن وجه الجسد وأسفله بالدم بمثال الصليب ويقول : « يا من قدّس فى ذلك الزمان الآن أيضاً قدّس » .

يجاوب الشعب باللحن : آمين .

يقسّم الكاهن الجسد ثلث وثلثين ويقول « يا من قسّم فى ذلك الزمان الآن أيضاً قسّم »

يجاوب الشعب آمين .

يقول الكاهن : « يا من اعطى تلاميذه القديسين ورسله الأطهار فى ذلك الزمان الآن أيضاً يا سيدنا اعطنا وكل شعبك يا ضابط الكل الرب إلهنا » .

ملاحظة هامة :

نلاحظ فى هذه الصلوات أن السيد المسيح هو الذى يبارك ويُقدس ويُقسّم ويعطى ... المسيح وليس آخر سواه . إننا كما نؤمن هو الذبيحة والكاهن .

يصلى الكاهن صلاة القسمة ويُقسّم الجسد وفى نهايتها يصلى الجميع « أبانا الذى فى السموات ... » .

وأعود واكرر ماسبق أن قلته فى العظة الماضية أثناء الكلام عن طقوس القداس الباسيلى .

فالآباء القديسون الكبار أمثال كيرلس الأورشليمى ويوحنا ذهبى الفم وامبروسيوس واوغسطينوس يشيرون إلى أهمية الصلاة الربانية فى نهاية تقدمة الأفخارستيا . وفى ذلك يقول القديس اغسطينوس «نحن نصلى بها (أبانا الذى ...) قبل تناولنا جسد المسيح ودمه بسبب ضعفنا البشرى ، كأن يكون هناك فكر ردىء أو ذلة لسان أو نظرة دسنة أو سماع قصة غير لائقة . فإن كنتم خلال تجارب العالم ، وبسبب الضعف البشرى تتعرضون لمثل هذه الخطية ؛ فإنه بالصلاة الربية تنزع عنكم بقولكم ؛ واغفر لنا ما علينا . عندئذ نقدر أن نقترب من المذبح بأمان ، عالمين أننا لا نأكل أو نشرب دينونة لأنفسنا » .

ثم يقول الكاهن التحاليل . **ويكمل كما فى القداس الباسيلى :**

« القدسات للقديسين ... » و « جسد مقدس ودم كريم حقيقى ... » و« مقدس وكريم ..» و « جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين » .

ثم يقول الكاهن الاعتراف الأخير موجهاً كلماته للإبن :

«آمين آمين آمين . أؤمن أؤمن أؤمن ، واعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى ، الذى اخذته أيها المسيح إلهى ، من سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ، وجعلته واحداً مع لاهوتك بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. واعترفت الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى . واسلمته عنا على خشبة الصليب المقدسة بارادتك وحدك عنا كلنا . أؤمن أن لاهوتك لم يفارق ناسوتك لحظة واحدة ولا طرفة عين . يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لمن يتناول منه . أؤمن أن هذا هو بالحقيقة آمين » .

ثم يكمل برد الشماس . ومرد الشمامسة بالمزمور ١٥٠ . ثم يكمل القداس و يصرف الشعب .

«القداس الكيرلسي»

هو قداس القديس مارمرقس الرسول أحد السبعين رسولاً كاروز ديارنا المصرية، وصاحب الانجيل الثانى الذى يحمل إسمه... هذا القداس أقدم من القداسين الباسيلى والغريغورى «وهو يخاطب فى صلواته أقنوم الآب مثل القداس الباسيلى. وضع أصلاً باليونانية، ثم ترجم للقبطية. وهو من أقدم القداسات التى وضعت فى الكنيسة، ويمتاز بغزارة المعنى وعمقه، وروحه القبطية.

من جهة تسلسل صلواته، فإنه يختلف عن قداس باسيليوس وغريغوريوس، إذ يضع صلوات التقديس بعد الأواشى كلها.

أما سبب تسميته بالقداس الكيرلسى، فلأن البابا كيرلس عمود الدين البابا الأسكندرى الرابع والعشرين أضاف إلى قداس مارمرقس بعض الصلوات ودوّنه فنُسب إليه.

وطقس كنيستنا أن يصلى بهذا القداس طوال الصوم الكبير المقدس.
وللأسف فإنه نظراً لطول صلوات هذا القداس، فقد قل استخدامه فى كنيستنا، وترتب على ذلك أن ضاعت ألحانه.

وفى هذا القداس تسير الصلوات كما فى القداسين الباسيلى والغريغورى. ويبدأ الاختلاف إبتداءً من صلاة الصلح. ونقدم نماذج قليلة من صلواته...

صلاة الصلح:

يقول الكاهن:

«يارئيس وملك الدهور. اللهم يا من تجثو له كل ركبة ما فى السموات وما على الأرض وما تحت الأرض (١). الذى الكل مذلول وخاضع بعتق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه. الذى تمجده الأجناد الملائكية، والطغمات السمائية.. والطبائع العقلية. بصوت لا يسكت ناطق بألوهيته. وإذ سررت بنا نحن أيضاً الضعفاء الأرضين أن

(١) «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (فى ٢: ١٠).

نحدمك، لا من أجل نقاوة ايدينا، لأننا لم نفعل الصلاح على الأرض. بل مريداً أن تعطينا نحن البائسين غير المستحقين من طهرك.

اقبلنا إليك أيها الصالح محب البشر، إذ ندنو من مذبحك المقدس ككثرة رحمتك. واجعلنا أهلاً للسلام السمائى اللائق بلاهوتك، والمملوء خلاصاً، لنعطيه بعضنا لبعض بمحبة كاملة، ونقبّل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة».

يقول الشماس: صلّوا من أجل السلامة الكاملة والمحبة والقبلات الطاهرة الرسولية.

يرد الشعب: يارب ارحم.

يقول الكاهن:

«لا بحاسة مرزولة رافضة لمخافتك. ولا بفكر غاش مملوء من شر الدافع (يقصد يهوذا الاسخريوطى). غير متفقة نياتنا فى الخبث، بل برغبة أنفسنا وتهليل قلوبنا. إذ لنا العلامة العظيمة الكاملة التى لمحبة إبنك الوحيد (٢). ولا تطرحنا نحن عبيدك من أجل دنس خطايانا لأنك أنت العارف كخالق جبلتنا أنه ليس مولود إمرأة يتزكى أمامك. فاجعلنا إذاً أهلاً يا سيدنا بقلب طاهر، ونفس مملوءة من نعمتك. أن نقف أمامك، ونقدم لك هذه الصعيدة المقدسة الناطقة الروحانية غير الدموية. صفحاً لزلاتنا وغفراناً لجهالات شعبك، لأنك إله رؤوف متحنن. وأنت الذى نُرسل لك إلى فوق، ...»

يرد الشماس: قبّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة. تقّدموا على الرسم. قفوا برعدة وإلى الشرق انظروا نُنصت.

يقول الشعب: رحمة السلام ذبيحة التسبيح.

يقول الكاهن: الرب مع جميعكم ... ارفعوا قلوبكم ... فلنشكر الرب.

---

(٢) يقصد الصليب. فبه اظهر الله محبته لنا « وهكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد » (يو٣ : ١٦).

يقول الكاهن :

« مستحق وعادل . مستحق وعادل . مستحق وعادل ، لأنه بالحقيقة مستحق وعادل . ومقدس ولائق ونافع لنفوسنا واجسادنا وارواحنا . أيها الكائن السيد الرب الله الآب ضابط الكل فى كل زمان وبكل مكان لربوبيتك . أن نسبّحك ونرتل لك ونباركك ونخدمك ونسجد لك ونشكرك ونمجدك . ونعترف لك ليلاً ونهاراً ، بشفاه غير هادئة وقلب لا يسكت ، وتمجيدات لا تنقطع . أنت الذى خلق السموات ، وما فى السموات ، والأرض وكل ما فيها . البحار والأنهار والينابيع والبحيرات وما فى جميعها . أنت هو الذى خلق الإنسان كصورتك وكشبهك . وخلقت كل الأشياء بحكمتك (١) . نورك الحقيقى . ابنك الوحيد الجنس ، ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح هذا الذى من قبله نشكر ونقرّب لك معه مع الروح القدس الثالوث القدوس المساوى غير المفترق ، هذه الذبيحة الناطقة ، وهذه الخدمة غير الدموية .

يضع الكاهن بخوراً فى المجمرة و يبخّر بالمجمرة فوق القرابين بمثال الصليب و يكملّ ...

هذه التى تقرّبها لك جميع الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها ، ومن الشمال إلى اليمين (هنا يرفع بخوراً فوق القرابين) ، **لأن إسمك عظيم يارب فى جميع الأمم . وفى كل مكان يُقدّم بخور لاسمك القدوس وصعيدة طاهرة . وعلى هذه الذبيحة وهذا القربان .**

يصلى الكاهن الأواشى الآتية :

أوشية السلامة الكبيرة ؛ والمرضى ؛ والمسافرين ؛ والمياة أو الزروع أو أهوية السماء حسب الوقت وتكملتها : اصعدها كمقدارها ، وأوشية الملك (رئيس البلاد) ... ثم مجمع القديسين .

---

(١) المقصود هنا أقنوم الحكمة فى الذات الإلهية وهو الإبن « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو٢ : ٣) . وهو الذى عمل العالمين (عب ١ : ٢) « بالإيمان نفهم أن العالمين اتقنت بكلمة الله » (عب ١١ : ٣) - انظر (أف ٢ : ١٠ ؛ كو١ : ١٦) .

بعد مجمع القديسين يقول الكاهن : « إننا يا سيدنا لسنا أهلاً أن نتشفع فى طوباوية أولئك. بل هم قيام أمام منبر إبنك الوحيد، ليكونوا هم عوضاً عنا، يتشفّعون فى مسكنتنا وضعفنا. كن غافراً لآثامنا لأجل طلباتهم المقدسة، ولأجل إسمك المبارك الذى دُعى علينا.

يقول الكاهن بعد الترحيم :

« وهؤلاء وكل أحد يارب الذين ذكرنا اسماءهم، والذين لم نذكرهم. الذين فى فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فينا. الذين رقدوا وتنيحوا فى إيمان المسيح. تفضل نيح نفوسهم جميعاً فى حضن آبائنا القديسين...

ثم يكمل أوشية الراقدين...

يضع الكاهن بخوراً فى المجمرة، ويبخر فوق الصينية والكأس، ويصلى أوشية القرابين.

ثم يصلى أوشية الآباء الكبيرة، وعن الآباء الأساقفة بكل موضع، ثم يكمّل :

« والقسوس والشمامسة والايبودياكونيين والاغنسطسيين والمرتلين والقرّاء والرهبان والعذارى والأرامل والأيتام، والنساك والعلمانيين، والمتحدين بالزيجة ومربى الأولاد، **الذين قالوا لنا اذكرونا، والذين لم يقولوا. الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم. اعداءنا واحباءنا، اللهم ارحمهم».**

ثم يصلى الكاهن عدة أواشى مختلفة، وأوشية خاصة للذين أوصونا أن نذكرهم. ثم أوشية خاصة للكهنوت المقدس وكل رتبه...

يقول الشماس: أيها الجلوس قفوا. **ثم طلبة كالقداس الغريغورى:** حل المربوطين خلّص الذين فى الشدائد.

ثم: إلى الشرق انظروا... يرد الشعب بعد صلاة الكاهن هذه: « قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس.

هنا يغسل الكاهن يديه ويرشم ذاته والخدام عن يمينه والشعب بمثال الصليب باللفافة التى على الكأس وهو يقول : آجيوس ثم يبدأ فى التقديس (تقديس الأسرار) ... ثم يقدم صلاة سرّية : ويقول صلاة استدعاء الروح القدس ويقول : وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له ؛ وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له . ثم يصلى طلبة أخرى كما فى القداس الغريغورى .

ثم يصلى : لكى وبهذا كما أيضاً ؛ وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل .

يأخذ الكاهن الجسد على يديه ويقول :

« الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا ...

ثم يصلى صلاة القسمة ، وفى نهايتها صلاة « أبانا الذى ... »

ثم يصلى التحاليل سرّاً ...

ويكمّل كما فى القداس الباسيلى ...



بعض صلوات المناسبات وطقوسها

- سبت لعازر .
- أحد الشعانين .
- طقس الكنيسة فى أسبوع الآلام .
- ليلة سبت الفرح .
- الخماسين المقدسة .
- طقس اللقان .
- عيد العنصرة وصلاة السَجْدة

خصصّت كنيستنا القبطية العملاقة، صلوات وطقوساً فى بعض مناسبات معينة، تبرز بها المعانى الروحية التى تنطوى عليها تلك المناسبات ... بعض هذه الصلوات تتم فى داخل الكنيسة، والبعض الآخر يتم فى البيوت ـ بيوت المؤمنين من أعضائها ... لكننا نقصر كلامنا على بعض المناسبات التى رتّبت الكنيسة أن يحتفل بها فيها. لأنه بطبيعة الحال لا يتسع الوقت للإلمام بكل طقوس المناسبات داخل الكنيسة وخارجها ...

اسبوع الآلام:

ولعل هذا الأسبوع يستمد أهميته القصوى واعزاز المؤمنين وتقديرهم من أن أحداثه كلها تدور حول موضوع واحد، هو «**آلام المسيح وموته المحيى**». أو بعبارة أخرى «محبة الله التى تجلّت فى آلام مخلصنا وموته وقيامته المجيدة» ... «الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو٥ : ٨) ... **إن آلام السيد المسيح هو موضوع الحياة كلها بالنسبة للمسيحى المؤمن. بل و يتعدّى تأثيره الحياة الحاضرة إلى الحياة الأبدية أيضاً.**

لعل هذا يتضح من قول بولس الرسول «نحن نكرز بالمسيح مصلوباً» (١كو١ : ٢٣) ... ما هذا يا بولس، أيها العالم والفيلسوف العملاق؟ ... هل تكرز بالمسيح مصلوباً، أى تكرز بالضعف وتبشّر به؟ ... إن صلب المسيح فى ظاهره هو صورة من صور الضعف ... ليتك تكرز بقوة المسيح، وقد اظهر قوته وقدرته على جميع أنواع الكائنات، فى عالم الإنسان والحيوان والجمادات ... قوته وقدرته ظاهران فى معجزات الشفاء التى لا حصر لها ... وقد أظهر سلطانه على الموت ـ عدو البشرية الأكبر ـ حينما أقام الموتى، حتى بعد أن تحللت اجسام بعضهم وانتنت، على نحو ما حدث فى معجزة إقامة لعازر بعد موته بأربعة أيام، حينما أقامه بكلمة !!

«**نحن نكرز بالمسيح مصلوباً**» ... هذه كلمات وجهها الرسول بولس إلى المؤمنين فى كنيسة كورنثوس، وهى إحدى المدن الكبرى ببلاد اليونان مهد الفلسفة فى العالم ... إن العقول عامة ـ وخاصة فى كورنثوس ـ لا تقبل ما تقوله يا بولس ... **لكن بولس مصّر على ذلك، ويعود ويؤكده فى نفس رسالته إلى كورنثوس ... يقول «لأنى لم**

اعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١كو٢ : ٢) ... هل نسيت يا معلمنا بولس موقف الفلاسفة الرواقيين والابيقوريين فى مدينة أثينا عاصمة بلاد اليونان منك، حينما وقفت تبشرهم بالإله الحقيقى، فقالوا باستهزاء «ماذا يريد هذا المهذار أن يقول ؟!» (أع١٧ : ١٨).

ماذا تقول ؟ هل كان من الأجدى والأفضل اظهار أنك تبعته إنساناً قوياً، وآمنت بإنسان جبّار تكرز به ؟ **لكن القديس بولس -وفى ذات الموضع ونفس الرسالة إلى أهل كورنثوس - يوضح لماذا يكرز بالمسيح مصلوباً، فيقول «لأن اليهود يسألون آية واليونانيون يطلبون حكمة. ولكننا نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة. وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس»** (١كو٢٢ : ٢٥) ... مشكلة الناس أنهم يرون فى الوداعة والاتضاع والتسامح لوناً من الضعف ... لكن أمثال هؤلاء لم يفهموا المسيح ولا فهموا تعاليمه. فحاشا لله أن يوصف بالجهل وبالضعف، وإن كان كلام الرسول بولس عما يبدو فى نظر الناس جهالة وضعفاً «جهالة الله أحكم من الناس. وضعف الله أقوى من الناس» ... **إن القديس بولس يرى فى هذا الضعف الظاهرى قوة ومجداً، فيكتب فى رسالته إلى العبرانيين «يسوع نراه مكلّلاً بالمجد والكرامة. من أجل ألم الموت، لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد»** (عب٢ : ٩) ...

ما أروع وأعمق حكمة الكنيسة فى الصلوات التى رتبّتها لفائدة ابنائها فى هذه المناسبة ؟!

عرض تاريخى :

يسمى هذا الأسبوع اسبوع الآلام، لأن الرب أكمل فيه عمل الفداء بالآلام ... «لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكلّ. وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام» (عب٢ : ١٠) ... **ويسمى أيضاً اسبوع البصخة، وهى تعنى باللغة القبطية الفصح، وبالعبرية العبور،** اشارة إلى عبور الملاك المهلك على بيوت الأسرائيلين ونجاة أبكارهم «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد

ذُبح لأجلنا» (١كو٥: ٧)... ويسمى الغربيون هذا الأسبوع «الأسبوع المقدس» Holy Week.

كانت الكنيسة قديماً تحتفل بهذا الأسبوع مرة كل ثلاث وثلاثين سنة حتى أيام البابا ديمتريوس الكرّام البطريرك الثانى عشر (١٨٨ - ٢٣٠م)، الذى قرر أن يحتفل به سنوياً تالياً للصوم الأربعينى المقدس... كانوا يقرأون فى هذا الأسبوع الكتاب المقدس بأكمله بعهديه القديم والجديد. وسارت الكنيسة على هذا النظام حتى سنة ١١٤٠م فى بطريركية البابا غبريال الثانى إبن تريك، الذى وضع ترتيباً آخر لقراءات هذا الأسبوع بعد دراسة قام بها مع علماء الكنيسة القبطية، وذلك نظراً لأنهم ادركوا صعوبه قراءة الكتاب المقدس كله على الشعب فى خلال الأسبوع.

كان الأسبوع كله مكّرساً للعبادة. يتفرغ فيه الناس من أعمالهم، ويجتمعون فى الكنائس طوال الوقت للصلاة. وكان الملوك المسيحيون يعطّلون المصالح الحكومية خلال هذا الأسبوع ليتفرغ الناس للعبادة. وكانوا يُفرجون عن المسجونين ليشتركوا هم أيضاً فى العبادة، واحتفاءً بهذه الذكرى... وكان السادة يمنحون عبيدهم عطلة طوال الأسبوع، حتى يتفرغون للعبادة.

يبدأ اسبوع الآلام فى الواقع بعد قداس أحد الشعانين حتى يوم سبت الفرح... لكن لا يمكن أن نتكلم عن هذا الأسبوع -اسبوع الآلام- ما لم نتحدث عن سبتِ لعازر. وإن كان يوم سبت لعازر خارجاً عن الصوم الأربعينى المقدس.، الذى ينتهى فى اليوم السابق (جمعة ختام الصوم). كما أن اسبوع البصخة كما ذكرنا يبدأ عقب قداس أحد الشعانين. ومع ذلك فهناك دلالات عجيبة تبرز بالتأمل فى أحداث هذا اليوم (سبت لعازر).

سبت لعازر:

يوم سبت لعازر هو تذكار إقامة لعازر من الموت... **وتوصف إقامة لعازر من الموت، ودخول الرب يسوع إلى أورشليم بأنهما «مقدمة الصليب»**... ولقد أكّد المسيح بإقامته لعازر حقيقة القيامة العامة. وإنه هو «القيامة والحياة»، وأن من آمن به ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن فلن يموت إلى الأبد (يو١١: ٢٥،

٢٦)... وإذا كان اسبوع الآلام يتّسم بالحزن الشديد ، وينتهى بإشراقه النور والفرح بقيامة الرب ، فإن حادثتى إقامة لعازر والدخول إلى أورشليم ، فى بداية هذا الأسبوع . تتسّمان أيضاً بالفرح ، وتلقيان ضوءً ينير لنا المعانى المذخّرة فيه .

إن صلوات قداس سبت لعازر بحسب المناسبة ـوهى إقامة لعازر من الموت ـ إنما تظهر لنا نصرة المسيح المُقبلة على قوات الهاوية (الجحيم).. إن كلمة الهاوية أو الجحيم هى التعبير الكتابى عن الموت فى قوته الذى يشمل الجميع . وتلك الظلمة التى لا مفّر منها ، والدمار الذى يبتلع الحياة ، ويُخيّم بظلاله على كل العالم ... لكن الآن بدأ الموت يهتز بقيامة لعازر ، حيث بدأ النزال بين الحياة والموت ، وتعطينا مفتاح كل أسرار البصخة ... **كان يوم سبت لعازر فى الكنيسة الأولى يُدعى «إعلان البصخة». إنه بالحقيقة يُعلن ويسبق السبت الذى يليه ، وهو سبت الفرح بنوره وسلامة ... يوم القبر معطى الحياة !!!**

لعازر:

كان لعازر صديق الرب يسوع الذى يحبه (يو ١١ : ٣) ، يرمز للبشرية كلها ؛ بل إلى كل إنسان. كانت بيت عنيا (ومعناها بيت البؤس) ، بلدة لعازر الإنسان ، ترمز إلى العالم كله كبيت للبشر... كل إنسان خُلق صديقاً لله ، ودُعى لرفقته ومعرفته والشركة والحياة معه ... لكن هذا الصديق ـ الإنسان ـ الذى احبه الله وخلقه لمحبته ، ودعاه للحياة ، بَاد بقوة لم يصنعها الله ، هى الموت ... الله يلاقى فى العالم قوة تبيد عمله !! ولم يعد العالم سوى حزن ونحيب ودموع وموت !! كيف يمكن أن يكون هذا ؟! بل كيف حدث هذا ... هذه هى الأسئلة المتضمنة فى قصة مجىء الرب يسوع إلى قبر صديقه الذى يحّبه لعازر.

نقرأ فى قصة إقامة لعازر من الموت هذه العبارة القصيرة : «**بكى يسوع**» ... لماذا بكى إذا كان بالتأكيد يعلم أنه فى لحظة سيعيده ثانية إلى الحياة ؟! ... ويخطىء البعض حينما يعزون هذه الدموع إلى طبيعة السيد المسيح الإنسانية ، ومعجزة إقامة لعازر من الموت إلى قوة لاهوته ... لكننا فى كنيستنا الأرثوذكسية لا نقبل هذا التعليم ، لأننا نُعلّم أن كل الأفعال الصادرة عن الرب يسوع ، هى صادرة عن الإله المتأنس ... **لقد بكى يسوع وهو يرى كيف اتى الموت على خليقة الله ...**

« **لقد انتن** » ... بهذه الكلمات حاولت مرثا منع الرب يسوع من الاقتراب إلى جسد أخيها الميّت ... **إن هذا التحذير « لقد انتن » ، هو اشارة ضمنية إلى البشر جميعاً ، بل والحياة كلها** ... الله هو الحياة ومعطى الحياة . لقد دعا الله الإنسان إلى الحياة ، والآن « لقد انتن » ... **عند قبر لعازر واجه الرب يسوع الموت ... قابل عدّوه ، الذى أخذ منه العالم ، واخضعه لسلطانه ، وصار هو رئيس العالم** (يوحنا ١٢ : ٣١ ؛ ١٤ : ٣٠ ؛ ١٦ : ١١) ...

ونحن الذين نتبع الرب يسوع حينما نقترب من قبر لعازر ، ندخل معه فى « تلك الساعة » ، التى اشار إليها دائماً كذروة اتمام عمله كله (يو١٦ : ٣٢) ... إن الصليب وضرورته ومعناه الواسع معلن فى أصغر آية فى الإنجيل « بكى يسوع » ... إننانفهم الآن أنه لأنه بكى (= يحب صديقه لعازر) ، إنه أعادة ثانية إلى الحياة . إن القوة التى أقامت لعازر ليست سوى قوة المحبة ، أو المحبة كقوة ... الله محبة ، والمحبة حياة . والمحبة تنشىء الحياة ... المحبة هى التى بكت عند القبر ، والمحبة هى التى أعادت الحياة . هذا هو معنى الدموع المقدسة التى سكبها الرب يسوع .

لعازر هلّم خارجاً ... هذا هو السبب فى أن سبت لعازر هو بدء الصليب الذى هو قمة الحب ـ وفى نفس الوقت قيامة لعازر هى انتصار المحبة العظيم .

أحد الشعانين :

سبت لعازر هو اليوم السابق لأحد الشعانين وفيه دخل المسيح إلى أورشليم ... **كلا اليومين يدوران حول موضوع واحد هو النصرة ... يوم السبت يكشف حقيقة العدو الذى هو الموت ، وأحد الشعانين يكشف معنى النصرة ... نصرة مملكة الله بقبول العالم للملكه الوحيد يسوع المسيح .**

فى حياة الرب يسوع بالجسد ، نلاحظ أن دخوله المهيب إلى المدينة المقدسة أورشليم ، هو المرة الوحيدة التى يظهر فيها منتصراً . وحتى ذلك اليوم كان يرفض كل محاولات تمجيده ... لكن قبل الفصح بستة أيام ـ ليس فقط قَبلَ أن يتمجّد ، بل هو الذى دبرّ هذا التمجيد ... ولم يكن فى تدبيره أنه يريد تمجيداً ، لأنه هو القائل فى وقت سابق « مجداً من الناس لست أقبل » (يو٥ : ٤١) . لكنه فى ذلك كان يتمم نبوة

زكريا النبى قبل ذلك بنحو خمسمائة وخمسين سنة... «ابتهجى جداً يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتى إليك. هو عادلٌ ومنصورٌ. وديعٌ وراكبٌ على حمار، وعلى جحش إبن أتان» (زك ٩ : ٩)... **وهو بذلك أظهر أنه هو المسيّا ملك اسرائيل وفاديه.** وتؤكد قصة دخوله أورشليم فى ذلك اليوم أنه هو المسيّا... فقد كان الغرض من الشعب اليهودى ـ كشعب الله الأول ـ أن يهيّء الطريق أمام مملكة الله ومجيء المسيّا. والآن لقد تّم كل ذلك... إن الملك يدخل مدينته المقدسة، وقد تمت فيه وبه كل النبوءات... هذا عن الماضى.

أما الآن، وبالنسبة لنا، فإن احتفالنا بأحد الشعانين معناه اعترافنا بالمسيح كملكنا وربنا... ونحن ننسى دائماً أننا جميعاً احتفلنا يوم عمادنا بمملكة الله، حيث صرنا مواطنين فيها، وتعهدنا بأن يكون كل ولائنا لها... إننا بحملنا سعف النخل فى أيدينا، نجددّ عهدنا مع ملكنا، ونعترف بمملكته، وبأن كل شيء فى حياتنا فى العالم إنما هو للمسيح.

لكننا نعلم جيداً أن هذا هو الملك الذى نحتفى به، إنما هو فى طريقه إلى الجلجثة ـ إلى الصليب والقبر. ونعلم جيداً أيضاً أن انتصاره القصير ليس سوى مقدمة لذبيحة ذاته... إن سعف النخل الذى بأيدينا إنما يشير إلى استعدادنا ورغبتنا فى أن نتبعه فى طريق الجلجثة، وقبولنا البذل وانكار الذات.

كما أن الأغصان التى فى أيدينا تُعلن إيماننا بالنصر الهائى للمسيح. إن مملكته مازالت مخفية والعالم يتجاهلها، كما لو كان المسيح لم يمت على الصليب، وأن الإنسان فى شخصه المبارك لم يقم بعد من الأموات. لكننا كمسيحيين نؤمن فى ملكوت الله الآتى، حيث يكون الله هو الكل فى الكل، والمسيح هو الملك الوحيد..

قداس أحد الشعانين:

فى رفع بخور باكر تعمل دورة الشعانين حسب طقسها... وفى القداس الإلهى، وبعد أوشية الانجيل يُقرأ ما يخص دخول السيد المسيح إلى أورشليم فى الأربعة أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا... وينتهى القداس كالمعتاد، ويقال التوزيع (المزمور ١٥٠). ولا يرش ماء ولا يعطى تسريح للشعب، بل يُسْدل ستر الهيكل. **ويبدأ فى صلوات التجنيز العام...**

أما حكمة الكنيسة من هذا التجنيز العام الذى يحضره كل الشعب، فهو أنه لا يُرفع بخور فى اسبوع البصخة التالى لأحد الشعانين إلا فى يومى خميس العهد وسبت الفرح. فإذا حدث أن تُوفى إنسان فى خلال هذا الأسبوع، فإنهم يحضروه إلى الكنيسة، ولا تصلى عليه صلوات التجنيز المعتادة، بل تقرأ عليه الفصول الخاصة بالبصخة المقدسة دون رفع بخور.

أما السبب فى عدم إقامة جنازات خلال اسبوع البصخة، فهو أن الكنيسة خصصت هذا الأسبوع لتذكار آلام السيد المسيح وصلبه وموته. ولذلك فإن كل التركيز على آلام المسيح ... و يلزم أن يقف الإنسان بخشوع أمام الله فى وقت صلاة هذا التجنيز العام، و يعترف بخطاياه. إذ من يدرى ربما تكون هذه الصلاة لأجله ؟!

طقس التجنيز العام :

تبدأ صلاة الساعة السادسة يوم أحد الشعانين بقراءة نبوءة من (حزقيال ٣٧ : ١-١٤)، ثم فصل من رسائل بولس الرسول (١كو١٥: ١- ٢٢) الذى يتكلم عن الراقدين، باللحن الحزاينى. ثم تصلى أوشية الانجيل، ثم الانجيل من (يوحنا ٥ : ١٩- ٢٩). ومقدمته المزمور «طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن فى ديارك إلى الأبد. سنشبع من خيرات بيتك. قدوس هو هيكلك وعجيب بالبر هلليلويا». فى الانجيل يقول السيد المسيح «لأنه كما أن الآب يقيم الأموات و يُحيى، كذلك الابن أيضاً يُحيى من يشاء. لأن الآب لا يدين أحداً بل اعطى كل الدينونة للابن. لكى يُكْرِم الجميع الابن كما يُكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى ارسله. الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى و يؤمن بالذى ارسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة ...». ثم يصلى الكاهن الثلاثة أواشى الكبار (السلامة والآباء والاجتماعات. وقانون الإيمان، وأوشية الراقدين، وأبانا الذى فى السموات ... والتحاليل الثلاثة. ثم يرفع الكاهن الصليب و يقول بطريقة البصخة ϕϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ⲑⲉϣ ⲟⲩⲛⲁⲓ ⲉ̀ⲣⲟⲛ

ويجاوب الشعب كيرياليسون إثنى عشر دفعة. ثم يقول الكاهن البركة التى تقال فى اسبوع البصخة.

ملاحظة :

لا تقام قداسات أيام الأثنين والثلاثاء والاربعاء من اسبوع البصخة ، لأن خروف الفصح كان يظل تحت الحفظ من اليوم العاشر من شهر نيسان العبرى - وهو يوم ابتياع الخروف (و يوافق يوم أحد الشعانين) ، حتى اليوم الرابع عشر من نيسان حيث يذبح فى العشية . .

طقس الكنيسة فى هذا الاسبوع :

+ **تجلل الكنيسة بالسواد ، وأى إنسان يدخل الكنيسة يشعر أنها فى حالة حزن مشاركة للمسيح فى آلامه** ... والكنيسة فى هذا الأسبوع تركز كل مشاعرها فى آلام السيد المسيح . لذا تتوقف عن استخدام مزامير الأجبية فى صلوات العبادة ، وتستبدلها بتسبحة البصخة (**Ⲑⲱⲕ ⲧⲉ ϯϪⲟⲙ** لك القوة والمجد والبركة والعزّ إلى الأبد آمين....) . خمس ساعات ليلية هى الأولى والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشر من ليلة كذا ، وخمس ساعات نهارية هى باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشر.

+ **تقام صلوات البصخة خارج الخورس الأول ،** والسبب فى ذلك أن السيد المسيح تألم وصلب على جبل الاقرانيون خارج أبواب أورشليم . فبحسب شريعة العهد القديم كانت ذبيحة الخطية أى التى تحمل خطايا آخر أو آخرين تُحرق خارج المحلة . إنها تحمل خطايا ، فلا يصح أن تنجُس المحلة ... يقول بولس الرسول « فإن الحيوانات التى يدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة ، تحرق اجسامها خارج المحلة . **لذلك يسوع أيضاً لكى يقدّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب . فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره » (عب ١٣ : ١١ - ١٣) .**

هكذا تجلس الكنيسة طوال اسبوع الآلام خارج المحلة بعيداً عن المذبح والهيكل وعن الخورس الأول - خورس القديسين - متذكرين خطيتنا التى اخرجتنا خارج الفردوس .

لقد تألم المسيح خارج الباب - خارج أورشليم . لقد حسبوه خاطئاً فأخرجوه

خارج المحلة وصلبوه. الكنيسة فى هذا الأسبوع تخرج خارج المحلة. والمحلة هنا هى الهيكل. لذا تخرج الكنيسة إلى الخورس الثانى..

أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء من اسبوع البصخة :

الاثنين : خرج الرب يسوع من بيت عنيا قاصداً الهيكل. وفى الطريق لعن التينة المورقة غير المثمرة (مت ٢١؛ مر ١١). الرب يسوع يطهر الهيكل من الباعة والصيارفة (مر ١١: ١٥- ١٧)، وصرف بقية النهار كله يعلم فى الهيكل ويعمل المعجزات (مت ٢١: ١٥). ثم بات فى بيت عنيا... **لذا رتبت الكنيسة أن قراءة هذا اليوم الاثنين وليلة الثلاثاء تدور كلها حول هذين الحدثين (الورق بغير ثمر، وتدنيس الهيكل بالعبادة الشكلية).**

فى هذا اليوم تضع الكنيسة أمام المؤمنين مبدءً هاماً للحياة مع الله. هذا المبدأ هو الابتعاد عن الرياء والشكليات. فالمسيح قبل المرأة الزانية التى امسكت فى ذات فعل الزنا، لكنه لم يتسامح مع المرائيين من الفريسيين وحمل على ريائهم... لهذا ونحن فى بداية الأسبوع المقدس يجب أن نضع فى قلوبنا أن نمتنع عن الشكليات وزيف الحياة والعبادة المظهرية وأن نضع فى قلبنا أن تثمر نفوسنا بثمار الروح القدس.

الثلاثاء : خرج الرب يسوع صباحاً من بيت عنيا إلى أورشليم، وابصر شجرة التينة التى لعنها وقد جفت من جذورها. وردّ على اسئلة الفريسيين والصدوقيين الذين اتوا ليصطادوه بكلمة... **معظم حديث المسيح فى هذا اليوم كان عن مجيئه الثانى ويوم الدينونة العظيم، ووجوب السهر والاستعداد.** ويظهر هذا من الأمثلة التى قدمها : مثل الكرامين الأشرار (متى ٢١)، ومثل عرس إبن الملك (مت ٢٢)، وحديثه عن خراب الهيكل (متى ٢٤)، ومثل العشر عذارى (متى ٢٥)... ثم عاد إلى بيت عنيا. وفى مساء هذا اليوم تشاور رؤساء الكهنة على قتله (متى ٢٦: ١- ١٦)... **إن الكنيسة تركز فى قراءاتها على مجىء المسيح الثانى ووجوب الاستعداد له بالسهر.**

الأربعاء : صرف مخلصنا هذا اليوم فى بيت عنيا، بعد أن ترك الهيكل مساء الثلاثاء، وفى نيتة عدم العودة إليه البتة، بعد أن قال لليهود « هوذا بيتكم يترك لكم

خراباً . لأنى أقول لكم أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » (متى ٢٣ : ٣٨ ، ٣٩) ... وحوادث هذا اليوم عن سكب قارورة الطيب على رأس مخلصنا (متى ٢٦ : ٦ - ١٣؛ مرقس ١٤ : ٣ - ٩) ؛ وهى خلاف مريم أخت لعازر التى سكبت الطيب يوم السبت على قدميه ومسحتهما بشعر رأسها (يو١٢ : ١ - ٩) . أما الحادثة الثانية التى تشترك فيها الأناجيل الأربعة ، فهى خيانة يهوذا الأسخريوطى ، واتفاقه مع رؤساء الكهنة على تسليم الرب يسوع مقابل ثلاثين من الفضة .

الخميس : فى هذا اليوم يقدم لنا الرب يسوع اقصى درجات حبه ، إذ يقدّم لنا جسده المكسور ودمه المبذول وعرقه ودموعه وصلواته وسهره ، وغسله لأرجلنا . إن أحداث هذه الليلة هى مزيج من حب الله العميق جداً للإنسان ، مع حزنه الشديد حتى الموت من أجل خطايانا ... لقد وصل حب المسيح لنا فى هذه الليلة إلى أعلى درجاته ، فتحوّل إلى شهوة أن يكسر جسده و يطعم تلاميذه بما فيهم التلميذ الخائن !! ... **تأسيس سرّ الأفخارستيا ، وخيانة يهوذا يجمعهما معنى واحد هو المحبة** ... فإن كانت الأفخارستيا تكشف عن قمة اعلان الله عن حبه للإنسان من أجل خلاصه ، فإن خيانة يهوذا تكشف أن الخطية والموت واهلاك النفس ، ترجع إلى الحب الشرير المتحوّل عن مصدره . وهذا ما يكشفه لنا طقس يوم خميس العهد .

الإنسان بالخطية فقد حياة الشركة مع الله . لقد أحب نفسه والعالم لذاتهما ، وظّن أنه يستطيع أن يشبع جوعه و يروى عطشه من العالم !! وهكذا تحولت محبته من الله إلى العالم ، ومات الإنسان ... وكانت هذه هى النهاية المحتومة للحياة التى قطعت عن مصدرها الأصلى وهو الله . مات الإنسان ، بل إن الإنسان بخطيئته حوّل العالم إلى جبّانة كبيرة . واصبح الناس المحكوم عليهم بالموت هم « الجالسون فى كورة الموت وظلاله » (مت ٤ : ١٦) .

« أما يسوع قبل عبد الفصح ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب ، إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى ... يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شىء إلى يديه ، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى . قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وإتزر بها . ثم صبّ ماء فى مغسل وابتدأ يغسل

ارجل التلاميذ» (يو١٣ : ١ - ٤) ... **إذا اردنا أن نفهم العشاء الأخير، لابد لنا أن ننظر إليه على أنه الذروة فى محبة الله المقدسة، التى بدأت بالخليقة، وتنتهى الآن بموت الرب وقيامته.**

«الله محبة» (١يو٤ : ٨). وعطية المحبة الأولى هى الحياة. ولكى يبقى الإنسان حيّاً، عليه أن يأكل ويشرب ويحيا فى شركة مع الله... محبة الله اعطت الإنسان الحياة. ومحبة الإنسان لله حوّلت هذه الحياة إلى شركة معه. كان هذا هو الفردوس ...

والمسيح جاء لخلاص البشر، ورفض أساس تجربة الإنسان أن يحيا «بالخبز وحده». واعلن أن الله وملكوته هما الغذاء الحقيقى، والحياة الحقّة للإنسان. وهذه هى حياة الشركة للإنسان مع الله. هذا هو معنى العشاء الأخير... لقد قدم المسيح ذاته كالغذاء الحقيقى للإنسان... **فى الجنة قال الله للإنسان «من جميع شجر الجنة تأكل». ولأن حياة الإنسان تقوم بالأكل، قال المسيح هنا «خذوا كلوا هذا هوجسدى».**

لقد اعطى الله الإنسان كثيراً، والآن يعطيه ذاته ... تحوّل العطاء فى هذه الليلة التاريخية إلى شهوة مقدسة فى قلب ربنا محبة لنا «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم» (لو٢٢ : ١٥)... وكأن الرب يقول لنا: لا يكفى أن اموت لأجلكم واخلصكم، بل أكثر من ذلك، أن أكون لكم طعاماً تحيون به، واضمن لكم الحياة. جسدى هو الحياة وهو عربون الميراث الأبدى. ومن يأكلنى يحيا بى وأنا اقيمه فى اليوم الأخير (يو٦ : ٥٤).

وفى وسط هذا الحب الدافق تظهر أمامنا صورة يهوذا الأسخريوطى ونقرأ عنه «فذاك (يهوذا) لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً» (يو١٣ : ٣٠)... والحديث يطول عن خيانة يهوذا... المسيح يبذل عربون الحياة جسده المقدس، وهو يخونه ويتآمر عليه... على أى حال، فهذا هو ما وصل إليه الإنسان. وهذا ما جاء المسيح ليصلحه، ويخلق الإنسان خلقة جديدة شبيهة بحسنه... ويعوزنا الوقت إن تأملنا فى خيانة الإنسان، وكيف قابل المسيح هذه الخيانة بالحب والخلاص... **ما أصدق قول القديس غريغوريوس فى قداسه «حولت لى العقوبة خلاصاً ...»..**

رفع بخور باكر خميس العهد :

يبتدئون الخدمة بقراءة فصل من سفر الخروج (١٧ : ٨) عن حرب عماليق واسرائيل، وكيف أن موسى رفع ذراعيه وساعداه فى ذلك حور وهارون. وكان اسرائيل ينتصر طالما أن ذراعى موسى مرفوعتان. **وهذا هو مثال الصليب** ... يقرأ هذا الفصل لأن المسيح يقترب من الصليب. ثم فصول أيضاً من الخروج واشعياء وحزقيال وعظة للقديس يوحنا ذهبى الفم، والكلام فيها عن الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه. و يقول فيها «وكما أن الكلمة التى نطق بها (الله) مرة واحدة منذ البدء قائلاً : اكثروا وانموا واملأوا الأرض هى دائمة فى كل حين تفعل فى طبيعتنا زيادة التناسل، كذلك الكلمة التى قالها المسيح على تلك المائدة (الافخارستيا) باقية فى الكنائس إلى هذا اليوم، وإلى مجيئه مكّملة كل عمل الذبيحة» ... ثم تقال

ⲐⲱⲔ ⲦⲈ ϮϪⲟⲙ كعادة البصخة. ثم يقول الكاهن ايليسون ايماس و يفتح ستر الهيكل وابانا الذى ...

يصلى الكاهن صلاة الشكر وتقال ارباع الناقوس والمزمور الخمسين (ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك). ثم يصلى الكاهن أوشيتى المرضى والقرابين.. وتقال الذكصولوجيات المناسبة، و يطوف الكاهن البيعة بالبخور بدون تقبيل بسبب قبلة يهوذا. و بانتهاء الذكصولجيات، يقال قانون الإيمان بحسب الطقس. و يقول الكاهن ⲫϮ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ويجاوبونه كيرياليسون بالناقوس.

بعدها يقال اللحن الجميل ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ وتفسيره :

«هذا الذى اصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا. فاشتمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة» بعد ذلك يقرأ الأبركسيس باللحن الحزاينى ... ثم تقال قطعة عن خيانة يهوذا وهم يطوفون البيعة من اليسار على عكس المألوف ... ثم تقال آجيوس بلحن الحزن ثم أوشية الانجيل ثم يقرأ المزمور والانجيل بالطريقة الحزاينى، ثم الطرح المألوف فالطلبة وتكمل الصلاة كالمعتاد.

ثم يُصَلّى اللقان وسيأتى الكلام عليه وبعده القداس الإلهى.

قداس خميس العهد :

يقدم الحمل بدون مزامير، ويُقرأ فصل البولس ، ولا يقرأ الكاثوليكون والأبركسيس . ولا تصلى صلاة الصلح لأجل خيانة يهوذا وقبلته الغاشة . ولا يقال المجمع ولا الترحيم . بل من أول «اهدنا إلى ملكوتك» حتى نهاية القداس.. ولا يقال التوزيع المعتاد أى المزمور (١٥٠) بل تقال النبوات .

يوم الجمعة العظيمة :

هذا اليوم هو أعظم أيام البشرية كلها ونقطة التحوّل فى حياتها . فيه تمّ الوعد القديم من الله للإنسان الأول قبل خمسة آلاف وخمسمائة عام لميلاد المسيح ، أن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك٣ : ١٥)... يجتمع المؤمنون فى هذا اليوم حول صليب المسيح سلاح نصرتهم وسرّ قوتهم . هذا هو اليوم الذى تمت فيه نبوات الأنبياء ، واظهر الله محبته للبشر بأكثر مما يتصورون أو تذهب إليه عقولهم... هذا هو اليوم الذى صلب فيه الإله المتأنس ربنا يسوع المسيح... ومهما قيل أو كُتب ، فلن يستطيع متكلم أو كاتب أن يُلمّ بعظم محبة الله التى تجلت فى حادث الصليب . وسوف لا نخوض فى دقائق وتفاصيل طقوس هذا اليوم المقدس بألحانه الرائعة ، التى يجمع بعضها بين الحزن والخشوع اعلاناً أن ذاك الذى مات إنما هو حىّ... **إن طقوس هذا اليوم تفصح عما تنطوى عليه . لذا سوف لا نذكر تفاصيل طقوسه .**

ليلة سبت الفرح (أبوغلمسيس) :

● فى هذه الليلة تصعد بنا الكنيسة فيها إلى السماء... إنها تقدّم اجابة عن كل من يسأل عن الأبدية والحياة فيها .

● فى هذه الليلة تسهر الكنيسة حسب وصية المسيح لنا مراراً كثيرة..و نسهر معه ، ونسهر وحتى لا ندخل فى تجربة ...

● **هذه الليلة هى عبور من الموت إلى الحياة.** وتعبّر الكنيسة عن ذلك فى الحانها حينما يقال نصف اللحن بطريقة الحزن والنصف الآخر بالنغم المعتاد (السنوى) ، تجسيداً لمعنى العبور من الموت إلى الحياة . فالمسيح الذى مات هو حىّ ،

وسيعلن عن قيامته فجر الأحد. والمؤمنون بيسوع قد انتقلوا من الموت إلى الحياة كما قال الرب يسوع نفسه (يو ٥ : ٢٤)... لقد نقلهم من الموت إلى الحياة. وليس فقط من خلال الألحان، بل من خلال قراءات هذه الليلة كما سوف نرى ومعظمها تسابيح، وتختم بقراءة سفر الرؤيا ... **ونستعرض الآن هذه القراءات :**

+ تسبحة موسى النبى الأولى (الهوس الأول) وعبور شعب الله قديماً البحر الأحمر بطريقة معجزية خارقة هى عبور من الموت إلى الحياة.

+ صلاة حنة أم صموئيل النبى (١صم ٢ : ١ - ١١)... حنة هذه التى اعطاها الله ولداً من مستودع ميت هى حياة بعد موت.

+ صلاة حبقوق النبى (٣ : ٢ - ١٩)، وفيها يقول «أما أنا فاتهلل بالرب وافرح بالله مخلصى ... يرفعنى على الأعالى لأغلب بتسبحته».

+ صلاة يونان النبى (٢ : ٢ - ١٠) المزمع أن يخرج من بطن الحوت ... أنه خروج من الموت إلى الحياة «صرخت إلى الرب إلهى فى ضيقتى فسمعنى من بطن الجحيم وسمع صوتى».

+ صلاة حزقيا النبى ملك يهوذا حين مرض وقام من مرضه (اش ٢٨ : ١٠ - ٢٠)... وهذا سمعه الله واطال عمره خمس عشرة سنة أخرى بعد موعد موته المحدّد.

+ تسبحة الثلاث فتية القديسين فى اتون نار بابل ... هؤلاء الفتية انتقلوا من الموت إلى الحياة، إذ كان المسيح معهم - داخل الموت - لقد كان يُرى معهم داخل الأتون رابع شبيه بابن الآلهة..

+ وقصة سوسنة العفيفة التى كان محكوماً عليها بالموت ثم انقذت منه ... إنه عبور من الموت إلى الحياة.

وهكذا بالتأمل فى بقية التسابيح، نصل إلى فكرة الانتقال من الموت إلى الحياة..

إن طقس ليلة سبت الفرح ملىء بالاشارات، بل ويأخذنا معه فعلاً إلى الحياة السمائية الملائكية، كانتقال من الموت إلى الحياة ... الألحان تتخللها أكثر من

زفة. الكهنة والشمامسة والشموع الموقدة، وهم يطوفون حول المذبح والبيعة فى بهجة وفرح عجيبين. إن من يمارس هذا الطقس المفرح ويحيا فيه، يشعر فعلاً أنه يأخذ عربون الحياة الملائكية التى هى حياة التسبيح.

+ وهكذا فإن الكنيسة تنتقل بنا إلى فرح القيامة، وما بعد القيامة، حينما تختم الليلة فى فجر السبت مع سفر الرؤيا. الكهنة والشمامسة وكل الشعب وسط سبعة قناديل زيت موقدة رمز لسبعة أرواح الله التى أمام عرشه (رؤ١ : ٤)، ورمز للسبعة مصابيح المتقدة ناراً التى رآها يوحنا (رؤ٤ : ٥). إنها رمز للسبعة ملائكة الذين يقفون أمام الله. وهى ترمز كذلك للسبع منابر ذهبية (رؤ١ : ١٢)، والسبعة كواكب التى فى يمين ابن الله (رؤ١ : ١٦).

مما يلاحظ فى ليلة سبت الفرح :

+ السهر فى هذه الليلة نتذكر سهر السيد المسيح ليلة آلامه فى بستان جثيمانى، ومعاتبته لتلاميذه لأنهم لم يسهروا معه (مت٢٦ : ٣٦- ٤٤ ؛ مرقس ١٤)... يقول سفر الرؤيا «**طوبى لمن يسهر** ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عرياناً فيروا عورته» (رؤ١٦ : ١٥)... ويقول رب المجد لملاك كنيسة ساردس «**كن ساهراً... فإنى إن لم تسهر** أقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك» (رؤ٣ : ٢، ٣) [انظر مت ٢٤ : ٤٢ ؛ ٢٥ : ١٢ ؛ مر١٣ : ٣٥ ؛ لو٢١ : ٣٦ ؛ ١كو١٦ : ١٣ ؛ ١بط ٥ : ٨].

التسابيح الكثيرة...

تبدأ ليلة سبت الفرح بتلاوة المزمور ١٥١ (وهو غير موجود فى الطبعة البيروتى)، ولذلك اسجلّه هنا... يقول داود «**أنا الصغير فى اخوتى، والحدث فى بيت أبى، كنت راعياً غنم أبى. يداى صنعتا الأرغن، واصابعى الفت المزمار الليلويا. من هو الذى يخبر سيدى. هو الرب الذى يستجيب لجميع الذين يصرخون إليه. وهو ارسل ملاكه ورفعنى من غنم أبى، ومسحنى بدهن مسحته. اخوتى حسان وكبار، والرب لم يُسَرّ بهم. خرجت للقاء الفلسطينى فلعننى بأوثانه. فاستليت سيفه الذى كان بيده ونزعت رأسه عنه. ونزعت العار عن بنى اسرائيل الليلويا.**

• **فيما يختص بالتسبيح فإنه عمل مكمّل للصلاة، بل هو صلاة سامية...** يخاطب المرتل الله و يقول له «وأنت القدوس الجالس بين **تسبيحات اسرائيل**» (مز٢٢ : ٣)... «وجعل فى فمى ترنيمة جديدة **تسبيحه لإلهنا**» (مز٤٠ : ٣)... «هلليلو يا . غنوّا للرب **ترنيمة جديدة تسبيحته** فى جماعة الأتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم . **ليسبحّوا اسمه** برقص . بدف وعود ليرنموا له» (مز١٤٩ : ١ - ٣)... «**بتسبيح الرب ينطق فمى**، وليبارك كل بشر إسمه القدوس إلى الدهر والأ بد.» (مز١٤٥ : ٢١).

• تبدأ التسابيح هذه الليلة بتسبحة موسى النبى الأ ولى من (خر١٥ : ١ - ٢١) وهى عبارة عن الهوس الأ ول وقبلها يقال لبش الهوس الثانى و يقولونه بالناقوس بلحنها المعروف والشمامسة وهم يطوفون البيعة **ⲙⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱⲛϩ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ** وتفسيره «فلنشكر المسيح إلهنا مع المرتل داود النبى، لأنه خلق السموات وجنودها ،وأسس الأ رض على المياه... إلخ»

• ثم يقولون التسبحة الثانية لموسى النبى (تث٣٢: ١ - ٤٣)؛ وصلاة حنة أم صموئيل النبى (١صم٢ : ١ - ١٠)؛ وصلاة حبقوق النبى (حب٣ : ٢ - ١٩)؛ وصلاة يونان النبى (يون٢ : ١ - ٩)؛ وصلاة حزقيا ملك يهوذا حين مرض وقام من مرضه (اش٣٨ : ١٠ - ٢٠)؛ وصلاة منسى بن حزقيا ملك يهوذا؛ وتسبحة اشعياء النبى الأ ولى (أش٢٦ : ٩ - ٢٠)؛ وتسبحته الثانية (اش٢٥ : ١ - ١٢)؛ وتسبحته الثالثة (اش٢٦ : ١ - ٩)؛ وتسبحة أرميا النبى (مراثى٥ : ١٦ - ٢٢)؛ وتسبحة باروخ النبى (باروخ٢ : ١١ - ١٦)؛ وتسبحة إيليا النبى (١مل١٨ : ٣٦ - ٣٩)؛ وصلاة داود النبى (١أى٢٩ : ١٠ - ١٣)؛ وصلاة سليمان الملك (١مل٨ : ٢٢ - ٣٠)؛ وصلاة دانيال النبى (دا٩ : ٤ - ١٩)؛ ورؤيا دانيال النبى من أجل الثلاثة فتية القديسين (دا٣ : ١ - ٢٣)؛ وصلاة عزاريا فى وسط النار.

ثم تقرأ تسبحة مريم العذراء (لو١ : ٤٦ - ٥٥)؛ وصلاة زكريا الكاهن (لو١ : ٦٨ - ٧٩)؛ وصلاة سمعان الكاهن (لو٢ : ٢٩ - ٣٢). ثم قصة سوسنة. ثم يرتلون بالناقوس **ⲦⲈⲚⲞⲨⲈϨ ⲚⲤⲰⲔ** (نتبعك بكل قلوبنا ونخافك ونطلب وجهك يا الله لا تخزنا... إلخ». يقولونها وهم يطوفون البيعة ثلاث مرات.

صلاة باكر سبت الفرح :

يرفع الكاهن البخور كالمعتاد، وتقال ارباع الناقوس وارحمنى ياالله، ثم يقول الكاهن اوشيتى المرضى والراقدين «وتفضل يارب»، ثم تكمل التسبحة. ثم يقول الكاهن أوشية القرابين. ثم يطوف البيعة بالبخور بينما يقول الشمامسة الذكصولوجيات، ثم قانون الإيمان، وبعده ϥϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ
والمرد آمين كيرياليسون وهم يطوفون البيعة. وتكمل الصلاة حسب طقسها.

وبانتهاء رفع بخور باكر يصلون مزامير الساعة الثالثة ونبواتها والانجيل، نصفه بلحن الحزن والنصف الآخر بالطريقة السنوى، وكيرياليسون (٤١) مرة... ثم تصلى مزامير الساعة السادسة بنفس النظام السابق.

قراءة سفر الرؤيا :

سبق أن قلنا أن حكمة الكنيسة فى الترتيب السابق لهذه الليلة، أن تظل الكنيسة ساهرة لأن هذه هى وصية مخلصها، وهى تسبّح تسابيحها، تعبيراً عن فرحتها بانتقالها من الموت إلى الحياة، حتى اليوم نفسه يسمى «سبت الفرح». لقد مات ابن الله وتم الخلاص بالصليب، وفتحت السماء التى كانت مغلقة، من اجل هذا ونحن نسبح بفرح. أولاً لهذا الحادث ـ فتح السماء ـ وثانياً لأن هذه هى الحياة، التى سنعيشها هناك ـ حياة التسبيح ـ إن هذا التسبيح يليق بالمفديين... يقول يوحنا فى رؤياه... «وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير فى السماء قائلاً هلليلويا. الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا... وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لإلهنا يا جميع الخائفين والكبار» (رؤ١٩ : ١، ٥). **أما سبب قراءة سفر الرؤيا فى تلك الليلة، فهى أن الكنيسة تصف لابنائها حياتهم الآتية فى السماء فى أورشليم السمائية. وما يصاحب قراءة هذا السفر من ألحان غاية فى الروعة... إنها تقدّم صورة المجد الذى ينتظرهم فى السماء.**

قداس سبت الفرح :

ثم يصلى قداس سبت الفرح كالمعتاد. و يرتل المزمور والانجيل نصفهما بلحن الحزن والنصف الثانى بالطريقة السنوى. ولا تصلى صلاة الصلح. و يكمّل القداس، و يقال المجمع و يُعمل ترحيم لجميع المسيحيين، ثم NHMEN ΠΟ̄Ϲ̄ «أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم». ولا يقال المزمور (١٥٠)، بل تقال قطعٌ من المزامير.

الخماسين المقدسة :

الخماسين المقدسة، ويُقصد بها مدة الخمسين يوماً التى تلى عيد القيامة، إنما ترمز للحياة فى السماء... فبموت المسيح وقيامته فتحت السماء بعد أن ظلت مغلقة أكثر من خمسة آلاف وخمسمائة سنة... **مدة الصوم الكبير يرمز لجهاد الإنسان فى الحياة، والخماسين المقدسة ترمز للمكافأة الأبدية**... يوم الجمعة العظيمة تذكار لموت المسيح، و يوم السبت تذكار وجوده فى القبر، وقام فى فجر الأحد... **الخماسين المقدسة من حيث كونها ترمز للحياة فى السماء، فهى أيام فرح، والكنيسة تعلّم بالامتناع عن الصوم والمطانيات وكل أعمال التذلل.** لا يُسمع فى الكنيسة فى فترة الخماسين إلا ألحان الفرح حتى فى جنازات المنتقلين... **وتعليم الكنيسة هذا مستمد مما جاء فى سفر الرؤيا عن حياة المفديين فى السماء «لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحرّ. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم»** (رؤ٧: ١٦، ١٧)... ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروسٍ مزينة لرجلها. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم. **وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم. والموت لا يكون فيما بعد. ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد،** لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال لى اكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينة» (رؤ٢١: ١-٥)...

فهمنا مغزى الخماسين المقدسة التى تأتى بعد موت الرب يوم الجمعة العظيمة ، وأحد القيامة الذى نحتفل فيه بقيامته... **لذلك فإن الاحتفال بشم النسيم يوم الأثنين التالى ليوم أحد القيامة ، إنما يرمز لفتح الفردوس . وكلمتا شم النسيم كلمتان قبطيتان ϣⲱⲙ ⲛ̀ⲛⲓⲥⲓⲙ ومعناهما حديقة أو بستان العشب .**

اللقان (قداس الماء) :

يُحتفل به ثلاث مرات فى السنة : فى عيد الغطاس (١١ طوبه) تذكار عماد السيد المسيح . وتتم صلواته قبل رفع بخور باكر ، وهو موجه للإبن . و يوم خميس العهد ، وموعده متغير لارتباطه بالصوم الكبير ، وهو تذكار غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه . وتبدأ صلواته بعد سواعى الثالثة والسادسة والتاسعة من البصخة ، وهو موجه للإبن . و يوم عيد الرسل فى الخامس فى شهر أبيب ، وهو أيضاً موجه للابن .

فى لقان الغطاس يرشم الكاهن كل فرد من الشعب بالماء ثلاثة رشوم فى جبهته ، على مثال ما صنع يوحنا المعمدان مع السيد المسيح .

وفى لقان خميس العهد يغسل الكاهن ارجل الشعب مثالاً لما صنعه السيد المسيح .

وفى لقان عيد الرسل يغسل الكاهن اقدام الشعب ، لأنه تعبير عن الخدمة الحقيقية ، التى بدأها المسيح « ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ، و يبذل نفسه فدية عن كثيرين » .

وكل من هذه اللقانات تبدأ صلواته بصلاة الشكر ، ومجموعة من نبوات العهد القديم تتمشى مع مناسبة اللقان ، وفصل من رسائل بولس الرسول ، ثم آجيوس وأوشية الانجيل ، فالإنجيل ، ثم السبع أواشى (المرضى والمسافرين ، وأهوية السماء ، وأوشية الملك ، وأوشية الراقدين ، وأوشية القرابين ، وأخيراً أوشية الموعوظين) . ثم يبدأ القداس : « محبة الله الآب ونعمة الإبن الوحيد الجنس ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم » ... و « ارفعوا قلوبكم » و« فلنشكر الرب » ... وتقال آجيوس (الكاهن) ثم بعض طلبات . وأخيراً يقول الكاهن « مبارك الرب يسوع المسيح وقدوس الروح القدس آمين » . ثم يقول الكاهن التحاليل الثلاثة : للابن ثم يرتل الشمامسة المزمور المائة وخمسين .

عيد العنصرة (الخمسين) :

عيد العنصرة أو الخمسين عيد يهودى، وكان يحتفل به فى اليوم الخمسين من عيد الفصح. وكلمة عنصرة كلمة عبرية وتعنى اجتماع حيث كان اليهود يجتمعون و يعيّدون فى هذا العيد... فى عيد الخمسين الأول، أى بعد خروج بنى اسرائيل من مصر بخمسين يوماً اعطى الله الشريعة لموسى النبى فى جبل سيناء...

وقد مارس رسل ربنا يسوع المسيح الاحتفال بيوم الخمسين، حيث كان عيد الخمسين اليهودى إنما يرمز لعيد الخمسين المسيحى. هذا واضح من قول بولس الرسول «ولكننى أمكث فى افسس إلى يوم الخمسين» (١كو١٦ : ٨). و يقول القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس من البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً فى آسيا. لأنه كان يُسرع حتى إذا أمكنه يكون فى أورشليم فى يوم الخمسين» (أع١٨ : ٢٠).

وقد شاءت العناية الإلهية أن يتفق توقيت عيد الخمسين اليهودى مع عيد الخمسين المسيحى، وهو اليوم الذى حلّ فيه الروح القدس على الكنيسة الأولى... **وبحسب التدبير الإلهى اختار الرب هذه المناسبة عند اليهود موعداً لانسكاب الروح القدس على جميع التلاميذ المؤمنين المجتمعين فى عليّة صهيون، ومولد الكنيسة حيث تتم رموز واشارات :**

كان عيد الخمسين عند اليهود له ثلاث تسميات :

عيد الحصاد (خر٢٣ : ١٦)؛ وعيد أوائل الثمار (عدد٢٨ : ٢٦)؛ وعيد الأسابيع (تث١٦ : ٩، ١٠؛ لا٢٣ : ١٥)... كان هذا العيد من حيث تسميته بعيد الأسابيع يبدأ مباشرة بعد عيد الفصح، بتقديم أول حزمة من حصاد الشعير، و ينتهى فى عيد الخمسين بتقديم أول رغيفين من حصاد القمح. وكان يحتفل بعيد الخمسين يوماً واحداً. وهو من أعياد اليهود الثلاثة الكبرى السنوية، وهى الفصح (عيد الفطير)؛ وعيد الحصاد (الخمسين)؛ وعيد المظال، وهو عيد الجمع فى نهاية السنة، عندما يجمعون غلاتهم من الحقل. وكان يتحتم بحسب الشريعة اليهودية على جميع ذكور بنى اسرائيل أن يظهروا فيها أمام الرب إلههم (تث١٦).

وكان عيد الخمسين عند اليهود عيد فرح و بهجة . وكان ـ نظراً لوقوعه فى الطف فصول السنة من ناحية الطقس ـ يجذب اعداداً ضخمة من اليهود الذين خارج أورشليم . و يوسيفوس المؤرخ اليهودى فى القرن الأول المسيحى ، يصف هذا العيد ، و يتكلم عن عشرات الآلاف من اليهود الذين كانوا يجتمعون حول الهيكل فى هذه المناسبة . وكان عدد كبير من اليهود الوافدين من بلاد بعيدة إلى أورشليم لحضور عيد الفصح ، يبقون فيها حتى يحضروا عيد الخمسين أيضاً .

كان عيد الخمسين عند اليهود إذن بحسب ما جاء فى الكتب المقدسة ، هو عيد الحصاد ، أو عيد أوائل الثمار ، أو عيد الأسابيع . لكنه كان أيضاً ـ طبقاً لتقليد الربيين فى التلمود ـ هو عيد الاحتفال السنوى بتذكار تسليم الشريعة فى سيناء . **يقول التقليد اليهودى أن موسى استلم الشريعة فوق جبل سيناء فى اليوم الخمسين لخروج بنى اسرائيل من مصر. ومن هنا جاءت تسميته بالعبرية « عيد البهجة بالناموس » ... وكانت هناك عادة يهودية قديمة حرص اليهود عليها ـ ومازالوا حتى الآن ـ حيث كانوا يقضون الليلة السابقة لعيد الخمسين فى تقديم الشكر لله من أجل عطية الناموس .**

كان اليهود يحتفلون بعيد الخمسين كعيد لحصاد المزروعات ، فأضحى فى المسيحية عيداً لحصاد الزرع الجيد الذى هو بنو الملكوت (مت ١٣ : ٣٨) . وكانوا يحتفلون به عيداً لأوائل الثمار الزراعية ، فغدا فى المسيحية عيداً لأوائل الثمار الخلاصية ، حين آمن فى أول عيد خمسين مسيحى ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة !! وكان اليهود يحتفلون به كتذكار لاعطائهم الشريعة المكتوبة على لوحين من حجر ، فاصبح عيداً للروح القدس ، روح الحياة الذى كتبت به وصايا الله ، لا فى ألواح حجرية ـ بل فى ألواح قلب لحمية .

وثمة فكرة أخرى : فالعدد خمسين (ونحن نتكلم عن عيد الخمسين) فى الكتاب المقدس ، يشير إلى العفو والصفح ... ففى العهد القديم كانت تقدَّس السنة الخمسون ـ وتعرف بسنة اليوبيل ـ و يُعفى المدينون من ديونهم ، ويحرر العبيد « وتقدسون السنة الخمسين ، وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها . تكون لكم يوبيلاً . وترجعون كل إلى ملكه ، وتعودون كل إلى عشيرته » (لا ٢٥ : ١٠) ... كانت هذه

السنة تبدأ بيوم الكفّارة، حين يضربون بالبوق إيذاناً ببدء سنة اليوبيل. **فالعدد خمسين كان يُنظر إليه كرمز للعفو.**

هكذا رأى علماء اليهود وعلى رأسهم فيلو Philo الفيلسوف اليهودى السكندرى فى القرن الأول الميلادى، وكليمنضس الاسكندرى فى القرن الثانى، والعلامة أوريجينوس فى القرن الثالث..

صلاة السجدة:

رتبت الكنيسة أن تقام صلوات السجدة فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر بالتقويم الحالى)... أمر الله شعبه قديماً بعمل الفصح عند غروب الشمس. وفى مثل هذا الوقت خرجوا من مصر (تث ١٦ : ٦)... وعلى ذلك فقد رتبت الكنيسة عمل السجدة فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) اشارة إلى أن يسوع فصحنا الحقيقى الذى ذُبح فى مثل هذا الوقت (مت ٢٧ : ٤٦)، وفى نفس الوقت الذى كان يُذبح فيه خروف الفصح، إذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكبه على تلاميذه يوم الخمسين من قيامته (أع ٢ : ٣٣).

أما عن طقس صلاة السجدة التى تتم بعد ظهر يوم الخمسين فنقول:

تتم صلوات السجدة على ثلاثة طقوس على إسم الثالوث الأقدس...

السجدة الأولى والثانية وتقام صلواتهما بالخورس الثانى (مكان صلوات البصخة). والسجدة الثالثة بالخورس الأول أمام الهيكل وبعد فتح الستر...
وتقدم الكنيسة صلوات السجدة مصحوبة ببخور كثير استعطافاً لله واستمطاراً لرحمته، وذلك اشارة إلى أن الله حينما اعطى موسى شريعة العهد القديم فى يوم الخمسين من خروج بنى اسرائيل من مصر بعد تقدمة الفصح، كان ذلك بين اصوات الرعود والبروق. وكان جبل سيناء كله يُدخّن، نظراً لحلول الله على الجبل (خر ١٩ : ١٦-١٨).

وصلوات السجدة تبدأ بصلاة الشكر وتقرأ نبوات، وبعض الرسائل والاناجيل، وبعض الأواشى، ثم الطلبة بعد كل صلاة والشعب سجود... **هذه خلاصة صلوات السجدة.**

موضوع هذا الكتاب « العبادة فى كنيستنا ، دلالتها وروحانياتها » موضوع ذو شقين : الكنيسة والعبادة فيها .

والكنيسة هى كنيسة المسيح ... وهذا الفتور الذى نراه متفشياً فى حياة معظم شعبنا ، يرجع فى بعض اسبابه إلى أن كثيرين من المسيحيين يجهلون الكثيرعن الكنيسة سواء من جهة كرامتها وقُدسيتها وسلطانها الذى منحه السيد المسيح لها ، أومن جهة ما يتعلق بسمور وحانيتها فى عبادتها وهى متعة لا توصف ولا حدّ لها ...

إن كنيسة المسيح هو التى اقتناها الله بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) . وهى سفارة السماء على الأرض (٢كو٥ : ٢٠) . وهى جسد المسيح غير المنظور الذى هورأسه (كو١ : ١٨) . هى عمود الحق وقاعدته (١تى٣ : ١٥) . وعلى ذلك فإن رب المجد يسوع المسيح - رب الكنيسة - يأمر كل مؤمن بطاعتها ، ويحذّر من مخالفتها أو الخروج عليها . و يعتبر كل من لا يسمع منها كالوثنى (متى١٨ : ١٧) ... لذا فالسيد المسيح رب الكنيسة ورأسها وراعى رعاتها ، قد عمل ومازال يعمل حتى الآن فيها ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن . بل مقدسة و بلا عيب (أف ٥ : ٢٧) ...

وكنيسة المسيح بمؤمنيها هى عروسه التى خطبها لنفسه (٢كو١١ : ٢) ... هى الآن فى زمان جهادها ، تنتظر العرس الأ بدى ... إنها رائعة الجمال . هكذا نراها حينما يلتصق المؤمن بها ، و يتفّهم ممارستها وعباداتها ، التى هى بمثابة الحبل الذهبى الذى يشّد المؤمن إلى السماء .

وهذا الكتاب يكشف شيئاً يسيراً من هذا الجمال ، بقصد أن يتمتع به كل مؤمن . ومن ثَمّ يجاهد مُتطلعاً إلى الحياة الدائمة فى السماء حيث مسكن الله مع القديسين ، وسط تهليل السمائيين وكل الأ برار الصديقين الذين أرضوا الرب .

الثمن ٤٠٠ قرشاً